
الصحيح

من سيرة النبي الأعظم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم التاسع

إلى فتح مكة

الباب الأول: إلى مكة
الباب الثاني: فتح مكة
الباب الثالث: نهايات فتح مكة

الباب الأول

إلى مكة

الفصل الأول: المجزرة

الفصل الثاني: إلى المدينة: خبر وشكوى..

الفصل الثالث: ابو سفيان في المدينة: تدليس وخداع

الفصل الرابع: جيوش تجتمع.. والهدف مجهول

الفصل الخامس: ابن ابي بلتعة.. يتجسس ويفتضح

الفصل السادس: على طريق مكة

الفصل السابع: هجرة العباس.. واسلام ابن الحارث

وابن ابي سلمة

الفصل الثامن: ابو سفيان في أيدي المسلمين

..... :



الفصل الأول:

المجـزـة

بداية:

إن فتح مكة كان نقطة تحول في تاريخ الإسلام، وفي الأوضاع العامة في الجزيرة العربية بأسرها.. حيث لم يعد أحد يجد أي عقدة أو حرج من أية جهة كانت في الإقبال على هذا الدين، والانضواء تحت لواء الإسلام، بل أصبح ذلك موضع تنافس، وتسابق، لأنهم وجدوا فيه فرصة لتعزيز موقعهم، وتأكيد وجودهم ودورهم في صنع المستقبل، ورسم مسار الأمة بأسرها إلى مصيرها..

وأصبح أعداء الأمس وصناع الحروب ضد هذا الدين وأهله أتباعاً بل أذنباً، أكثر ما يهتمون له هو: أن يجدوا وسيلة لتأكيد صدق ولائهم، وصحة إيمانهم، وسلامة اعتقادهم.. أو أن يظهروا المزيد من الحرص على كسر شوكة أعداء دين الله، والنكاية فيهم، وصدقهم في مناهضتهم وردّ عاديتهم.. وأصبحت لا تسمع منهم إلا المدح والثناء، وإلا العبارات الطافحة بالرضا، والمعبرة عن مشاعر العرفان بالجميل، وعن الشعور بالإمتنان، وبالشكر الجزيل لمن كان بنظرهم قاطعاً للرحم، وسبباً في الخلاف وفي الاختلاف، ومن وصفوه بالكاهن والساحر والمجنون، وبالشاعر الذي يتربصون به ريب المنون..

فكيف كان هذا الفتح، وما هي تفاصيل أحداثه؟
هذا ما سوف نجيب عليه في الفصول الآتية.

تاريخ فتح مكة:

روي عن الإمام الرضا، عن آبائه «عليهم السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سافر إلى بدر في شهر رمضان، وافتتح مكة في شهر رمضان^(١).
وفي الروايات التاريخية أيضاً: إن الفتح كان في يوم الجمعة^(٢).
والقول: بأنه كان في شهر رمضان سنة ثمان مروي عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، بل لا خلاف في أن هذه

-
- (١) البحار ج ١٩ ص ٢٧٣ وج ٢١ ص ١١٦ وراجع ج ٩٧ ص ١٦٨ وأما ابن الشيخ ص ٢١٨. وراجع: الأمل للطوسي ص ٣٤٢ ومسند الإمام الرضا ج ٢ ص ٤٧٩ وميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٤٩ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢٩ ومشارك الشموس للخوانساري ج ٢ ص ٣٧٠ والحدائق الناضرة ج ٣ ص ١٨٨ والإستبصار ج ٢ ص ١٠٢ وتهذيب الأحكام ج ٤ ص ١٢٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٢٠١ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٢٤٣ ومنتهى الجمان ج ٢ ص ٥٢٠.
- (٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧. وراجع: البحار ج ٢١ ص ١٤٣ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٣٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٣٩١ والبداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٣٢٢ وزاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١٠٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٧٧ و ٢٣٢ ونيل الأوطار ج ٢ ص ١٩٥ وأحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٦٤٠.

الغزوة كانت في شهر رمضان^(١)، فلا حاجة إلى تفصيل القول في ذلك.

ولكن الخلاف هنا هو في ثلاثة أمور، هي:

١ - يوم الخروج من المدينة.

٢ - يوم دخول مكة.

٣ - مدة الإقامة في مكة.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٠ و ٢٦٥ و ٢٦٦ عن البخاري، والبيهقي، وأحمد، والواقدي، وابن إسحاق، وإسحاق بن راهويه، ومسلم، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ و ٧٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ و ١١١ و ١٢٤ و ١٢٧ و ١٣٣ و ١٤٣ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ وعن البخاري ج ٧ ص ٥٩٥. وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٣٤١ وج ٦ ص ٥٥ ومقدمة فتح الباري ص ٣٧١ وفتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ والتبيان ج ٥ ص ١٩٨ وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٦٠ ومكاتب الرسول ج ١ ص ١١٩ وسبل السلام ج ٢ ص ١٦١ وج ٣ ص ٥ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٣٩١ والبداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٣٢٢ والتاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ٥٨ وفتوح البلدان ج ١ ص ٤٦ وزاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١٠٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٧٧ و ٢٣٢ ونيل الأوطار ج ٢ ص ١٩٥ وأحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٦٤٠ وإعلام الوری ج ١ ص ٢١٥ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٥٤ و ٥٣٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٢. وغير ذلك من المصادر الكثيرة جداً.

ونحن نذكر هنا موجزاً عن هذه الأمور الثلاثة كما يلي:

يوم خروج النبي ' من المدينة:

روي عن الزهري أنه قال: لا أدري أخرج في شعبان فاستقبل رمضان، أو خرج في رمضان بعدما دخل^(١).
وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان^(٢).

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٥ عن البيهقي، وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢٦ وعن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣.
- (٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ عن أحمد بإسناد صحيح، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣ والبحار ج ٢١ ص ١٢٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٢١٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢٧ و (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤١ و ٥٤٢ صحيح ابن حبان (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٤٦ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٨٤ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٦٦ ومسند أبي حنيفة ج ١ ص ٢٥٠ وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ٢٦٤ وراجع: المبسوط للسرخسي ج ٣ ص ٩١ وعن عون المعبود ج ٧ ص ٣٠ و (ط دار الفكر) ص ٣٩ والتمهيد للقرطبي ج ٢ ص ١٦٩ وج ٢٢ ص ٤٧ ومرواة المفاتيح ج ٤ ص ٥٢٥ والسير الكبير للشيباني ج ١ ص ٦٦ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧ وعن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣.

وقال آخرون: أنه خرج لعشر خلون من شهر رمضان^(١).

يوم دخول مكة:

واختلفت أقوالهم في يوم دخول مكة، فعن الزهري: فصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ عن الواقدي، وابن إسحاق، وعن إسحاق بن راهويه بسند صحيح عن ابن عباس، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ وراجع: شرح مسلم للنووي ج ٥ ص ٢٣٤ وعن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣ والديباج على مسلم ج ٣ ص ٢١٦ وعن عون المعبود ج ٧ ص ٣٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٢ ومرواة المفاتيح ج ٤ ص ٥٢٥.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١٣٣ عن إعلام الوری وغيره، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٥ عن البيهقي بسند صحيح، وإعلام الوری ج ١ ص ٢٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤١ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٣ ص ١٤١ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٧ ص ١٩٠ والعلل لابن حنبل ص ٢٣١ والسنن الكبرى للبيهقي (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢٤١ و (ط أخرى) ج ٦ ص ٢٧٣ شرح مسلم للنووي (ط دار الكتاب العربي) ج ٥ ص ٢٣٣ و (ط دار الفكر) ج ٧ ص ١٨٩ والدر مشور ج ٦ ص ٤٠٨ ومسند أحمد (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٧٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٠٧ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٤٣ وعن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٤ ونصب الراية (ط دار الحديث) ج ٣ ص ٢٨ ومنتخب مسند عبد بن حميد (ط مكتبة النهضة) ص ٢١٧ و (ط دار عالم الكتاب) ج ١ =

وقيل: لاثنتي عشرة^(١).

وقيل: إنه دخل لست عشرة^(٢).

وقيل: لسبع عشرة^(٣).

وقيل: لتسع عشرة^(٤).

وقيل: لعشرين من شهر رمضان^(٥).

-
- = ص ٢١٦ و غرر الفوائد المجموعة ليحيى بن علي القرشي ص ٣١٠ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٧ و نصب الراية ج ٣ ص ٢٨ و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٤ ص ٣٢٧ و (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٢٨٣.
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ عن أحمد، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ و عن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣.
- (٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ و سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ عن مسلم، و عن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣.
- (٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨ و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٤ ص ٣٢٦ و (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٢٨٢ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤١.
- (٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ عن أحمد، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ و شرح مسلم للنووي (ط دار الكتاب العربي) ج ٧ ص ٣٣٤ و (ط دار الفكر) ج ٧ ص ١٨٩ و نيل الأوطار (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٢٩٥ و (ط دار الجليل) ج ٤ ص ٣١١ و عن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ١٥٨ و ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٦٩٠ و ج ٨ ص ٣١٣ و عمدة القاري ج ١١ ص ٤٥ و الديباج على مسلم ج ٣ ص ٢١٦.
- (٥) البحار ج ٩٤ ص ١٦٨ ج ٢١ ص ١٤٣ عن الكازروني، و تاريخ خليفة بن خياط ص ٥٣ و تاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٣٤٣ و السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٨٩ و (دار المعرفة) =

وقيل: لاثنتين وعشرين من شهر رمضان^(١).

ورواية أخرى رددت: بين تسع عشرة، أو سبع عشرة^(٢).

مدة الإقامة في مكة:

وأما بالنسبة لمدة بقائه «صلى الله عليه وآله» في مكة، فهو موضع خلاف أيضاً.

فقليل: عشر ليال^(٣).

وقيل: خمس عشرة ليلة^(٤).

-
- = ج ٤ ص ٦٠ عن ابن إسحاق، ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٠٧ وعن فتح
الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣ والديباج على
مسلم ج ٣ ص ٢١٦ ونيل الأوطار (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٢٩٥ و (ط دار
الجيل) ج ٤ ص ٣١١ و ٣١٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٢٦ والعبر وديوان المبتدأ
والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٤ ص ٣٢٧ و
٣٦٩ و (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤٢
وتفسير أبي السعود ج ٩ ص ٢٠٨ وراجع: تفسير الثعالبي، وتفسير البغوي.
- (١) فتح القدير ج ٢ ص ١٠ وتفسير القرطبي ج ٦ ص ٦٠ عن الضحاك.
- (٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ والبحار ج ٢١ ص ١١١ عن كتاب العدد، وسبل الهدى
والرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٠٨ وعن فتح الباري (ط دار
المعرفة) ج ٨ ص ٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٦٨.
- (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦١ وعن البخاري ج ١ ص ٣٦٧ ح ١٠٣١ وج ٤
ص ١٠٦٤ ح ١٠٤٦ وعن مسلم ج ٢ ص ١٤١ ح ١٥ والمحل ج ٥ ص ٢٧
والمجموع للنووي ج ٤ ص ٣٦٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٤٨.
- (٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ عن البخاري، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٧١ =

وقيل: سبع عشرة^(١).

وقيل: ثماني عشرة^(٢).

= وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦١ وج ٨ ص ٢٣١ عن أبي داود، وعن ابن إسحاق، والنسائي. وراجع: مسالك الأفهام ج ٧ ص ٤٢٨ عن صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٢٤ ح ٢٠ ونيل الأوطار ج ٩ ص ٢٦٩ وعن صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٣٢ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٩٣ وج ٤ ص ٢٢٥ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٤١٥ والبحار ج ٢١ ص ١٤٣ عن الكازروني، والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٤٣ و ١٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦٣ والسيرة النبوية ج ٣ ص ٦٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٥١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٢ ص ٣٤٠ وج ٨ ص ٥٤٠ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٢ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ٣٤ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢٣٠.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ عن أبي داود، وراجع: الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٤٣ وكنز العمال ج ٨ ص ٢٣٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦١ وج ٨ ص ٢٣١ عن أبي داود، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ عن الترمذي، وراجع: الطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٤٣ و ١٤٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١ ص ٤١٩ وكنز العمال ج ٧ ص ٥٤٥ وج ٨ ص ٢٣٧ وعن فتح الباري ج ٢ ص ٤٦٣ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٩٣ وتلخيص الحبير ج ٤ ص ٤٤٩ وج ٧ ص ٣٥٥ وسبل السلام ج ٢ ص ٤٠ ونيل الأوطار ج ٣ ص ٢٥٦ ومسند أحمد ج ٣ ص ٤٣١ و ٤٣٢ وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ١٥٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٢ ص ٣٣٨ و ٣٤٠ و ٤١٩ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦٣ والسيرة النبوية ج ٣ ص ٥٩٩.

: :

وقيل: تسع عشرة^(١).

ولعل التصحيف - بين سبع وتسع - هو الذي جعلهما قولين.

وقيل: عشرين^(٢).

وقيل: بضع عشرة^(٣).

وهذا قد لا يكون قولاً جديداً، فإنه قد يكون موافقاً لأحد الأقوال

السابقة.

وهكذا يقال بالنسبة لقولهم: إنه بقي بقية شهر رمضان، وستة أيام من

شوال^(٤)، فإنه قد يكون متوافقاً مع أحد الأقوال المتقدمة.

خطأ في البخاري:

روي عن ابن عباس: أن فتح مكة كان «على رأس ثماني سنين ونصف

من مقدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة»^(٥).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦١ وج ٨ ص ٢٣٠

عن البخاري وأبي داود، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٤ وتحفة الأحوزي ج ٣

ص ٩٣ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٧١ وتحفة الأحوزي ج ٣ ص ٩٤ ومنتخب مسند عبد

بن حميد ص ٢٠١ وتلخيص الحبير ج ٤ ص ٤٤٩.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٠ عن الإكليل، وراجع: عون المعبود ج ١٤ ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) صحيح البخاري (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٣١٣ و (ط دار الفكر) ج ٥

ص ٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ عنه، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ وتاريخ

الخميس ج ٢ ص ٧٧ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٠٣ ومسند أحمد (ط دار صادر) ج ١ =

قال العسقلاني وغيره: «وهو وهم. والصواب: على رأس سبع سنين ونصف»^(١).

وفي خلاصة السيرة: لسبع سنين وثمانية أشهر، وأحد عشر يوماً^(٢).
ونقول:

إن هذا التحديد ليس دقيقاً، ولأن الصحيح هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قدم المدينة في الثامن من شهر ربيع الأول^(٣)، فيكون فتح مكة بعد مقدمه «صلى الله عليه وآله» المدينة بسبع سنين وستة أشهر وأحد عشر يوماً إذا كان فتحها في التاسع من شهر رمضان المبارك.. وتقل الأيام وتزيد بحسب الاختلاف في اليوم الذي دخل فيه «صلى الله عليه وآله» مكة،

= ص ٣٣٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص ٥٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٤١ وعن فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ١٥٤ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٣ والدر المنثور (ط دار المعرفة) ج ٦ ص ٤٠٧ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٦٥٩ ونيل الأوطار (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٢٨٨ و (ط دار الجليل) ج ٤ ص ٣٠٣ والطرائف لابن طاووس ص ٥٢٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤١.
(١) فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٨ ص ٣ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣١٣ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧.

(٣) راجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤١ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦١ والدر المنثور (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ١٠٨ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٩٧ والعلل في معرفة الرجال لابن حنبل ج ٣ ص ٤٢٦.

حسبما أسلفناه في الصفحات السابقة.

شهر رمضان لماذا؟!:

١ - لقد كانت سياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كثير من حروبه مع أعدائه، وخصوصاً في غزوة الفتح، هي اعتماد عنصر المباغته. وقد توفر هذا العنصر أيضاً في اختيار شهر رمضان المبارك، وهو شهر الصوم والعبادة، للقيام بحملة واسعة وكبيرة، لأن ذلك كان من الأمور التي يقلل احتمالها في حسابات الناس عادة، حيث يتوقعون إخلاد الناس للراحة في هذا الشهر، وعكوفهم على العبادة، وعزوفهم عن الأسفار، حتى لا يضطروا لقضاء الصوم في أيام فطر الناس.

وبذلك يصح اعتبار هذا التوقيت من العناصر التي ساعدت على مباغته القوم، ومفاجأتهم كما هو ظاهر..

٢ - ثم إن لشهر رمضان أثره الإيجابي في نفوس أهل الإيمان، من حيث أنه يهيئهم للعيش في كنف الله، والشعور بحضوره، ويؤكد علاقتهم به تبارك وتعالى. فكيف إذا انضم إلى ذلك أن حركتهم هذه إنما هي باتجاه بيت الله، وحرمة، وأقدس البقاع وأشرفها؟ ويقودهم ويرعاهم أفضل الأنبياء وأكرمهم وأشرفهم؟!.

ولعل أهم ما في الأمر: أن ذلك يحقق درجة كبيرة من التمازج العملي فيما بين المعاني والقيم الإيمانية، وبين حركة الإنسان في الحياة، ويعطي هذه الحركة معناها الروحي، ويتجل ذلك فيها بعمق، وبوضوح، ويمنح الإنسان قدرة أكبر على الشعور بهذا التمازج، وتتفاعل مشاعره وأحاسيسه معه، وتحت وطأته.

الأحلاف في الجاهلية والإسلام:

قالوا: كانت خزاعة في الجاهلية أصابت رجلاً من بني الحضرمي، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمي يومئذٍ إلى الأسود بن رزن - وكان هذا الحضرمي قد خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله.

فمر رجل من خزاعة على بني الدليل بعد ذلك فقتلوه، ف وقعت الحرب بينهم، فمر بنو الأسود بن رزن، وهم: ذؤيب، وسلمى، وكلثوم على خزاعة، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم. وكان قوم الأسود منخر بني كنانة يُودون في الجاهلية ديتين لفضلهم في بني بكر، ونودي دية.

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» فحُجز بالاسلام بينهم، وتشاغل الناس به، وهم على ما هم عليه من العداوة في أنفسهم.

فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين قريش، ووقع الشرط: «ومن أحب أن يدخل في عقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فليدخل، ومن أراد أن يدخل في عقد قريش فليدخل»، دخلت خزاعة في عقد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

حلف خزاعة:

وقالوا أيضاً: وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك عارفاً، ولقد جاءته خزاعة يومئذٍ

بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب وهو:

«باسمك اللهم. هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي، غائبهم مقر بما قاضى عليه شاهدتهم، إن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده، وما لا ينسى أبداً، اليد واحدة، والنصر واحد ما أشرف ثبير، وثبت حراء مكانه، وما بل بحر صوفة. ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً أبد الدهر سرمداً».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما أعرفني بخلقكم على ما أسلمتم عليه من الحلف! فكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة. ولا حلف في الإسلام»^(١).

وفي الإمتاع: أن نسخة كتاب الحلف هي:

«باسمك اللهم. هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، تحالفوا على التناصر والمواساة ما بل بحر صوفة، حلفاً جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد، وأوثق عقد، لا ينقض ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير، وحنّ بفلاة بغير، وما أقام الأخشبان، وعمر بمكة إنسان، حلف أبداً، لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدة، وظلام الليل مداً..

وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكفئون،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٠ عن فتح الباري ج ٧ ص ٥٩٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨١ و ٧٨٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٢ ص ٣٤٥ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٥.

متظاهرون متعاونون، فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب، وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب، في شرق أو غرب، أو حزن أو سهل. وجعلوا الله على ذلك كفيلاً، وكفى بالله جليلاً».

فجاؤوا بعهدهم هذا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، فقرأه له أبي بن كعب، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أعرفني بحقكم وأنتم على ما أسلفتم عليه من الحلف^(١).

سبب حلف خزاعة:

وذكروا عن سبب عقد هذا الحلف:

أنه لما مات المطلب بن عبد مناف، وثب أخوه نوفل على ساحات وأفنية كانت لعبد المطلب، واغتصبه إياها، فاضطرب عبد المطلب لذلك، واستنهض قومه، فلم ينهض معه أحد منهم، وقالوا له: لا ندخل بينك وبين عمك. فكتب إلى أخواله بني النجار، فجاءه منهم سبعون راكباً، فأتوا نوفلاً، وقالوا له: ورب هذه البنية، لتردنّ على ابن أختنا ما أخذت، وإلا ملأنا منك السيف، فردّه.

ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل بني أخيه عبد شمس^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٠ و ٧١.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٠ وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٩ و ١٠.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة، نقتصر منها على ما يلي:

حلف أهل الباطل:

قد اتضح مما تقدم: أن نوفلاً كان متعدياً على عبد المطلب غاصباً لحقه، وأن عبد المطلب حين لم ينهض معه أحد من قومه اضطر إلى الاستعانة بأخواله من بني النجار، ثم حالف خزاعة، ليمتنع بهم إن تعرض له أحد بظلم، لكي يدفع عن نفسه، ويعيش مرهوب الجانب عزيزاً مكرماً.. ولكن نوفلاً الذي ظلم عبد المطلب، ولم يتراجع عن موقفه إلا تحت وطأة التهديد باستعمال السيف، قد حالف بني أخيه عبد شمس، ليتقوى بهم على مواصلة سيرته ونهجه، وهم لم يجدوا في التحالف معه على ذلك أي حرج أو مانع..

وشتان بين من يحالف جماعة ليتقوى بهم على إحقاق الحق، وبين من يحالف الآخرين ليتقوى بهم على إشاعة نهجه الإنحرافي والظالم..

لا حلف في الإسلام:

ومن خلال المعادلة المشار إليها آنفاً ندرك صحة ما يرمي إليه قوله «صلى الله عليه وآله»: «كل حلف في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة. ولا حلف في الإسلام».

فإن المقصود بالحلف الذي في الجاهلية، وزيده الإسلام شدة، هو الحلف الهادف إلى نصرة الحق، والمتضمن للتعاون، والتناصر، والمواساة، ودفع الظلم.. فإن الإسلام يشدد على الاستمرار في هذا الاتجاه، ويؤكد على

الالتزام بمضمون كل حلف فيه هذه المزايا، ويدعو إلى دخول جميع الناس في هذا الالتزام..

ولكن الإسلام لا يرضى بنشوء حلف فيما بين المسلمين ضد أي فريق آخر منهم أنفسهم، لأن معنى هذا هو: إقرار الإسلام حالة الانقسام فيما بين أهل الصف الواحد، وأتباع النهج والدين الواحد، في حين أن دعوة الإسلام تقوم على اعتبار المسلمين يداً واحدة على من سواهم^(١)، ويريد لهم: أن يكونوا بمثابة أسرة واحدة متكاملة العناصر، لهم قيّم واحد، وهو النبي «صلى الله عليه وآله» أو الإمام «عليه السلام»، وقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: أنا وعلي أبوا هذه الأمة^(٢).

(١) راجع: كتاب الأم للشافعي ج ٤ ص ٢٣٩ و ٣٠٢ وج ٧ ص ٣٦٧ و ٣٧٠ ومختصر المزني ص ٢٥٨ و ٢٧٢ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٣٦٤ و ٣٦٥ والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٢٥ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٨٠ والأُمالي للشيخ الطوسي ص ٢٦٣ والبحار ج ٩٣ ص ٨١ وج ٩٧ ص ٣٢ والغدير ج ٨ ص ١٧١ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٣٤٠ و ١٣٤١ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٩٥ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٩٢ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ٩٩ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٢٦ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ١٩٣ والمعجم الأوسط ج ٦ ص ٣٠٥ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٢٠٦ وكنز العمال ج ١ ص ٩٩ والسير الكبير للشيباني ج ٢ ص ٤٨٢.

(٢) راجع: معاني الأخبار ص ٥٢ و ١١٨ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٥ و (ط) أخرى ج ١ ص ٩١ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٣٦٩ عن الفائق للزمخشري، وعن ابن شهر آشوب. والميزان (تفسير) ج ٤ ص ٣٥٧ عنه وعن العياشي. ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٣٥ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٢٧ والأُمالي للصديق =

وتشارك سائر العناصر في بناء الحياة في أخوة مسؤولية، متعاونة، ومتكافلة،

= ص ٦٥ و ٤١١ و ٧٥٥ وكمال الدين وتمام النعمة ص ٢٦١ وروضة الواعظين
للفتال النيسابوري ص ٣٢٢ وخاتمة المستدرك للنوري ج ٥ ص ١٤ والغارات
للقففي ج ٢ ص ٧١٧ و ٧٤٥ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص ٤٦ و ٤٧
وكنز الفوائد ص ١٨٦ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٠٠ والعمدة لابن
البطريق ص ٣٤٥ وسعد السعود للسيد ابن طاووس ص ٢٧٥ والصراط
المستقيم ج ١ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي ص ٣٥ وكتاب
الأربعين للشيرازي ص ٤٧ والبحار ج ١٦ ص ٩٥ و ٣٦٤ وج ٢٣ ص ١٢٨ و
٢٥٩ وج ٢٦ ص ٢٦٤ و ٣٤٢ وج ٣٦ ص ٦ و ٩ و ١١ و ١٤ و ٢٥٥ وج ٣٨
ص ٩٢ و ١٥٢ وج ٣٩ ص ٩٣ وج ٤٠ ص ٤٥ و ٥٣ وج ٦٦ ص ٣٤٣ وج ٧١
ص ١١٦ وج ١٠٨ ص ٣٢٠ و ٣٧٦ وج ١٠٩ ص ١٠ وج ١١٠ ص ٣٦ وكتاب
الأربعين للماحوزي ص ٢٣٨ وشرح الزيارة الجامعة للسيد عبد الله شبر ص ٤٣
والمراجعات ص ٢٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٤٠ و ٤١ وج ٢
ص ٣٩٣ وج ٩ ص ٢٦٤ وج ١٠ ص ٤٤٥ ونهج السعادة ج ٧ ص ١٥٦ و ١٥٨
والإمام علي «عليه السلام» لأحمد الرحماني ص ٧٦ و ٧٨٧ ومسند الإمام الرضا
«عليه السلام» ج ١ ص ٨٠ و ٢٢١ ودرر الأخبار ص ٢٤٤ و ٢٧٢ وتفسير أبي
حمزة الثمالي ص ١٥٩ و ٢٠٠ و ٤١٣ وتفسير الإمام العسكري «عليه السلام»
ص ٣٣٠ و ٣٣١ و ٦٤٥ والتفسير الصافي ج ١ ص ١٥٠ وج ٤ ص ١٦٥ و ١٦٦
وج ٥ ص ٥٢ والتفسير الأصفى ج ٢ ص ٩٨٤ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٣٧
و ٢٣٨ وتفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٢٨٦ وج ٤ ص ٣٥٧ ومفردات غريب
القرآن ص ٧ وإختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٢٣٣ وبشارة المصطفى لمحمد بن
علي الطبري ص ٩٧ و ٢٥٤ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٦٢٥ و ٦٢٩ وتأويل
الآيات لشرف الدين الحسيني ج ١ ص ٧٤ و ١٢٨ وينابيع المودة ج ١ ص ٣٧٠.

ومنسجمة على قاعدة: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} (١)، تقوم على أساسين اثنين هما: الحق والمواساة، كما اتضح من مؤاخاته «صلى الله عليه وآله» بين المسلمين. وقد ذكرنا ذلك في جزء سابق من هذا الكتاب.

مرتكزات حلف عبد المطلب وخزاعة:

وإذا تأملنا في مضمون حلف عبد المطلب مع خزاعة، فإننا نجده قائماً على نفس المرتكزات التي قامت عليها المؤاخاة فيما بين المسلمين حسبما قدمناه في هذا الكتاب..

فإن كانت المؤاخاة قد قامت على دعامين هما: الحق والمواساة. فإن حلف عبد المطلب وخزاعة أيضاً قد قام على نفس هاتين الدعامين، لأنه جاء لحماية الحق، وتأكيد الالتزام به، والانتصار له، والتناصر فيه، والتعاون على حفظه، والالتزام بالمواساة فيه. كما أنه صرح أو أشار إلى حيثيات تؤكد على هذا المسار، وتبين معالمه، وتوضح آفاقه.

فهو - كما صرحت الروايات -:

١ - حلف جامع غير مفرق.

وهو يقوم على:

٢ - التكافؤ فيما بين أفراده وشرائحه، فالكل متكافئون..

٣ - والتناصر.. إلى حد يكون فيه النصر واحداً، لا تمييز فيه بين كبير وصغير.

(١) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

٤ - والتعاون حتى إن اليد واحدة.

٥ - والمواساة.

٦ - وأساس هذا الحلف عهود الله وعقوده..

٧ - وهو يخضع لرعاية الله تبارك وتعالى، فهو سبحانه الكفيل والضامن وغير ذلك من لمحات وإشارات يجدها فيه المتأمل الخبير، والناقد البصير.

قريش تنقض العهد:

وقد نقضت قريش عهدها الذي عقدته مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحديبية.

وقالوا: إن سبب ذلك هو: أنه لما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية، كلمت بنو نفاثة وبنو بكر أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة، وذكروهم القتل الذين أصابت خزاعة منهم.

وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأر أولئك النفر الذين أصابوا منهم في بني الأسود بن رزن، وناشدوهم بأرحامهم، وأخبروهم بدخولهم في عقدهم، وعدم الإسلام، ودخول خزاعة في عقد محمد وعهده.

فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً، إلا أن أبا سفيان بن حرب لم يشاور في ذلك ولم يعلم^(١).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٤٥٣ والبحار ج ٢١ ص ١٠٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٠ و ٢٧١.

ويقال: إنهم ذاكروه فأبى ذلك^(١).

فأعانوا بالسلاح والكرع والرجال، ودسوا ذلك سرّاً لئلا تحذر خزاعة، وخزاعة آمنون غارون لحال المودعة، ولما حجز الإسلام بينهم. ثم اتعدت قريش وبنو بكر وبنو نفاثة أن يأتوا إلى (الوتير)، وهو موضع أسفل مكة، وهو منازل خزاعة، فوافوا للميعاد فيهم رجال من قريش، من كبارهم، متنكرون متتقبن؛ منهم: سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وحويطب بن عبد العزى، وشيبة بن عثمان - وأسلموا بعد ذلك - ومكرز بن حفص، وأجلبوا معهم أرقاءهم.

ورأس بني بكر نوفل بن معاوية الديلي - وأسلم بعد ذلك - . فبيتوا خزاعة ليلاً، وهم غارون آمنون - وعامتهم صبيان، ونساء، وضعفاء الرجال - فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا إلى أنصاب الحرم. فقال أصحاب نوفل بن معاوية له: يا نوفل، إلهك، إلهك. قد دخلت الحرم!

فقال كلمة عظيمة: لا إله لي اليوم، يا بني بكر، لعمرى إنكم لتسرقون الحاج في الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم، ولا يتأخر أحد منكم بعد يومه عن ثاره؟!

فلما انتهت خزاعة إلى الحرم دخلت دار بديل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له: رافع الخزاعيين، وانتهوا بهم في عماية الصبح. ودخلت رؤساء قريش منازلهم، وهو يظنون أنهم لا يعرفون، وأنه لا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٧.

يبلغ هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأصبحت خزاعة مقتلين على باب بديل ورافع.

وقال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث: قد رأيت الذي صنعنا بك وبأصحابك، ومن قتلت من القوم، وأنت قد حصدتهم تريد قتل من بقي، وهذا ما لا نطاوعك عليه، فاتركهم.

فتركهم، فخرجوا.

وندمت قريش، وندموا على ما صنعوا، وعرفوا أن هذا الذي صنعوه نقض للذمة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وجاء الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة إلى صفوان بن أمية، وإلى سهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فلاموهم بما صنعوا من عونهم بني بكر على خزاعة، وقالوا: إن بينكم وبين محمد مدة، وهذا نقض لها^(١).

وقيل: إنهم قتلوا منهم عشرين رجلاً^(٢).

وقيل: إن سبب نقض العهد ليس هو سعي بني نفاثة لأخذ ثأرهم القديم من خزاعة، بل السبب هو: أن شخصاً من بني بكر، وهو أنس بن زنيم الديلي، هجا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصار يتغنى به، فسمعه غلام من

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠١ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ والبحار ج ٢١ ص ١٠٠ و ١٠١ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٤ و ٥٥٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٢ و ٧٨٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٧ وزاد المسير ج ٣ ص ٢٧٢ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٤.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٨ وزاد المسير ج ٣ ص ٢٧٢ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٤.

خزاعة، فضربه فشجه، فثار الشر بين الحيين، مما كان بينهم من العداوة.
فطلب بنو نفائة من أشراف قريش أن يعينوهم بالرجال والسلاح على
خزاعة، فأمدوهم بذلك، فبيتوا خزاعة وهم غارون آمنون.. وقاتل معهم
جمع من قريش الخ..^(١).

واعتزلت بنو مدلج، فلم ينقضوا العهد^(٢).
كما أن أبا سفيان لم يشاور في ذلك ولم يعلم^(٣).
وقال الطبرسي: «لما مضت ستان من القضية (يعني عمرة القضاء) قعد
رجل من كنانة يروي هجاء رسول الله، فقال له رجل من خزاعة: لا تذكر هذا.
قال: وما أنت وذاك؟!
فقال: لأن أعدت لأكسرن فاك!

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ عن الإمتاع، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٢ و ٧٨٣
وراجع: فتوح البلدان ج ١ ص ٤١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٧
والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٨٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ عن الإمتاع، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٢ و ٧٨٣
وراجع: تفسير الميزان ج ٥ ص ٣٧ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٦٣ والكافي ج ٨
ص ٣٢٧ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٥٥ والبحار ج ١٩ ص ١٧٢ والتفسير
الصافي ج ١ ص ٤٨٠ والتفسير الأصفى ج ١ ص ٢٢٨ وتفسير نور الثقلين ج ١
ص ٥٢٩ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٥٦٤.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٥ وتاريخ
مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ٢٣ ص ٤٥٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢٥
ص ٢٨٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥١١ والبحار ج ٢١ ص ١٠٨ وشرح النهج
للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٠ و ٢٧١ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ٢٠ ص ١٧١.

فأعادها، فرفع الخزاعي يده، فضرب بها فاه.
فاستنصر الكناني قومه، والخزاعي قومه. وكانت كنانة أكثر، فضربوهم
حتى أدخلوهم الحرم، وقتلوا منهم. وأعانتهم قريش بالكراع والسلاح.
فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فخبّره
الخبير^(١).

وستأتي قصة عمرو بن سالم.
ولكننا قبل ذلك نشير: إلى بعض الأمور التي ترتبط بما تقدم، فنقول:

سبب نقض العهد واحد:

قد يبدو للوهلة الأولى من ملاحظة النصوص المتقدمة أن ثمة اختلافاً
حول سبب إقدام قريش على نقض العهد.
ولكن الحقيقة هي: أن مجموع تلك النصوص يشير إلى أمر واحد
متربط ومنسجم، وهو: أن أحد بني كنانة، ولعله من بني نفثة، صار يروي
هجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنذره الخزاعي، فلم يرتدع، فضربه
الخزاعي، فاستنصر الكناني قومه، فطلبوا النصر من قريش، فنصروهم
وجرت الأمور بعد ذلك وفق ما فصلته الرواية الأولى.

إستغلال الضغائن:

وقد لوحظ: أن بني نفثة حين انتصروا لصاحبهم، إنما حركهم إلى
ذلك أحقادهم على خزاعة، وتربصهم بها، لتراتٍ لهم عندها في حوادث

(١) البحار ج ٢١ ص ١٢٤ و ١٢٥ عن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٥ .

جرت قبل البعثة النبوية الشريفة حسبما تقدم بيانه..

ولكنهم حين يطلبون المساعدة من قريش تراهم يلجأون إلى تذكيرها بما تعتبره ميزة وفضلاً، وهو: أن بني نفاثة لم يسلموا، وأنهم دخلوا في عقد قريش ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم يحتجون لهم على استحقاق خزاعة للعقوبة: بأنها قد دخلت في عقد محمد وعهده.. فكان هذا وذاك من موجبات مسارعة قريش للمشاركة في توجيه تلك الضربة القاسية لخزاعة..

فحقق قريش على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى الإسلام وأهله قد دعاها إلى المشاركة في جريمة قتل الصبيان، والنساء، والضعفاء.. ونقض العهد والغدر بالآمنين، واجتياحهم، وأخذهم على حين غرة.

واللافت هنا: أن الذين يستجيبون لهذه المحركات، لا لنداء الضمير والوجدان والعقل والشرف والشهامة والرجولة هم - على حد تعبير الرواية - «رجال من قريش، من كبارهم»!!..

مع أن هؤلاء هم الذين يفترض فيهم أن يكونوا أبعد الناس عن التصرفات الرعناء، وعن الانقياد للنزوات الطائشة. ويتوقع منهم أن يزنوا الأمور بموازين فيها شيء من بعد النظر والاعتزان، وحساب العواقب. ولكن الأمور قد جرت في غير هذا الاتجاه، كما رأينا..

الغدر بالضعفاء، وبالصبيان والنساء:

وإن الغدر قبيح من كل أحد، لأنه ينافي الرجولة، وميثاق الشرف، والشهامة، وأعظم منه قبحاً: أن يغدر القوي بالضعيف، فكيف إذا كان هذا

الضعيف هو الصبيان، والنساء، والضعفاء من الرجال؟!
وكيف إذا كان الغادر هم كبار القوم، والمدَّعون للشرف، بل لمقام
الأشرية والرئاسة فيهم؟!
وكيف إذا كان هؤلاء الكبار المشاركون هم أنفسهم الذين أعطوا
العهود والمواثيق وتعهدوا بالوفاء?!

بل إن بعضهم كان هو المفاوض في تلك العهود، والمتولي لإبرامها،
والمشرف على نصوصها، والموقع عليها وأعني به سهيل بن عمرو!!
إنه غدر بالآمين الذين يستندون في أمنهم إلى عهد وعقد وميثاق، معقود
مع نفس هؤلاء الغادرين بأشخاصهم وأعيانهم، فليس هو أمن الغفلة
والتقصير في الاحتياط، ولم يكن الغادر ممن يحسن الاحتياط معه ومنه..

القسوة.. لماذا؟!

ولا نجد تفسيراً معقولاً لهذه القسوة من قریش، ومن كبارها على
النساء والصبيان، وضعفاء الرجال، فهم يسيحون لأنفسهم قتلهم، لا على
سبيل الصدفة والاتفاق، بل عن سابق تخطيط وتدبير، وسعي للإستفراد
بهم واستئصالهم قبل أن يتنبه الآخرون لما يحدث..

بل نحن نستغرب: أن يقدم حتى بنو نفاثة على أمر كهذا. وهم الذين
يدَّعون أن قتل النساء كان عيباً في الجاهلية.. فكيف بالضعفاء، والصبيان?!
فضلاً عن أن يمعنوا في ملاحقتهم حتى ألجأوهم إلى الحرم!! ثم لاحقوهم
حتى في الحرم نفسه، إلى دار بديل بن ورقاء، ورافع الخزاعي!!

حرمة الحرم لدى قريش:

وإذا كانت قريش ترى: أن عزها ومجدها وفخرها هو في رعايتها لحرمه الكعبة والحرم، فما بال الكبار فيها قد رضوا بهتك حرمة الحرم، وشاركوا هم في ذلك، ولم نسمع من أحد منهم كلمة ملامة لأحد من أولئك المعتدين على الأرواح، وعلى قدس المقدسات؟! حتى بعد أن حصل ما حصل.. وكيف يمكننا تفسير موقف قريش من قضية القتال في يوم يشك في أن يكون هو أول الشهر الحرام وهو شهر رجب، أو آخر الشهر الذي قبله، حيث شنت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأثارت عاصفة من الشكوى والتظلم من أجل ذلك، رغم أن هذا القتال قد كان مع الظالمين والمعتدين، والذين يصدون عن سبيل الله. قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ.

قُلْ: قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (١).

ثم إنها وعلى أعلى المستويات فيها يعتدي كبارها على قوم بينها وبينهم عهد وميثاق. فيغدرون بهم، ويختارون قتل خصوص النساء والصبيان والضعفاء منهم، حتى في حرم الله تبارك وتعالى..

(١) الآية ٢١٧ من سورة البقرة.

..... : :

بل إن هذا التعدي لا ينحصر بهتك حرمة الحرم، بل يتجاوزه إلى التصريح بالإلحاد، وإنكار أصل الألوهية، وذلك حين يقول أصحاب نوفل: إلهك إلهك!! قد دخلت الحرم.
فيقول: لا إله لي اليوم.

هل ندموا حقاً؟!

وبعد.. فإننا لم نستطع فهم ما يرمي إليه قولهم: ندمت قريش وندموا على ما صنعوا، وعرفوا أن هذا الذي صنعوه نقض للذمة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وذلك لأن قرائن الأحوال تشهد بعدم صحة هذا الكلام:

أولاً: لأن رجال قريش قد تنكروا وتنقبوا حين جاؤوا لمساعدة بني بكر، مع أن بني بكر كانوا حلفاءهم، وقد دخلوا في عقدهم، فعليهم نصرهم علناً، ولا ضرورة للتنكر والتنقب إن لم يكونوا يريدون تسمية الأمور، لكي لا يظهر للناس أنهم قد نقضوا عهدهم مع النبي «صلى الله عليه وآله»..

ثانياً: إن بني نفاثة حين كلموا قريشاً في نصرهم على خزاعة قد ذكروا لها أنهم داخلون في حلفهم ضد محمد «صلى الله عليه وآله»، وخزاعة داخله مع النبي في الحلف والعقد ضدهم.

فهم إذاً ملتفتون إلى هذا العقد والعهد، مدركون أن المهاجم متحالف مع قريش، وأن المقصود بالهجوم متحالف مع المسلمين في عهد الحديبية.
فما معنى ادّعاء الروايات ورواتها أن قريشاً بعد أن ارتكبت جريمتها

في حق خزاعة «عرفوا أن هذا الذي صنعوه نقض للذمة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟».

ثالثاً: إن هناك روايات تقول: إنهم كلموا أبا سفيان، فأبى ذلك^(١). فلماذا لا يرضى أبو سفيان بنصر حلفائه؟! وهو الحاقد على خزاعة بسبب ميلها إلى رسول الله وتحالفها معه «صلى الله عليه وآله». ألا يدل امتناعه هذا على أنه يرى في ذلك ضرراً بالغاً، ودخولاً في أمر خطير، من حيث أنه نقض للعقد والعهد القائم بينهم وبين المسلمين؟! رابعاً: ما معنى قول هؤلاء الرواة أنفسهم: إنه بعد انتهاء الهجوم وحصول المجزرة «دخلت رؤساء قريش منازلهم، وهم يظنون: أنهم لا يُعرفون، وأنه لا يبلغ هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟»! أليس ظنهم هذا يؤدي بهم إلى إدراك أن بلوغ هذا الأمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله» سوف يؤدي إلى نشوء مشكلة خطيرة لهم معه؟! ولا مبرر لاعتبار ذلك مشكلة إلا لأنهم يدركون أن ما فعلوه له مساس مباشر بالعقود التي تحكم فيما بينهم وبينه «صلى الله عليه وآله»..

بنو نفاثة يسرقون الحاج:

واللافت هنا: هذا المنطق الخسيس الذي اعتمده نوفل بن معاوية لتحريض بني بكر على الإمعان في قتل النساء والصبيان والضعفاء، وتوقعه ذلك منهم حتى في داخل الحرم.. فإنه قال لهم: «إنكم لتسرقون الحاج في

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠١.

الحرم، أفلا تدركون تأركم من عدوكم؟! .. :

فإذا كان هؤلاء يسرقون الحجاج وهم في حرم الله تبارك وتعالى، فهل يتوقع منهم احترام المقدسات، والوقوف عند حدود الله سبحانه، والالتزام بأمره ونهيه؟! ..

وإذا كان هذا هو منطق رئيس بني بكر، وتلك هي أوامره لمن هم تحت إمرته، وهذه هي توقعاته منهم!! ..

وإذا كان يدفعهم بهذا المنطق إلى متابعة جرائمهم لاستئصال الأبرياء، من النساء والصبيان والضعفاء!! ..

وإذا كان يصور لهم: أن هؤلاء الصبيان الذين قد لا يعرفون شيئاً مما يدور حولهم، بل إنهم غير قادرين على إدراك معنى الشر، بالإضافة إلى النساء، والضعفاء - يصورهم على أنهم هم أعداؤهم الذين يريد منهم أن يعملوا فيهم سيوفهم إلى حد الاستئصال.

وإذا كان نفس هذا الرئيس ينكر وجود الإله لمجرد تبرير اندفاعه للتنفيس عن حقه على هذا النوع من الناس.

وإذا كان الرئيس هو الذي يفترض فيه أن يكون الأكثر وعياً وإحساساً بالمسؤولية..

فما الذي نتوقعه من همج رعاع، وجهلة أغبياء، وأشرار أشقياء، يمتنون سرقة الحاج في حرم الله تعالى، وعند بيته المحرم؟! ..

وهذا يدلنا على مدى معاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي جاءهم من عند الله بأصفى وأفضل التعاليم، التي هي محض الخير، وكل العطاء، وحقيقة البر والرحمة، والنور الأنور، والطهر الأصفى، والنبيل

والوفاء، والتضحية والفداء، وسائر المعاني الإنسانية في أرقى الدرجات، وأفضل الحالات.

بديل بن ورقاء وما جرى:

وقد قرأنا في النصوص المتقدمة: أن خزاعة أصبحت مقتلة على باب بديل بن ورقاء ورافع الخزاعيين..

وسنقرأ فيما يلي: أن بديلاً قد عاش هذه المحنة، وتجرع غصتها، ولمس بشاعتها في بيته وعلى باب داره، أكثر من أي إنسان آخر..

فما بالنا نرى هذا الرجل بالذات رفيقاً لأبي سفيان حين خرج من مكة يترقب الأخبار، ليعرف حقيقة تحركات رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بهذا الحدث؟ فلماذا لا يكون لبديل موقف سلبي وغاضب من قريش ورموزها؟

ويمكن أن نجيب عن هذا السؤال بما يلي:

أولاً: إن أبا سفيان - كما تدّعيه بعض الروايات - أبى أن يستجيب لطلب بني بكر فيما يرتبط في توجيه الضربة لخزاعة^(١).
أو أنه لم يشاور في هذا الأمر، ولم يعلم، ولكنه حين علم لم يرض، ولم يغضب كما تقدم وسيأتي^(٢).

(١) تقدمت مصادر ذلك في النص المتقدم.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٥ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ٢٣ ص ٤٥٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢٥ ص ٢٨٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥١١ والبحار ج ٢١ ص ١٠٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٠ و ٢٧١.

أو أنه كان في الشام ولم يكن في مكة حين الإعتداء على الخزاعيين^(١).
وهذا معناه: أن لا يجد بديل بن ورقاء أي مانع من الإبقاء على علاقته
به، ويكون همزة وصل، لو حصل في المستقبل ما يحتاج إلى تفاوض، أو
تدخل لمنع حدوث الأسوأ..

ثانياً: إنه إذا كانت خزاعة تعيش في دائرة الخطر، ولم يكن يمكنها
الحصول على الأمن المطلوب إلا عن طريق المداراة والمصانعة، بانتظار الوقت
الذي تتمكن فيه من تجاوز المحنة، أو كان هذا الأمر يختص ببديل بن ورقاء
فقط، فإن هذه المداراة تصبح مقبولة إذا بقيت في حدود المعقول، وليس في
ذلك أية غضاظة أو وهن على بديل ولا على خزاعة، وذلك ظاهر لا يخفى.

بين الثأر.. والقصاص:

وقد تقدم: أن نوفل بن معاوية صار يقرّع بني بكر ويقول لهم:
«تسرقون الحاج في الحرم، ولا تدركون ثاركم»!!
ومعلوم: أن مفهوم الثأر يعتمد على تبلور حالة من الحقن الشخصي في
اندفاع ساحق ومدمر، مع إغفال أي حساب آخر سوى إرضاء نزعة الحقد
الأسود بهذا البطش الأرعن وغير المسؤول، الذي لا يبالي بالضحية التي
تكون في موقع البراءة والطهر في أكثر الأحيان..
وخير شاهد على هذه الرعونة هو: انتقام بني بكر حتى من الصبيان
والنساء، والضعفاء، وذلك ثأراً لأناس قتلوا قبل عشرات السنين. أي قبل

(١) راجع: البحار ج ٢١ ص ١٢٦ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ وعن إعلام
الورى ج ١ ص ٢١٧ والأنوار العلوية للنقدي ص ١٩٩.

ولادة كثير من هؤلاء الضحايا بسنوات كثيرة بلا ريب..
فالثأر يهدف إلى التدمير والإبادة والاستئصال حتى للبريء..
وقد قال سهيل بن عمرو لنوفل بن الحرث بن معاوية: «وأنت قد
حصدتهم، تريد قتل من بقي»؟

وإذا كان الحاكم هو منطق الأحقاد والضغائن، لا الأخلاق والقيم
والمبادئ والشرع، أو العقل، فلا بد من أن ينتج هذا السلوك حرصاً على
مقابلة الإساءة بالإساءة، والتدمير والاستئصال حتى للأبرياء بمثله،
ويحول الوحدة إلى تشتت وتفريق، والجماعة والعصبة إلى تمزق، ويتحول
اهتمام المجتمع من العمل على لم الشعث، والتعاون على البر والتقوى،
ليصبح تعاوناً على الإثم والعدوان وعلى معصية الله ورسوله.
وهذا هو الفرق بين الثأر والقصاص.

فإن القصاص إجراء تربوي إصلاحي، يهدف إلى إرساء قواعد القسط
والعدل، وإلى جعل الحياة أكثر صفاء ونقاء، بل أكثر حيوية وقوة واندفاعاً،
على قاعدة: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} ^(١).

وفي القصاص حفاظ على النفوس، ومحاصرة للجريمة، وخنق لها في
مهدّها، وقطع دابرها، وإعفاء آثارها..

والقصاص معناه: حصر الجريمة في مصدرها وهو المجرم نفسه، ثم
استئصاله واستئصالها به، وتطهير المحيط منه ومنها.

والقصاص يرسى قواعد الأمن المجتمعي، ويبعد الناس عن العيش في

(١) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

..... : :

أجواء التأمر، والكيد والتربص شراً بالآخرين وينمي حالة الثقة والتعاون فيما بين الناس.

والقصاص يهيئ الأجواء لإشاعة مفهوم الكرامة للإنسان، ويؤكد قيمته، ويحدُّ من الطموح للتعدي عليه وهتك حرمة..

وبالقصاص يعطي العدل قيمته ومعناه، وينصب أمام أعين الناس مثلاً وقيماً ومعاني إنسانية لتكون موضع طموحهم، وغاية ومنتهى آمالهم.

الفصل الثاني:

إلى المدينة: خبر وشكوى

النبي ' يخبر بالغيب عن نقض العهد:

روي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعائشة صبيحة كانت وقعة بني نفاثة وخزاعة بالوتير: «يا عائشة، لقد حدث في خزاعة أمر». (أو قال: لقد حرت في أمر خزاعة)^(١).
فقلت عائشة: يا رسول الله، أترى قريشاً تجترئ على نقض العهد الذي بينك وبينهم، وقد أفناهم السيف؟
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ينقضون العهد لأمر يريد الله تعالى».

فقلت: يا رسول الله، خير؟
قال: «خير»^(٢).

وعن ميمونة بنت الحارث: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بات عندها ليلة، فقام ليتوضأ إلى الصلاة، فسمعتة يقول في متوضئه: «لييك، لبيك، لبيك - ثلاثاً - نصرت، نصرت، نصرت - ثلاثاً».

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠١ و ٢٠٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٨٨
والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦١.

قالت: فلما خرج قلت: يا رسول الله، سمعتك تقول في متوضئك: «لييك، لبيك - ثلاثاً - نصرت، نصرت - ثلاثاً» كأنك تكلم إنساناً، فهل كان معك أحد؟

قال: «هذا راجز بني كعب يستصرخني، ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بكر بن وائل».

قالت ميمونة: فأقمنا ثلاثاً ثم صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصبح بالناس، فسمعت الراجز ينشد:
يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلادا
فذكرت الرجز الآتي^(١).

لماذا عائشة دون سواها؟!:

إننا لا نريد أن نثير أي سؤال ذا طابع تشاؤمي حول سبب مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى إخبار عائشة دون سواها بهذا الأمر الغيبي الخطير، الذي سوف يظهر صدقه، وتتجلى دلائله وبراهينه في وقت قصير.. وقد كان بإمكانه «صلى الله عليه وآله» أن يذكر هذا الغيب في ملأ من الناس، ليصبح أكثر شيوعاً، وليسهم - من ثم - في تثبيت إيمان الناس،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٢ عن الطبراني في المعجم الكبير، وفي المعجم الصغير، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ و ٧٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ وراجع: فتح الباري (ط دار المعرفة) ج ٧ ص ٤٠٠ والمعجم الصغير ج ٢ ص ٧٣ والمعجم الكبير ج ٢٣ ص ٤٣٤ ودلائل النبوة للأصبهاني ص ٧٣ والإصابة ج ٤ ص ٥٢٢.

والربط على قلوبهم..

وإنما نريد هنا أن نشير فقط: إلى أن تخصيص عائشة بهذا الخبر الغيبي الخطير، من شأنه أن يجعلها أكثر حرصاً على رواية هذا الحدث، وإشاعته، ما دام أنها ترى فيه تأكيداً على دورها المميز، وحضورها الفاعل. ثم هو يوحي بأنها كانت بحاجة لمزيد من الدلائل والشواهد على رعاية الغيب لمسيرة الرسالة والرسول، ليحيا من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة..

وغني عن القول: أن هذا التبرير أو ذاك يبقى في دائرة التظني أو الاحتمال، ولا يجد ما يلغيه أو ما يؤكد بصورة قاطعة ويقينية، فما علينا إذا أوكلنا أمر ذلك إلى المزيد من التأمل والتدبر أي جناح..

حرت في أمر خزاعة:

وأما بالنسبة لما زعمه الواقدي: من أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «لقد حرت في أمر خزاعة»^(١)، فهو مرفوض جملة وتفصيلاً لأسباب عديدة، نذكر منها:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يتحير في هذا الأمر ولا في سواه، فإن التكليف الإلهي واضح لديه، وهو واضح هنا أيضاً لكل أحد، إذ لا بد له من التعاطي مع ناكثي العهود بما يوجبه الشرع والدين.. وهو «صلى الله عليه وآله» مسدد بالوحي، عارف بأمر الله، وهو عقل الكل، وإمام الكل، ومدبر الكل، فلم يكن ليخفى عليه وجه الصلاح، ولا حكم

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٨.

الله في هذا الأمر.

ثانياً: إذا كان لا بد من الحيرة، فلا بد من أن تكون حيرة في أمر قريش، وبكر بن وائل، لا في أمر خزاعة. فإن خزاعة قد نُكبت وظلمت، فلا بد من التفكير في طريقة كف الظالم عن ظلمه، وردع الباغي عن بغيه بعد أن لم ينتفعوا بالآيات والنذر، ولم يستجيبوا لنداء العقل، ولم يلتزموا بما يوجبه عليهم معنى الرجولة والشهامة، وغير ذلك من معاني كانوا يزعمون أن لها دوراً وموقعاً في حياتهم، وفي قراراتهم، وحركاتهم، وإقدامهم، وإحجامهم.

سلب الألفاف الإلهية:

إن الشرك والكفر من أعظم الذنوب التي لا يبقى معها أيّ أهلية للطف الإلهي، ولكن عدم الأهلية هذا لا يفرض حجب الألفاف بصورة قاطعة ونهائية.. فقد تكون هناك عوامل أخرى توجب التفضل الإلهي على فاقد الأهلية، بسبب ابتلائه بالشرك.. فمن كان سخيّاً، أو حليماً، أو باراً بوالديه، أو بغيرهما من ذوي رحمه، ربما يتفضل الله تعالى عليه ببعض العنايات والتوفيقات، حفظاً لتلك الخصال، أو مكافأة على بعض الأفعال، أو لطفاً بغيره من أهل الحاجة والاستحقاق..

وقد ورد: أن بعض خصال الخير التي تكون في غير المؤمنين إنما جعلها الله فيهم لأجل حفظ أهل الإيمان.

فقد روي عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال: إن الله تبارك وتعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه، ليعيش أولياؤه مع أعدائه في دولاتهم.

وفي رواية أخرى: ولولا ذلك لما تركوا ولياً لله إلا قتلوه^(١).

وقد أتى «صلى الله عليه وآله» بأسارى، فأمر بقتلهم باستثناء رجل منهم، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا محمد، كيف أطلقت عني من بينهم؟! فقال: أخبرني جبرئيل عن الله عز وجل أن فيك خمس خصال يحبها الله ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، والسخاء، وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة.

فلما سمعها الرجل أسلم الخ^(٢).

وهناك قضية أخرى تدخل في هذا السياق، وقد تكون نفس هذه القضية، وقد تكون غيرها فراجعها^(٣).

وفي المقابل، ربما يكون لبعض الموبقات، التي يرتكبها المشرك أو

(١) راجع: البحار ج ٦٨ ص ٣٧٨ عن الكافي ج ٢ ص ١٠١ وشرح أصول الكافي ج ٢ ص ٢٩٢ ومجمع البحرين ج ٣ ص ٢٧٧ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٩١.

(٢) البحار ج ٦٦ ص ٣٨٣ وج ٦٨ ص ٣٨٤ و ٣٨٥ عن الأملاني للصدوق ص ١٦٣ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٣٤٥ والخصال للصدوق ص ٢٨٢ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص ٣٧٧ و ٣٨٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ١٥٥ و (ط دار الإسلامية) ج ١٤ ص ١٠٩ ومشكاة الأنوار لأبي الفضل علي الطبرسي ص ٤١٧.

(٣) البحار ج ٦٨ ص ٣٩٠ وج ٤١ ص ٧٣ و ٧٥ والأملاني للصدوق ص ٩٣ و ٩٤ و (ط مؤسسة البعثة) ١٦٧ و ١٦٨ ومستدرك الوسائل ج ٨ ص ٤٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٦ والخصال ج ١ ص ٩٦ ومشكاة الأنوار لأبي الفضل علي الطبرسي ص ٤٠٩ والجواهر السنية للحر العاملي ص ١٣٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٤١٩.

الكافر، أثر في تأكيد حجب جميع أشكال ودرجات التوفيق، وإيكال هذا المجرم إلى نفسه بصورة تامة ونهائية، لينتهي به الأمر إلى أن يؤثر ذلك حتى على مستوى إدراكه، أو على سلامة هذا الإدراك، أو يوقع هذا المجرم في بحر من الغفلة، والجهل، والجهالة التي قد تصل إلى حد الغواية التامة عن طريق الرشد، في أبسط مراتبه، وأدنى حالاته..

وهذا هو ما حصل لقريش بالفعل، كما ربما يفيد قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعائشة: «ينقضون العهد لأمر يريد الله» حيث كان لا بد من حسم أمر الطغيان القرشي، لينتفش الشعور بالعزة لأهل الإيمان، ويتأكد سقوط عنفوان الشرك، ويعيش رموزه حالة الذل والخزي الأمر الذي من شأنه أن يفسح المجال أمام دعوة الحق والإيمان لتأخذ طريقها إلى قلوب المستضعفين، الذين كانوا بأمس الحاجة إليها.

وكان الطريق إلى ذلك هو ترك قريش لتتمادى في ممارسة دورها وفق ما يحلو لها، وترتكب حماقاتها، وتظهر على حقيقتها، ويتجلى خزيها لكل أحد، لتنال جزاء أعمالها بعيداً عن أي لبس أو شبهة، أو تأويل خادع.

النبي .. ونصر بني كعب:

وقالوا: إن عمرو بن سالم الخزاعي خرج في أربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويخبرونه بالذي أصابهم، وما ظهرت عليهم قريش، ومعاونتها لهم بالرجال، والسلاح، والكراع، وحضور صفوان بن أمية، وعكرمة، ومن حضر من قريش. وأخبروه بالخبر، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس في المسجد بين أظهر

الناس، ورأس خزاعة عمرو بن سالم، فلما فرغوا من قصتهم، قام عمرو بن سالم، فقال:

يا رب إني ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلا
قد كنتم ولداً وكنا والدا	ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيّتوننا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعاً وسجدا
وجعلوا لي في كداء رصدا	فانصر رسول الله نصرا أيدا
وادعُ عباد الله يأتوا مددا	فيهم رسول الله قد تجردا
أن سيم خسفاً وجهه تربدا	في فيلق كالبحر يجري مزبدا

قرم لقرم من قروم أصيدا

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حسبك يا عمرو، أي: ودمعت عيناه».

أو قال: «نصرت يا عمرو بن سالم».

فما برح حتى مرت عنانة (أي سحابة) من السماء فرعدت، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٣٤ ودلائل النبوة ج ٥ ص ٧ وعن: الطبراني في الكبير والصغير، عن ميمونة بنت الحارث، والبزار بسند جيد عن أبي هريرة، وابن أبي شيبة في المصنف عن =

وفي المنتقى: أنه «صلى الله عليه وآله» لما كان بالروحاء نظر إلى سحاب منصب، فقال: إن هذه السحابة لتستهل (ليتنصب) الخ..^(١)
وروي بسند جيد عن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» غضب مما كان من شأن بني كعب غضباً لم أره غضبه منذ زمان. وقال: «لا نصرني الله - تعالى - إن لم أنصر بني كعب»^(٢).

= عكرمة، والبيهقي عن ابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخه، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ وراجع السيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٥٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٢٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٠٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٥٢٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣١٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ والبحار ج ٢١ ص ١٢٥ عن إعلام الوري، وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٤.

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٤ والمعجم الصغير ج ٢ ص ٧٤ والمعجم الكبير ج ٢٣ ص ٤٣٤ ودلائل النبوة للأصبهاني ص ٧٤.
(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٣ وفي هامشه عن: مسند أبي يعلى ج ٧ ص ٣٤٣ (٢٤/٤٣٨٠)، وذكره الهيثمي في المجمع ج ٦ ص ١٦٤ وعزاه لأبي يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنهما. وقد وثقهما ابن حبان، وبقيّة رجاله رجال الصحيح، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٣٥٦) وراجع: مجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ص ١٦١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٢.

وعن ابن عباس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لما سمع ما أصاب خزاعة، قام - وهو يجر رداءه - وهو يقول: «لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي»^(١).

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «والذي نفسي بيده، لأمنعهم مما أمنع منه نفسي، وأهلي، وبيتي»^(٢).

ويتابع المؤرخون، فيقولون: فلما فرغ الركب قالوا: يا رسول الله، إن أنس بن زعيم الديلي قد هجأك، فهذر رسول الله «صلى الله عليه وآله» دمه^(٣).

فبلغ أنس بن زعيم ذلك، فقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» معتذراً عما بلغه فقال قصيدة منها:

أأنت الذي تهدي معد بأمره بل الله يهديهم وقال لك اشهد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد

إلى آخر القصيدة..

وبلغت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قصيدته واعتذاره. وكلمه

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٨ و ٢٦١ .

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٤ (٩٧٣٩) وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٣ عنه وعن الواقدي، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩١.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٨٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ٢٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٩٠ و ١٢٠ وج ٤ ص ١٠٥ والإصابة ج ١ ص ٢٧١ والأعلام ج ٢ ص ٢٤.

نوفل بن معاوية الديلي فيه، وقال له:

أنت أولى الناس بالعفو، ومن منا لم يعادك ولم يؤذك؟ ونحن في جاهلية، لا ندري ما نأخذ وما ندع، حتى هدانا الله بك من الهلكة، وقد كذب عليه الركب، وكثروا عندك.

فقال: دع الركب، فإننا لم نجد بتهامة أحداً من ذي رحم ولا بعيداً كان أبر بنا من خزاعة.

فأسكت نوفل بن معاوية.

فلما سكت قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قد عفوت عنه.

فقال نوفل: فذاك أبي وأمي^(١).

نوفل يضيع الحق:

ونقول:

إن كلام نوفل لم يكن منصفاً ولا دقيقاً، فلاحظ ما يلي:

١ - إنه يبدو: أن كلام نوفل بن معاوية كان يهدف إلى تصغير ذنب أنس من جهة، وإلى تضييع الحق من جهة أخرى.

فما قاله يؤدي إلى أن يصبح عفو رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مرتكب هذا الجرم العظيم، الذي يرمي إلى إلحاق الوهن بالإسلام، من خلال الجرأة على نبيه، يصبح عفوه عن جرم كهذا غير ذي أهمية، بل هو سيجعل ذلك واجباً إنسانياً إلى حد يكون معه النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٨٣ وراجع: الإصابة ج ١ ص ٢٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٠ ص ٢٣.

..... : :
نفسه في موقع الاتهام في نبلة، وفي أخلاقه الحميدة، وفي سجايه الكريمة،
وحقيقة التزامه بالقيم، ورعايته للمثل العليا، وللمعاني الإنسانية.

فإذا كان «صلى الله عليه وآله» فاقداً لمثل هذه الفضيلة - والعياذ بالله -
فإن تحليّه بما هو أسمى منها يصير موضع شك وريب، ويدعو إلى تفسير
بعض ما يصدر عنه بطريقة أخرى، تبعده عن أن يكون ناشئاً عن خلق
رضي، وعن نفس تعيش معنى السباحة، والنبيل، وسائر المعاني الإنسانية
الفاضلة والرفيعة.

٢ - إن كلام نوفل قد تضمن المساواة بين الوفي والغادر، وبين المؤذي
عن جهل، وبين من يخطط للإيذاء، وبين من يعادي الشخص لأمر
شخصية، وفي أمور جزئية، وبين من يعادي المبادئ والقيم، ويسعى لإطفاء
نور الله عن علم، وهذا من نوفل: إما ظلم واضح، أو جهل فاضح.
وفي كلتا الحالتين يفترض برسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن يتصدى
لدفع الظلم ورفع الجهل.

٣ - إن نوفل بن معاوية يدّعي: أن الأخبار التي بلغت رسول الله
«صلى الله عليه وآله» تشتمل على أكاذيب، ولكنه لم يقدم أي دليل أو إشارة
تثبت صحة هذه الدعوى.

مع العلم: بأن هذا التكذيب ليس له ما يبرره، فإن الشهادة على النفي
من شخص واحد لا يمكن أن تعارض الشهادة على الإثبات، خصوصاً إذا
كانت شهادة الإثبات تصدر عن جماعة كبيرة من الناس. كانت الشهادة
تتناول حقبة زمنية واسعة لا مجال للاطلاع على تفاصيلها.

فإن فعل الهجاء قد يغيب عنه شخص، ويحضره أشخاص آخرون،

وهم قد يقلون وقد يكثرون. فكيف أجاز نوفل بن معاوية لنفسه أن يقيم هذه الشهادة العجيبة أمام سيد عقلاء العالم المؤيد بالوحي، ويحظى بالتسديد واللفظ الإلهي؟!

٤ - إن هذه الشهادة تستبطن درجة من الاتهام لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه يتسرع باتخاذ قراراته في حق الأشخاص إلى حد أنه يبادر إلى إهدار دماء الناس استناداً إلى أكاذيب يزجها إليه ركب زائر..

٥ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد بين: أن نوفلاً لم يكن صادقاً فيما قدمه من تبريرات، وقد صرح له: بأن الوقائع قد جاءت لتثبت خلاف مزاعمه، فأسكت نوفل ولم يدر ما يقول..

٦ - لقد رأينا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يتراجع عن قراره بإهدار دم أنس بن رزين، ولم يعر لمزاعم نوفل أي اهتمام، وإنما عفا عنه بعد أن أكذب نوفلاً فيما زعم، فجاء العفو عن ابن زنيم تكرماً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا انصياعاً لمنطق نوفل.

غضب النبي ' لبني كعب:

وقد كان غضب النبي «صلى الله عليه وآله» لبني كعب شديداً، حتى إن عائشة لم تره قد غضب إلى هذا الحد منذ زمان. ولكنه «صلى الله عليه وآله» لم يغضب لنفسه، ولا لعشيرته، ولا لفوات منفعة، ولا كان غضبه حنقاً غير مسؤول، يخرج عن حدود المقبول والمعقول، بل كان غضباً لله تعالى، وانتصاراً للمظلوم من ظالمه، ولأجل المنع من العدوان على القيم الإنسانية، والمثل العليا..

..... : :
إن هذا الغضب واجب شرعي وأخلاقي وعقلي، ناشئ عن الشعور
بالمسؤولية، وفي سياق مراعاة الحكم الشرعي، والإصرار على تطبيق القيم
الإنسانية بأمانة وبدقة..

وغني عن القول: أن هذا الغضب لم يخرج رسول الله «صلى الله عليه
 وآله» عن جادة الحق، والإنصاف، والاعتدال.
بل هو من أجل إرغام الخارجين عن هذه الجادة على الرجوع إليها..

نصرت يا عمرو بن سالم:

قد لاحظنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يصر على الجهر بتصميمه
على نصرة المظلومين من خزاعة، وهو يستخدم في بياناته لهذا النصر صيغة
فعل الماضي، وكأنه يخبر عن حصول هذا الأمر فيما مضى من الزمان، حتى
أصبح كأنه تاريخ يحكى، فيقول لعمر بن سالم: «نُصرت يا عمرو بن سالم»
ولم يقل: ستنصر، أو نحو ذلك.

ويقول في إخباره الغيبي بما حصل: «لبيك، لبيك، لبيك». نُصرت،
نُصرت، نُصرت». ولم يقل: سوف أنصرك..
وقد تحقق مضمون هذه التلبية، ونصر «صلى الله عليه وآله» بني كعب
أجل نصر، وأتمّه وأوفاه..

لا نصرنى الله إن لم أنصر بني كعب:

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى تأكيد تصميمه على
نصر بني كعب، بأسلوب قد يفاجئ الكثيرين، وهو الطلب إلى الله أن
يجب عنه نصره، إن لم يقم بهذا الواجب..

غير أننا نقول:

إن هذا الطلب يمكن تفسيره: بأن من يتخلى عن واجبه الشرعي لا يستحق اللطف والنصر الإلهي، هذا إن اقتصر الأمر على المعاملة وفقاً لمبدأ المقابلة بالمثل..

في حين أن من يتخلف عن واجبه الشرعي يستحق الطرد من ساحة الرضا الإلهي، ليصبح من يفعل ذلك في معرض غضبه تبارك وتعالى.. وبما أن هذا الأمر لا يظن صدوره من أي إنسان مؤمن بالله ملتزم بأوامره ونواهيه، فيرد السؤال عن معنى أن يجعل أعظم وأفضل وأكرم الأنبياء نفسه في دائرة احتمال التخلف عن هذا الواجب، ومخالفة التكليف الإلهي.

ويمكن أن نجيب بما يلي:

أولاً: قد يقال: إن ذلك جارٍ على طريقة هضم النفس، حيث إن المفروض هو: أن يتعامل «صلى الله عليه وآله» مع نفسه بغض النظر عن اللطف الإلهي، وعن العصمة.. وهذا أمر شائع ومعروف.. فهذه الكلمة تشبه قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما أنا في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله بلطف منه^(١).

(١) راجع: الكافي ج ٨ ص ٢٩٣ و (ط مطبعة الحيدري) ص ٣٥٦ والبحار ج ٢٧ ص ٢٥٣ وج ٤١ ص ١٥٤ وج ٧٤ ص ٣٥٨ و ٣٥٩ ونهج البلاغة (بتحقيق عبده) (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٠١ و (ط دار التعارف بيروت) ص ٢٤٥ خطبة ٢١٦. ونهج السعادة ج ٢ ص ١٨٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١١ ص ١٠٢ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٥٢٨ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٩٩.

..... : :

وإذا نظرنا إلى الأمور من حيثة أخرى فسنجد: أن الله تعالى الذي يعامل الناس العاديين من مقامه الربوبي، فيعتمد منطق الرحمة، والرفق، والغفورية، والتوابة، والترغيب، والترهيب وغير ذلك.. يعامل أنبياءه «عليهم السلام» من موقع الألوهية، فيضع لهم النقاط على الحروف بكل صراحة وحزم، فيقول لواحد من هؤلاء الأنبياء: {لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} ^(١).

ويقول: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} ^(٢)..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعطي القاعدة للناس؛ ليعرفوا: أن الحكم الإلهي الذي يجريه على كل البشر، هو أن نفس ترك نصره المظلوم يستتبع فقدان النصر الإلهي في موضع الحاجة إليه وله هذا الأثر، بغض النظر عن أية خصوصية أخرى.

فهو «صلى الله عليه وآله» قد استخدم أفضل أسلوب بياني تطبيقي، يجسد الفكرة للآخرين بصورة حية وواقعية، ويسهل إدراكها وفهمها على كل الناس.

ثالثاً: إن الواجب عليه «صلى الله عليه وآله» هو مجرد النصر لبني كعب، بحيث يرتفع الظلم عنهم، ولا يجب عليه أن ينصرهم مما ينصر منه نفسه وأهل بيته، فإن هذه المرتبة أعلى وأشد من تلك المرتبة، فالذي تعهد

(١) الآية ٥٦ من سورة الزمر.

(٢) الآيات ٤٤ - ٤٦ من سورة الحاقة.

بالقيام به يزيد على الدرجة التي تجب عليه، فاحتاج إلى تأكيد هذا الالتزام بهذا النحو من المبادرة والتضحية بالنصر الإلهي حين الاحتياج إليه. وعلى هذا الوجه لا يكون حجب النصر الإلهي عنه دليلاً على غضب الله، بل يكون لأجل أنه قد رضي بارتهان نصرٍ كان الله قد ادّخره له، بإعطاء درجة من نصر لم تكن مطلوبةً منه، ولا كانت واجبةً عليه..

السحابة تستهل بنصر بني كعب:

وعن حديث استهلال السحابة بنصر بني كعب نقول: قد يروق للبعض أن يضع قوله «صلى الله عليه وآله» هذا في سياق التفاؤل بالمطر، الذي تحيا به البلاد والعباد.. غير أن هذا التفسير يبقى غير دقيق، إن لم نقل: إنه يفقد هذه الكلمة مغزاها، ومرماها بدرجة كبيرة.. ولعل الأقرب إلى الاعتبار أن نقول: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد الإشارة إلى أمور: أحدها: أن هذا النصر منسجم مع طبيعة الحياة ومقتضياتها، وهو مما يتطلبه كل شيء حتى هذا المطر العارض الذي لم ينزل بعد.. ثانيها: الإشارة إلى شدة قرب هذا النصر، فإن بشائره المؤذنة بقرب نزوله حاضرة كحضور بشائر وأمارات نزول المطر، كظهور السحب، والرعد ونحوه. ثالثها: التأكيد على حتميته، كحتمية نزول المطر من تلك السحابة.. رابعها: أنه نصر داهم وغامر، كالمطر الداهم والغامر..

..... : :
خامسها: إن هذا النصر نازل من السماء، وهو هبة إلهية، تماماً كالمنزل النازل، الذي هو عطاء إلهي.

دخل بيت عائشة أم ميمونة؟!:

ويزعم الواقدي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعمر بن سالم: ارجعوا، وتفرقوا في الأودية. وقام «صلى الله عليه وآله» ودخل على عائشة وهو مغضب، فدعا بقاء، فدخل يغتسل، قالت عائشة: فأسمعه يقول، وهو يصب الماء: لا نصرت إن لم أنصر بني كعب^(١).
ونقول:

إن نفس هذه القضية قد ذكرت للنبي «صلى الله عليه وآله» مع ميمونة، لا مع عائشة^(٢).

ولربما يروق للباحث أن يرجح هذه الرواية وهي رواية ميمونة، لأنه اعتاد أن يرى هنا وهناك عمليات سطو على الأدوار، وعلى الفضائل والكرامات، وعلى المواقف. يصل ذلك إلى حد الاختلاف ووضع الحديث على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو على لسان علي «عليه السلام» أو غيرهما، في سبيل تأييد شخص، أو فئة، أو تأكيد نهج فريق بعينه، يؤسفنا

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٢.
(٢) راجع: البحار ج ٢١ ص ١٠١ و ١٢٥ عن إعلام الوري ج ١ ص ٢١٥، وتفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩١ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٧٩ والجامع لأحكام القرآن (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٨٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٦٤.

أن نقول: أن عائشة كانت وكذلك أبوها، ومن هو في خطهما ونهجها أحد أركانها!!

هذا عدا ما يراه الباحث من تعمد سلب الفريق الآخر المناوئ لهؤلاء الكثير من الإمتيازات، أو التشكيك بها، أو تجاهلها، أو التعتيم عليها. ثم هو يرى: ما يبذل من جهد لتلميع صورة هذا أو ذاك من الناس، وتأويل مواقفه السيئة، أو التشكيك بها، أو نسبتها إلى غيره، أو ما إلى ذلك..

وذلك كله يهيئ الأجواء لانطلاق احتمال أن تكون قد حصلت عملية سطو هنا أيضاً لنفس الأسباب التي دعت إلى نظائر لها شوهدت في الكثير من المواقع والمواضع.. وفي هذا الكتاب أمثلة عديدة تدخل في هذا السياق..

ابن ورقاء أول المخبرين:

ذكر المؤرخون: قدوم بديل بن ورقاء على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليخبره بما جرى على خزاعة، وبالمجزرة التي ارتكبت في بيته وعلى باب داره في حق الصبيان، والنساء والضعفاء^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٣ عن ابن إسحاق. وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٧ و ٧٨ والبحار ج ٢١ ص ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٥ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٢ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣١٩ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٥ وزاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١١٤٧ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير =

وذكروا أيضاً: لقاءه أبا سفيان في عسفان، حين كان أبو سفيان متوجهاً
إلى المدينة، وبديل عائد منها^(١).

ولكن محجن بن وهب يدّعي: أن بديل بن ورقاء لم يدخل مكة من
حين انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الحديبية، حتى لقيه في
الفتح بمر الظهران. قال محمد بن عمر: وهذا أثبت^(٢).

ونحن لا ندري لماذا يطلق الواقدي دعواه: بأن ما رواه محجن بن وهب
أثبت مما رواه ابن إسحاق وغيره.

ولا شك في أن هذه المبادرة من بديل بن ورقاء كانت محاطة منه ومن
معه بنطاق من السرية التامة، لأن اكتشاف قريش لهذا الأمر سوف يعرض
بديلاً ورفاقه لخطر عظيم، قد عاينوا بعض مظاهره ومستوياته حين حصر

= ج ٣ ص ٥٣٠ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣١٦ و (ط دار الكتب العلمية)
ص ٣١١ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨ وعن
إعلام الوری.

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٩١ و ٧٩٢ وسبل الهدى
والرشاد ج ٥ ص ٢٠٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢
ص ٧٨ والبحار ج ٢١ ص ١٠١ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٢ وتفسير الميزان
ج ٢٠ ص ٣٧٩ والثقات ج ٢ ص ٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٥ و
٣٢٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣١٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٥
وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٠ ومجمع البيان
ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٤ عن
الواقدي.

الخزاعيون في دار بديل، وسقط منهم كثير من الأبرياء قتلى في داخل تلك الدار، وعلى بابها..

ولذلك لم يستطع أبو سفيان معرفة حقيقة الأمر إلا من خلال النوى الذي وجده في بعر إبلهم.. ولكنه لم يتيقن هذا الأمر، فسكت عليه. على أن ذكر التفاصيل الدقيقة لما جرى في عسفان بين أبي سفيان وبين بديل، يقرب احتمالات الصحة، ويوهن احتمال الوهم من الراوي.. فإذا كانت رواية ذلك قد وردت بأكثر من طريق، وفي أكثر من مصدر، فإن حظوظ الحكم بصحة الرواية تصير أكبر وأوفر..
وأخيراً نقول:

إننا لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن من الممكن تعدد المخبرين لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيخبره عمرو بن سالم، ويخبره أيضاً بديل بن ورقاء.. وقد لا يعلم أي منهما بمسير الآخر خصوصاً في مثل تلك الظروف الصعبة..

عيننا رسول الله ' تدمعان:

ورد في بعض النصوص: ما يدل على مدى تأثر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين أخبره عمرو بن سالم بما جرى على خزاعة، حتى لقد دمعت عيناه «صلى الله عليه وآله».

وغني عن البيان: أن هذا التأثير إن دل على شيء، فإنما يدل على: كمال معنى الإنسانية فيه «صلى الله عليه وآله»؛ وعلى حقيقة التوازن في ميزاته وفي خصائصه «صلى الله عليه وآله»، فلم تكن لتطغى خصوصية على أخرى، أو

تستأثر بدورها إلى حد الإلغاء، بل كان لكل خصوصية موقعها، ودورها الذي يخدم ويقوي، ويسدد خصوصيات أخرى في أداء وظيفتها على أكمل وجه وأتمه..

ولأجل هذا التوازن الدقيق في الشخصية الإنسانية التي يريدنا الله تبارك وتعالى كان المؤمنون أشداء على الكفار رحماء بينهم.. وكان المؤمن قوياً شجاعاً وكان رقيقاً ورحيماً ورؤوفاً. وكان حازماً، حليماً. ولا يمكن أن يكون مؤمناً كاملاً من دون أن يستجمع هذه الصفات، ويعيشها، ويتفاعل معها بصورة صحيحة ومتوازنة..

فلا غرو إذا رأينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجاهد الكفار ويغلظ عليهم في حين تذهب نفسه عليهم حسرات.

ثم هو يتلقى سيوفهم، ورماحهم وسهامهم، ويردها عن نفسه ما وسعه ذلك، ثم هو يدعو لهم ويقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.. ومن جهة أخرى: إن هذه الرقة التي نراها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى إن عينيه لتدمعان وهو يسمع ما جرى على خزاعة، لم تكن هي المرتكز لموقفه من القتلة والمجرمين، بل لم يكن لها أي تأثير فيه، بل كان المرتكز والمؤثر في ذلك هو التكليف الشرعي، وطلب رضا الله تعالى، وإنزال القصاص العادل بالمعتدين والظالمين، من دون أي تعد عليهم، أو ظلم لهم، أو تجاوز للحد الشرعي والإنساني في التعامل معهم.

قام وهو يجرداءه:

وحين نتحدث الروايات المتقدمة: عن أنه «صلى الله عليه وآله» قد بلغ

به الغضب حداً جعله يقوم وهو يجز رداءه، فإنها تكون قد تجاوزت حدود المعقول والمقبول، بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ ليس لنا أن نصوره «صلى الله عليه وآله» بصورة من أخرجته غضبه عن طوره، إلى حد أنه لم يلتفت إلى ردائه ليسويه على نفسه، ويضعه بالصورة التي يفترض أن يكون عليها..

فإذا كان «صلى الله عليه وآله» بهذه المثابة من الانفعال، فكيف يمكن أن نطمئن إلى أنه كان يتخذ قراراته بروية وتعقل، وتدبر وتأمل؟! فلعل غضبه الشديد قد جعله غافلاً عن بعض الأمور التي لا بد من مراعاتها في تلك القرارات!

كما أن نسبة أمثال هذه الأمور له «صلى الله عليه وآله» لا تنسجم مع الاعتقاد بعصمته، وبتسديد الله له، وتأييده بالوحي.. ومع ما هو معروف عنه «صلى الله عليه وآله» من روية واتزان.

إلا أن يقال: إن المنهي عنه هو جر الرداء خيلاء وتكبراً، وأما إظهاراً لشدة الغضب لله تبارك وتعالى، وشريطة أن لا يترتب على ذلك أي محذور آخر، فما ذكرناه آنفاً ليس بقبیح، بل قد يكون محبوباً إلى الله تبارك وتعالى..

النبی ' یأمر مخبریه بالتفرق فی الأودیة:

وقالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعمر بن سالم وأصحابه «ارجعوا وتفرقوا في الأودية».

فرجعوا وتفرقوا، وذهبت فرقة إلى الساحل بعارض الطريق، ولزم

بدليل بن ورقاء في نفر من قومه الطريق^(١).

ونقول:

إن ما قام به عمرو بن سالم وأصحابه، من إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما جرى.. ليس من الأمور التي يمكن لقريش وبني بكر أن يتجاوزوها من دون اكتراث أو اهتمام.. بل هو بالنسبة إليهم وإليها قضية حاسمة ومصيرية، تجعلهم بين خيارين: البقاء والفناء، والحياة والموت.

وهم يرون: أنهم إذا استطاعوا إخفاء ما جرى عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو التخلص من المسؤولية عنه ومن تبعاته، فقد أفلحوا في الإبقاء على حالة الهدنة القائمة فيما بينهم وبين المسلمين.. ولعلمهم يقدرّون في وقت ما على استعادة بعض القوة لمواجهة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وربما يحلمون بأن ينتهي الأمر بحسم الأمور لمصلحتهم..

وأما إن ظهر نكتهم للعهد، واستمرت التحولات في هذا الاتجاه، فسيخسرون المعركة مع المسلمين، لأنهم لم يهيئوا لها ما يمنحهم ولو خطأ من الأمل ضعيفاً بأي نصر، مهما كان هزياً وضئيلاً..

بل إنهم ليدركون: أن قدراتهم قد تضاءلت عما كانت عليه بدرجة كبيرة وخطيرة، كما أن قدرات أهل الإسلام قد تنامت وكبرت، بل تضاعفت، ولا سيما بعد كسر شوكة اليهود في خيبر وسواها، ثم ما جرى في مؤتة..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٣ عن ابن عقبة والواقدي، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٧ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢. وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٢.

بل إن قدرات كثيرة قد أضيفت إلى قدرات المسلمين، حتى تضاعفت عما كانت عليه من قبل..

وذلك كله يشير إلى: أن اكتشاف قريش، وحلفائها لهذه النشاطات التي قام بها عمرو بن سالم وبديل بن ورقاء، سوف يدفعها للانتقام السريع والهائل والمريع من هؤلاء، ومن كل من يلوذ بهم، أو ينتمي إليهم، ومن دون أية رحمة أو شفقة..

وعلى هذا الأساس نقول:

إنه لم يكن من الحكمة في شيء أن يعود بديل بن ورقاء وعمرو بن سالم وأصحابهما إلى مكة ظاهرين معلنين، وكان التخفي والتستر على هذا الأمر ضرورة لا بد منها، ولا غنى عنها لحفظ حياتهم، وحياة كل من يلوذ بهم.. وقد جاء التوجيه النبوي الكريم منسجماً مع هذه الحقيقة حيث أبلغهم أن عليهم أن يتفرقوا حين عودتهم في الأودية والشعاب، وأن يسلكوا طرقاً مختلفة، حتى إذا تمكنت قريش وحلفاؤها من العثور على بعض منهم في بعض الأودية والمسالك، فإنها قد لا تظن أنهم يعودون من مهمة تعنيها وتتعلق بما حدث.

وحتى لو راودها احتمال من هذا القبيل، فقد لا يخطر على بالها: أن يكون هؤلاء شركاء في مهمتهم هذه.

ولو خطر ذلك أيضاً على بالها، وسألت عنه، فإن إنكار هذه الشراكة سوف يحد من دائرة الخطر ويؤكد لها احتمال أن يكون قد حصل شيء من ذلك بمبادرة شخصية، وربما تكون إزالة أساس هذا الاحتمال أيسر مما لو شوهدت جماعة كثيرة تمخر عباب تلك المنطقة، لأن ذلك سوف يقوي

..... : :
احتمال وجود أمر مهم دعا رجالات القرار لاتخاذ قرار بشأنه، وهذه الجماعة
بصدد تنفيذه.

وهذا ما يفسر لنا عدم قدرة أبي سفيان على التماذي في توجيه الأسئلة
لبديل بن ورقاء حينما لقيه بعسفان، فلجأ إلى فت أبعاد الإبل، ليرى نوى تمر
يثرّب فيها، وبعد ذلك لم يتمكن من الجزم بصحة ما دار في خلده، فأثر
السكوت، وانصرف عن استقصاء هذا الأمر..

..... : :

الفصل الثالث:

أبو سفيان في المدينة:
تدليس وخذاع

عروض النبي ' ورفض قريش:

عن ابن عمر، وحزام بن هشام الكلبي، ومحمد بن عبّاد بن جعفر: أن قريشاً ندمت على عون بني نفاثة، وقالوا: محمد غازينا.

فقال عبد الله بن أبي سرح: إن عندي رأياً، إن محمداً لن يغزوكم حتى يعذر إليكم، ويخيّركم في خصال كلها أهون عليكم من غزوه.

قالوا: ما هي؟

قال: يرسل إليكم أن دوا قتلى خزاعة، وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً، أو تبرؤوا من حلف من نقض الصلح، وهم بنو نفاثة، أو ينبذ إليكم على سواء، فما عندكم في هذه الخصال؟

فقال القوم: أحر بما قال ابن أبي سرح - وقد كان به عالماً -.

قال سهيل بن عمرو: ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بني نفاثة.

فقال شيبة بن عثمان العبدي: حفظت أحوالك، وغضبت لهم.

قال سهيل: وأي قريش لم تلده خزاعة؟

قال شيبة: ولكن ندي قتلى خزاعة، فهو أهون علينا.

وقال قرظة بن عبد عمرو: لا والله لا يودون ولا نبرأ من حلف بني

نفائة، ولكننا ننبد إله على سواء.

وقال أبو سفان: لفس هذا بشيء، وما الرأى إلا جحد هذا الأمر، أن تكون قرش دخلت فى نقض عهد، أو قطع مدة، وإنه قطع قوم بغير رضى منا ولا مشورة، فما علينا.

قالوا: هذا الرأى لا رأى غيره^(١).

وقال عبد الله بن عمر: إن ركب خزاعة لما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبروه خبرهم، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فمن تهمتكم وظنتكم»؟

قالوا: بنو بكر.

قال: «أكلها»؟

قالوا: لا، ولكن بنو نفائة قصرة، ورأس القوم نوفل بن معاوية النفائي.

قال: «هذا بطن من بني بكر، وأنا باعث إلى أهل مكة، فسائلهم عن هذا الأمر، ومخيرهم فى خصال ثلاث».

فبعث إليهم ضمرة - لم يسم أباه محمد بن عمر - لمخيرهم بين إحدى خلال، بين أن يدوا قتلى خزاعة، أو يبرؤوا من حلف بني نفائة، أو يند إليهم على سواء.

فأتاهم ضمرة رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأناخ راحلته

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٤ عن ابن عائذ، والواقدي، ومسدد فى مسنده بسند صحيح، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٧ و ٧٨٨ وشرح النهج للمعتزلى ج ١٧ ص ٢٦١.

باب المسجد، فدخل وقريش في أنديتها، فأخبرهم أنه رسول رسول الله وأخبرهم بالذي أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» به.

فقال قرظة بن عبد عمرو الأعمى: أما أن ندي قتلى خزاعة، فإن نفائة فيهم عرام، فلا نديهم حتى لا يبقى لنا سبد ولا لبد، وأما أن نتبرأ من حلف نفائة فإنه ليس قبيلة من العرب تحج هذا البيت أشد تعظيماً له من نفائة، وهم حلفاؤنا، فلا نبرأ من حلفهم، أو لا يبقى لنا سبد ولا لبد، ولكن ننبد إليه على سواء.

فرجع ضمرة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك من قولهم. وندمت قريش على رد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعثت أبا سفيان فذكر قصة مجيئه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما سيأتي^(١).

مساع فاشلة لأبي سفيان:

روى محمد بن عمر عن حزام بن هشام عن أبيه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لكنكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدّد العهد، وزد في الهدنة (ليشد العقد ويزيد في المدة). وهو راجع بسخطه»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٤ و ٢٠٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ والمطالب العالية ج ٤ ص ٢٤٣ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٦ و ٧٨٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٥ عن عبد الرزاق عن نعيم، مولى ابن عباس وعن ابن أبي شيبه عن عكرمة، وعن الواقدي، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي =

وروي: أن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا إلى أبي سفيان بن حرب، فقالا: هذا أمر لا بد له من أن يصلح، والله لئن لم يصلح هذا الأمر لا يروكم إلا محمد في أصحابه. فقال أبو سفيان: قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وأفظعتها وخفت من شرها.

قالوا: وما هي؟

قال: رأت دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخدمة ملياً، ثم كأن ذلك الدم لم يكن، فكره القوم الرؤيا^(١). وفي نص آخر زعموا: أنه لما بلغ أبا سفيان ما فعلت قريش بخزاعة - وهو بالشام - أقبل حتى دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، احقن دم قومك الخ..^(٢).

= (صبيح) ج ٤ ص ٨٥٥ و (ط دار المعرفة) ص ٢٧ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٣ و مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨ و الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٦٤ و جامع البيان للطبري ج ٢ ص ٨٤ و البحار ج ٢١ ص ١٠١ و زاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١١٤٧ و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩١ و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ و (ط دار المعرفة) ص ٣ و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٥ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٩.
(٢) البحار ج ٢١ ص ١٠١ و ١٢٦ عن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٧، وعن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧ وراجع: تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٢ =

وقال أبو سفيان لما رأى ما رأى من الشر: هذا - والله - أمر لم أشهده، ولم أغب عنه، لا يحمل هذا إلا عليّ، ولا والله ما شوورت فيه، ولا هويته حين بلغني، والله، ليغزونا محمد إن صدقني ظني، وهو صادقي، وما بد من أن آتي محمداً فأكلمه أن يزيد في الهدنة، ويجدد العهد. فقالت قريش: قد والله أصبت.

وندمت قريش على ما صنعت من عون بني بكر على خزاعة، وتخرجوا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يدعهم حتى يغزوهم. فخرج أبو سفيان، وخرج معه مولى له على راحلتين، فأسرع السير، وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلقي بديل بن ورقاء بعسفان، فأشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بل كان اليقين عنده، فقال للقوم: أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها؟ قالوا: لا علم لنا بها.

فعلم أنهم كتموه، فقال: أما معكم من تمر يثرب شيء تطعموناه؟ فإن لتمر يثرب فضلاً على تمر تهامة. قالوا: لا.

= وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج ٧٣ ص ٨٨ و (ط دار الفكر) ج ٧٩ ص ١٥٠ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٩ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٧٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٦.

فأبت نفسه أن تقرّه حتى قال: يا بديل: هل جئت محمداً؟
قال: لا ما فعلت، ولكن سرت في بلاد بني كعب وخزاعة من هذا
الساحل، في قتل كان بينهم، فأصلحت بينهم.
فقال أبو سفيان: إنك - والله - ما علمت بر واصل.
ثم قال لهم أبو سفيان حتى راح بديل وأصحابه، فجاء أبو سفيان
منزلهم ففت أبعاد أباعرهم، فوجد فيها نوى من تمر عجوة كأنها السنة
الطير، فقال أبو سفيان: أحلف بالله لقد جاء القوم محمداً^(١).
وكان القوم لما كانت الوقعة خرجوا من صبح ذلك اليوم فساروا
ثلاثاً، وخرجوا من ذلك اليوم فساروا إلى حيث لقيهم أبو سفيان ثلاثاً،
وكانت بنو بكر قد حبست خزاعة في داري بديل ورافع ثلاثة أيام يكلمون
فيهم، واثممرت قريش في أن يخرج أبو سفيان، فأقام يومين. فهذه خمس بعد
مقتل خزاعة.
وأقبل أبو سفيان حتى دخل المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج
النبي «صلى الله عليه وآله»، فأراد أن يجلس على فراش رسول الله «صلى الله
عليه وآله» فطوته دونه.

فقال: يا بنية!! أرغبت بهذا الفراش عني أو بي عنه؟
قالت: بل هو فراش رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنت امرؤ مشرك

(١) المغازي للواقدي ص ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٩١ و ٧٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥
ص ٢٠٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ و (ط دار المعرفة) ص ٣ وأشار إلى ذلك
في: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ والبحار ج ٢١ ص ١٠١ و ١٠٢ وتاريخ
الخميس ج ٢ ص ٧٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٩ - ٢٦٢.

نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر.

فقلت: بل هداني الله للإسلام. وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟

فقام من عندها، فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في المسجد، فقال: يا محمد!! إني كنت غائباً في صلح الحديبية، فاشدد العهد، وزدنا في المدة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فلذلك جئت يا أبا سفيان؟»

قال: نعم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل كان من قبلكم من حدث؟»

قال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبذل.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فنحن على مدتنا وصلحنا يوم

الحديبية لا نغير ولا نبذل».

فأعاد أبو سفيان على رسول الله «صلى الله عليه وآله» القول، فلم يرد

عليه شيئاً^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ و (ط دار المعرفة) ص ٣ وراجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨ والبحار ج ٢١ ص ١٠١ و ١٠٢ و ١٢٦ عن إعلام الوري ج ١ ص ٢١٧، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٢ و ٧٩٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٢ و ٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٥٠ و ١٥١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٢.

فذهب إلى أبي بكر فكلّمه، وقال: تُكلّم محمداً، أو تجير أنت بين الناس.
فقال أبو بكر: جوّاري في جوّار رسول الله «صلى الله عليه وآله».
زاد ابن عقبة: والله، لو وجدت الذر تقاتلكم لأعتتها عليكم.
فأتى عمر بن الخطاب، فكلّمه بمثل ما كلم به أبا بكر.
فقال: أنا أشفع لكم عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»!! فوالله، لو لم
أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ما كان من حلفنا جديداً فأخلقه الله، وما كان
منه متيناً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله.
فقال أبو سفيان: جوزيت من ذي رحم شراً^(١).
فأتى عثمان بن عفان فقال: إنه ليس في القوم أحد أقرب رحماً منك، فزد
في المدة، وجدد العهد، فإن صاحبك لا يرده عليك أبداً.
فقال عثمان: جوّاري في جوّار رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).
فأتى علياً «عليه السلام»، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني
جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى محمد.

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ و ٧٣ و (ط دار
المعرفة) ص ٣ وراجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ والبحار ج ٢١ ص ١٠١ و
١٠٢ و ١٢٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨
والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢١ و (ط مكتبة
المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٣.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط المعرفة)
ص ٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث)
ج ٤ ص ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨.

فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فأتى سعد بن عباد، فقال: يا أبا ثابت، أنت سيد هذه البحيرة، فأجر بين الناس، وزد في المدة.

فقال سعد: جواري في جوار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأتى أشراف قريش والأنصار، فكلهم يقول: جواري في جوار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما أيس مما عندهم، دخل على فاطمة الزهراء «عليها السلام» والحسن «عليه السلام» غلام يدب بين يديها، فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيري بين الناس؟

فقالت: إنما أنا امرأة، وأبت عليه^(١).

(وفي نص آخر: قالت: إنما أنا امرأة.

قال: قد أجارت أختك - يعني: زينب - أبا العاص بن الربيع، وأجاز ذلك محمد.

قالت: إنما ذاك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..)^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار =

فقال: مري ابنك هذا - أي الحسن بن علي «عليهما السلام» - فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ ابني ذلك، أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

(وفي نص آخر: ما يدري ابناي ما يجيران من قریش)^(٢).

زاد في الحلبيّة قوله: «قال: فكلمي علياً..»

فقالت: أنت تكلمه.

فكلم علياً فقال: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجوار»^(٣).

= المعرفة) ص ٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٤ وراجع: البحار ج ٢١ ص ١٠٢ و ١٢٦ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨ وإعلام الوری ج ١ ص ٢١٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٣٦٣.

(١) البحار ج ٢١ ص ١٢٦ وإعلام الوری ج ١ ص ٢١٨.

(٢) السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢٠ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٠ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٥٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٣٣ والبحار ج ٢٢ ص ٧٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ وزاد المعاد ج ١ ص ١١٤٧.

(٣) السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣.

..... : :

فقال لعلي «عليه السلام»: يا أبا الحسن!! إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني.

قال: والله ما أعلم شيئاً يغيب عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة.

قال: صدقت، وأنا كذلك.

قال: فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك.

قال: أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟

قال: لا والله، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس إني قد أجزت بين الناس، ولا والله ما أظن أن يخفّرني أحد.

ثم دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد، إني قد أجزت بين الناس.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة»!!

ثم ركب بغيره وانطلق^(١).

وكان قد احتبس وطالت غيبته، وكانت قريش قد اتهمته حين أبطأ أشد التهمة، قالوا: والله إننا نراه قد صبأ، واتبع محمداً سرّاً، وكتم إسلامه.

فلما دخل على هند امرأته ليلاً، قالت: لقد احتبست حتى اتهمك

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣ والبحار ج ٢١ ص ١٢٦ و ١٢٧ وج ٢٢ ص ٧٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٢١٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٤ و ٧٩٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧ والأنوار العلوية للنقدي ص ٢٠٠.

قومك، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنجح فأنت الرجل.
ثم دنا منها، فجلس مجلس الرجل من امرأته.
فقالت: ما صنعت؟
فأخبرها الخبر، وقال: لم أجد إلا ما قال لي علي.
فضربت برجلها في صدره وقالت: قبحت من رسول قوم، فما جئت
بخير^(١).

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف ونائلة، وذبح لهما، وجعل
يمسح بالدم رؤوسهما (كذا) ويقول: لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما
مات عليه أبي، إبراء لقريش مما اتهموه به.
فلما رآته قريش، قاموا إليه، فقالوا: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من
محمد، أو زيادة في مدة ما نأمن به أن يغزونا محمد؟
فقال: والله، لقد أبي علي.

وفي لفظ: لقد كلمته، فوالله ما رد علي شيئاً، وكلمت أبا بكر فلم أجد
فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو (وفي رواية أعدى
العدو) وقد كلمت علياً أصحابه، فما قدرت على شيء منهم، إلا أنهم
يرمونني بكلمة واحدة، وما رأيت قوماً أطوع لملك عليهم منهم له.
إلا أن علياً لما ضاقت بي الأمور قال: أنت سيد بني كنانة، فأجر بين
الناس، فناديت بالجوار.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة)
ص ٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٤.

..... : :
(وعند الحلبي: ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم. وقد أشار علي بشيء
صنعتة، فوالله، لا أدري أيغني عني شيئاً أم لا)^(١).

فقال محمد: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة!!»

لم يزدني.

قالوا: رضيت بغير رضى، وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً،
ولعمر الله ما جوارك بجائز، وإن إخفارك عليهم هين، ما زاد علي من أن
لعب بك تلعباً.

قال: والله ما وجدت غير ذلك^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨
وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٣٣ والبحار ج ٢٢ ص ٧٧ والثقات لابن حبان ج ٢
ص ٤٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء
التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢٠ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٧ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي
صبيح) ج ٤ ص ٨٥٧ و (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ٢٧ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤
وزاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١١٤٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار
المعرفة) ص ٣ و راجع: الإرشاد ج ١ ص ١٣٤ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٢
وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٨٠ والثقات ج ٢ ص ٤٠ ومجمع البيان ج ١٠
ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٩ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١
ص ١٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبحار ج ٢١ ص ١٢٦ و ١٢٧
وج ٢٢ ص ٧٨ وإعلام الورى ج ١ ص ٢١٨، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٥
وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) =

ونقول:

إن لنا هنا وقفات هي التالية:

ترتيب الأحداث:

وقد يظن البعض: أن ثمة تناقضاً بين الروايات المتقدمة، فإنها تارة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل إلى قريش يخبرها بين أمور ثلاثة.. فاقترح أبو سفيان عليهم أن يجحدوا حصول أي شيء يمكن فهمه على أنه نقض للعهد..

وتارة تقول: إن أبا سفيان خرج إلى المدينة بعد خمس ليال فقط من العدوان على خزاعة. فأَي ذلك هو الصحيح؟!
غير أننا نقول:

إنه لا تناقض بين تلك الروايات، ولكن الأمور قد اختلطت على المؤرخين، فقدموا المتأخر، وأخروا المتقدم. فاقضى ذلك إضافة بعض البيانات التوضيحية منهم، فأوجب ذلك الخلل، وبدا أن ثمة تناقضاً واختلافاً بين المرويات.

والحقيقة هي: أنه لو أعيد كل نص إلى موضعه لاستقام السياق وانحل الإشكال بصورة تلقائية..

والذي نراه: هو أن أبا سفيان خرج إلى المدينة بعد خمسة أيام من

= ج ٤ ص ٣٢٢ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير
ج ٣ ص ٥٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٣ ص ٤٢ والسيرة النبوية لابن
هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٥٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤.

المجزرة، وسار إلى عسفان.. فالتقى ببديل بن ورقاء وصحبه، وجرى بينه وبينهم ما جرى.. ثم تابع سيره إلى المدينة، وحاول تعمية الأمور والمكر بالمسلمين بحجة: أنه لم يحضر الحديبية، ويريد التأكيد على العهد الذي أبرم فيها، ويزيد من مدته، فواجه ما لم يكن له بالحسبان، وعاد يجر أذيال الخيبة والخسران.

ثم جاءت وفود خزاعة فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» بما جرى عليهم، فوعدهم النصر، وأخبرهم: أنه سيرسل إلى قريش يخبرها بين ثلاثة أمور.

ثم أرسل «صلى الله عليه وآله» رسولا إلى قريش يعلمهم ببوار مكرهم، وافتضاح أمرهم، ويضعهم أمام تلك الخيارات المتقدمة.. فكان اقتراح أبي سفيان يقضي بالإصرار على جحد أية مسؤولية لهم تجاه ما حصل.

سؤال وجوابه:

ولكن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو: كيف استطاع بديل بن ورقاء وصحبه أن يسافروا إلى المدينة ويعودوا منها، ويلتقي بهم أبو سفيان في عسفان في غضون أيام يسيرة قد تتجاوز أصابع اليد الواحدة بيسير، في حين أن المدينة تبعد عن مكة ما يقارب الأربع مائة كيلومتر.. وتحتاج ربما إلى ضعف هذا العدد من الأيام لقطعها ذهاباً وإياباً..

ويمكن أن يجاب: بأن أبا سفيان قد خرج من مكة - حسب زعمهم - باتجاه المدينة بعد خمسة أيام من المجزرة. ولكن لا شيء يدل على طبيعة سيره،

وكم بقي حتى وصل إلى عسفان؟ وهل تلوّم في طريقه من المنازل المختلفة بضعة أيام؟ أم أنه أسرع السير وواصله؟ فهذا ما لا تذكره الروايات.

فيحتمل إذن: أن يكون قد سار ببطء، بحيث لم يصل إلى عسفان حتى مرت عدة أيام، تكون هي والخمسة أيام الأولى التي أقامها في مكة بعد حصول المجزرة كافية لذهاب الركب إلى المدينة وعودته منها على جناح السرعة، خوفاً من افتضاح أمرهم..

على ماذا ندمت قريش؟!:

إن ندم قريش على عون بني نفاثة لا يخفف من قبح الجريمة التي ارتكبتها، ولا يبرر أي إجراء تخفيفي في عقوبتها، لأن هذا الندم لم يكن لأجل إقرارها ببشاعة وفظاعة الجريمة، وقبح نقض العهد، بل هو ندم يؤكد إصرارها على ذلك كله والتزامها به، ويحمل في ثناياه منطق التأييد، والرضى، وعدم التورع عن العودة إلى مثله حينما تسنح الفرصة، وتأمين من عواقبه وتبعاته السيئة عليها..

فهو ندم قبيح، ومرفوض، ويوجب لها المزيد من الخزي، والمهانة، والسقوط. إنه ليس ندماً، بل لجاج وإصرار، ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه.. إنه ندم حقيقته الخوف من انتقام المظلومين، وأن يُدَانَ أهل الحق من الظالمين، وأهل الباطل..

وخير دليل على إصرار هؤلاء على باطلهم وسيرهم الدائب في خط الجحود والإنكار للحق، هو موقفهم الراض للخيارات العادلة التي وضعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمامهم.

أبو سفيان ينقض العهد:

زعموا: أن أبا سفيان لم يعلم بما تعاقد بنو نفاثة وزعماء من قريش عليه، وبما صنعوه في خزاعة قبل وقوعه، ولم يشاوروه في ذلك^(١). وزعموا: أنه كان في الشام آنئذ^(٢). وقيل: شاوروه، فأبى عليهم^(٣). ولنفترض: أن أبا سفيان لم يرض بنقض العهد، ولم يشارك فيما جرى، فإن ذلك لا يعفيه من المسؤولية لأكثر من سبب. فأولاً: قد تقدم: أن بعض الروايات تصرح: بأنه هو صاحب الرأي الذي يقول: إن اللازم هو إنكار حدوث أي شيء على خزاعة، وجحد هذا الأمر وإبطاله من أساسه. وهذه خيانة عظيمة، وإهدار لدماء الناس، واستخفاف بها.. وثانياً: إنه قد سعى بكل جهده للتستر على هذا الأمر حينما جاء إلى المدينة ليوثق العهد من جديد.. وأنكر لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن يكون قد حصل أي

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٤٥٣ والبحار ج ٢١ ص ١٠٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٠ و ٢٧١ .
(٢) راجع: البحار ج ٢١ ص ١٢٦ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧ وإعلام الوري ج ١ ص ٢١٧ والأنوار العلوية للنقدي ص ١٩٩ .
(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧١ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٧ .

حدث يوجب نقض العهد، وبذلك يكون قد أصبح شريكاً في هذا الأمر، خصوصاً وأنه قد اتخذ سبيل المكر بالنبي «صلى الله عليه وآله» وعمل على خديعته. فهو إن كان لم يبدأ بالغدر، ولكنه قد حمى الغدرة الفجرة، المستحلين لحرم الله، والقتلة لعباد الله.

الخيارات العادلة:

وعن الخيارات التي وضعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمام ناقضي العهد نقول:

ألف: إن الخيار الأول هو: أن يدوا قتلى خزاعة. فإن ذلك من أوليات الحقوق الثابتة والمعترف بها لمن يعانون من عدوان كهذا، حتى في المجتمع الجاهلي. بل إن القتل حين يكون عدوانياً، وعن سابق عمد وإصرار، لا يكفي معه بالمطالبة بالدية، بل يرتقي الأمر إلى المطالبة بالقصاص من القاتل.. فكيف إذا كانت هناك عهود ومواثيق لا بد من مراعاتها والوفاء بها؟!

فالمطالبة بالدية يمثل إرفاقاً كبيراً، وتبرعاً بالعفو عن جرم كبير وخطير، يراد محاصرة آثاره، ومنعه من التوسع والانتشار، لو أريد الإصرار على خيار القصاص أو أريد الاستفادة من حق إسقاط الالتزامات، واعتبار العهد في حكم المنتهي..

ب: والخيار الثاني هو: إفساح المجال أمام العدالة لتأخذ مجراها، وذلك بالتخلي عن الحلف مع أولئك المعتدين والمجرمين، لينالوا جزاءهم..

وهو خيار متوافق مع سنة العدل والإنصاف، ومشوب بالرفق والإحسان لقريش أيضاً، من حيث إنه يظهر تصديقها فيما تدّعيه، ويغض

النظر عن ملاحظتها، ومجازاتها على ما اقترفته.

وذلك يمثل درساً عملياً لها في الوفاء بالالتزامات، وعدم الإنسياق وراء دعوة النزوات والشهوات.. كما أنه يقدم العبرة للناس، كل الناس، في أخذ الحق للمظلوم من الظالم، وقصاص المعتدي.. وكفى ذلك رادعاً لهم عن الانسياق وراء بني نفاثة في ارتكاب جرائم مماثلة، قد يرون أن الظروف تسمح لهم بارتكابها، وذلك ظاهر لا يخفى.

ج: وأما الخيار الثالث والأخير: فيقوم على فرضية الإصرار على العدوان، وعلى مناصرة الظالمين والمجرمين.. حيث لا بد من الردع المؤثر وقطع دابر الفساد والإفساد، فإن آخر الدواء الكي، ومن الإحسان للإنسانية استئصال الغدة السرطانية التي تفتك بالوجود الإنساني كله..

سياسات يعرفها الجميع:

وقد قرأنا في النصوص المتقدمة: أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح يستبق الأمور، ويخبر أهل مكة بما ستأتيهم به الرسل عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لقد حدد لهم الخيارات التي سيعرضها «صلى الله عليه وآله» عليهم..

وهذا معناه: أن سياسات الإسلام المشوبة بالعفو والرفق والرحمة، والإنصاف، والمتمثلة بأقوال وأفعال رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أصبحت معروفة، حتى لدى أعدائه.

ومما يدخل في هذا السياق أيضاً يقين بني نفاثة بأن محمداً لن يسكت على نقض العهد، وظلم الأبرياء. كما أن قريشاً خافت أن يعلم رسول الله

«صلى الله عليه وآله» بما حدث، لأن عواقب ذلك ستكون غير مرضية لها..

آراء لا يحسدون عليها:

وحين عرض ابن أبي سرح الخيارات التي يتوقع أن تأتي بها الرسل من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».. أدلى أصحاب المواقع، وأرباب الرأي الحصيف بآرائهم السخيفة والوضيعة، التي تعبر عن ذهنيته وتوجهاتهم، وآفاق تفكيرهم، ومنطلقاتهم. فيلاحظ:

ألف: أن سهيل بن عمرو قد عبر عن رأي يظهر طبيعة نظرة أهل الشرك للعهود والمواثيق، ومدى هشاشتها، وسقوط محلها وقيمتها عندهم وضعف تأثيرها في التزاماتهم، فقال: «ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بني نفاثة».

ب: وعبر شيبة بن عثمان عن سوء الظن الذي كان يهيمن على مجتمع أهل الشرك، فلم يكن يثق أحد منهم بأحد، ولا يطمئن لسلامة نواياه، الأمر الذي يضعف من درجة اعتماد بعضهم على البعض الآخر، ويحد بصورة كبيرة من إقدامهم على أي عمل يصب في مصلحة الآخرين، فضلاً عن أن يضحى في سبيلهم، أو يؤثرهم على نفسه.

ثم هو يشير إلى: أن منطلقاتهم حتى في مواقفهم المصيرية هي مصالحهم الشخصية وأهواؤهم وتعصباتهم القبلية، ومشاعرهم العرقية. فقضاياهم الكبرى تتقزم وتتحجم لتصبح في مستوى الشخص، لا من حيث مزاياه الإنسانية، بل بلحاظ مزيتة البشرية، وفي خصوص طبيعة موقعه النسبي..

ج: أما موقف قرظة بن عمرو، فيعبر عن حمية الجاهلية التي تختزنها نفوسهم، والتي تهيمن وتطغى على مشاعرهم، وعلى أحاسيسهم.

د: ثم يأتي موقف أبي سفيان، الذي يدل على أن تلك النفوس أصبحت قاحلة جرداء، لا تمر في أجوائها أي نسمة من نسائم الخير، ولا تجد فيها أي أثر للهدى والصلاح.. بل هي تضج وتعج بخصال ضربت جذورها في أعماق الباطل، وانطلقت أغصانها في آفاقه، فكانت ثمارها شراً وجهالة، وغواية، وضلالة.

تحديد المتهم بدقة:

ثم يذكر الحديث السابق: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلب من ركب خزاعة تحديد مرتكب الجريمة بدقة، ولم يكتف بعناوين فضفاضة وعامة.

فحين قالوا: إنهم يتهمون بني بكر، قال لهم: أكلهم؟ قالوا: لا، ولكن بنو نفاثة فقط، وعلى رأسهم فلان.. وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد استبعد المنطق العشائري الجاهلي، الذي يأخذ البريء بذنب المجرم. رغم أن الذين قتلهم بنو نفاثة هم من الصبيان والنساء، والضعفاء من الرجال..

عرام بني نفاثة:

وقد وصفت الروايات المتقدمة بني نفاثة: بأن فيهم عراماً، أي: حدة وشدة، أو شراسة وأذى..

فهو يخشى - إن ودى القتل الأبرياء الذين سقطوا تحت وطأة البغي

والغدر، ونكث العهود - أن يتعرض للأذى من أناس فيهم حدة وشراسة. وهذا التضييع لحق هؤلاء ظلم آخر يحيق بأولئك الضحايا على يد جلادهم، وقتلتهم.

بنو نفثة يعظمون الحرم:

وقد زعم صاحب ذلك الرأي أيضاً: أنه ليس في العرب قبيلة أشد تعظيماً لبيت الله تبارك وتعالى من بني نفثة.. مع أن بني نفثة أنفسهم، وفي نفس هذه الواقعة التي أوصلت الأمور إلى هذا الحد، قد هتكوا حرمة الحرم، وقتلوا النساء، والصبيان، والضعفاء فيه. وحين حاول الناس لفت نظر زعيمهم وقائدهم نوفل بن معاوية نفسه إلى أنه يهتك حرمة الحرم لأن قتل أولئك الأبرياء قد أصبح في داخله، وقالوا له: إلهك، إلهك. تفوه بما يدل على إحداه، فقال: لا إله لي اليوم.. فإذا كان هو فعلاً أشد الناس تعظيماً للبيت والحرم، فما الذي نتظره من سائر القبائل التي لا تعظم البيت إلى هذا الحد؟!

الخبر اليقين:

وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بالغيب، حين قال لهم: لكانكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدد العهد، وزد في المدة الخ.. ونقول:

إن قضية مكة، والتصدي بحزم لممارسات رموز الشرك فيها، لم يكن تقبله بالأمر السهل على الناس، بل كان يحتاج إلى جهد كبير لإقناع الناس بصحة ذلك التصدي، وصوابيته.

ولهذا الإقناع طرقه، وأساليبه المختلفة، ولكن أقواها وأعلاها تلك
الإخبارات الغيبية التي يخضع لها العقل، وتتفاعل في أجوائها المشاعر
والأحاسيس، ويعيش القلب معها السكينة والطمأنينة..

وقد بين «صلى الله عليه وآله» في هذا الإخبار الغيبي المشار إليه أعلاه
تفاصيل ما يجري بصورة تامة ودقيقة، فصرح باسم القادم، وهو أبو
سفيان. وذكر لهم ما يسعى إليه أبو سفيان، بل هو صرح بعين الألفاظ
والعبارات التي سوف يستخدمها، فقال: قد جاء يقول: جدد العهد، وزد
في المدة.

ثم بين لهم نتيجة سعي ذلك الرجل، وأنه سيرجع، وهو يجر أذيال
الخبية، ويحمل معه سخطه ومرارته..

رؤيا هند بنت عتبة:

وعن رؤيا هند بنت عتبة نقول:

قد عرفنا أن للرؤيا في المنام دوراً في هداية الناس، وفي إقامة الحجة
عليهم، وفي لفت نظرهم لأمر يحتاجون إليها، وليست الرؤيا مجرد تخيلات
عابرة، ليس لها أثر..

وقد جاءت رؤيا هند لتحذر مشركي مكة من مغبة هذا البغي الذي
يمارسونه، وترهيم بعض اللمحات عن المصير الذي ينتظرهم، إن استمروا
في اللجاج والعناد، والسعي لإطفاء نور الله تبارك وتعالى.

أبو سفيان هو المسؤول:

إن أبا سفيان الذي يدعى: أنه لم يشهد ما جرى لخزاعة، قد أقر: بأنه لم

يغيب عما جرى..

وهذا معناه: ليس فقط أنه كان على علم بما جرى.. بل هو قد شارك في التخطيط والتآمر، حتى لو سلمنا: أنه كان في الشام حين ارتكاب المجزرة الرهيبة كما ورد في بعض النصوص^(١).

إذ لا شيء يمنع من التخطيط والاتفاق على شيء، على أن يتم التنفيذ في وقت يحدد بعد أيام، حيث يكون المستهدفون بالمؤامرة في غفلة من ذلك كله..

وإذا كان أبو سفيان حاضراً فلا نجد مبرراً لتجاهله، وعدم استشارته، فيما عقدوا العزم عليه.

مع ملاحظة: أن لفعلهم هذا خطورة بالغة على الهدنة التي كانت بينهم وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، لأجل الحلف الذي كان له مع خزاعة. خصوصاً وأن ذلك لا يعفي أبا سفيان من المسؤولية من اتخاذ موقف تجاه ما يحدث، سواء علم أم لم يعلم. وقد اعترف هو نفسه بذلك فقال: «لا يحمل هذا إلا علي».

وهذا أمر طبيعي: فإن من يؤسس نهجاً، ويسن سنة للناس ليعملوا بها، فإذا عمل بها الناس، فليس له أن يقول لهم: أنا بريء مما تشركون.. وقد أقر الشرع هذا المنطق أيضاً، فقد روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها. ومن

(١) راجع: البحار ج ٢١ ص ١٢٦ وعن مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧ وعن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٧ والأنوار العلوية للنقدي ص ١٩٩.

سن سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها^(١).

(١) راجع: الفصول المختارة للمفيد ص ١٣٦ وروضة الطالبين للنووي ج ١ ص ٧٣ وحاشية رد المختار ج ١ ص ٦٢ ونيل الأوطار ج ٧ ص ١٩٢ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٢٩ والإختصاص ص ٢٥١ ومنية المريد ص ١٤٥ والبحار ج ٢ ص ٢٤ وج ٧١ ص ٢٠٤ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ١٨٤ ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦١ و ٣٦٢ وصحيح مسلم ج ٣ ص ٨٧ وسنن النسائي ج ٥ ص ٧٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٧٦ وفتح الباري ج ١٣ ص ٢٥٦ وتحفة الأحوذى ج ٩ ص ٦٨ ومسنند أبي داود ص ٩٣ ومسنند ابن الجعد ص ٩٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٣ و ٤ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ١١٢ وجزء الحميري ص ٢٥ وصحيح ابن حبان ج ٨ ص ١٠١ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ٣٤٣ و ٣٨٤ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٣١٥ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٤٦ ورياض الصالحين للنووي ص ١٤٣ واللمع في أسباب ورود الحديث ص ٦٨ وكتر العمال ج ١٥ ص ٧٨٠ وفيض القدير ج ١ ص ٦٧٢ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ والتبيان ج ١ ص ١٨٧ وج ٣ ص ٥٠٢ وتفسير مجمع البيان ج ١ ص ١٨٦ وج ٣ ص ٣٢٢ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٧٣ وتفسير الميزان ج ١٢ ص ٢٣٠ وج ١٧ ص ٧٠ وج ١٩ ص ٤٧ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٥٠٧ وج ٣ ص ١٨٨ ومفردات غريب القرآن للراغب ص ٢٦٣ و ٥٢١ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٨٧ وج ٦ ص ١٤٠ وج ١٩ ص ٩٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٢ وج ٤ ص ٣٦٥ والبرهان للزركشي ج ٢ ص ١٤٤ والدر المنثور ج ٥ ص ٢٦٠ وج ٦ ص ٢٠١ وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ٢٠١ والفصول في الأصول للجصاص ج ٣ ص ١٩٨ وأصول للسرخسي ج ١ ص ١١٤ و ٣٨١ والتعديل والتجريح ج ١ ص ١٣ و ٤٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص ٥٤٤ والإستغاثة ج ١ ص ٢٠ والنصائح الكافية ص ١٢٠ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ١٠٦ ولسان العرب ج ٨ ص ٦ ومجمع البحرين ج ١ ص ١٦٤ وتاج العروس ج ٥ ص ٢٧١.

وقال تعالى في إشارة إلى ذلك: {وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} ^(١).

تجديد العهد، وزيادة المدة:

وقد كان طلبُ أبي سفيان من النبي «صلى الله عليه وآله» تجديد عهد الحديبية، والزيادة في المدة، هو الخدعة التي أعدها هذا الرجل، ومن ورائه قريش، للتملص والتخلص من تبعات الجريمة التي ارتكبوها في حق صبيان ونساء وضعفاء خزاعة..

وذلك بتقدير: أن يكون ذلك الطلب يشير إلى الرغبة في تأكيد العهد، ومن تكون لديه هذه الرغبة، فلا يعقل أن يكون قد نقض ما يسعى إلى تقويته!!

ويعزز ذلك ويقويه: طلب الزيادة في المدة، لأن ذلك يبعد احتمال نقض العهد أيضاً. فإن ناقض العهد لا يعترف بوجوده، وقريش تعترف بالعهد، وبقائه، بل هي ترغب في إطالة أمده..

وهذا كله يدخل في سياق الإيحاء ببراءة قريش مما جرى لخزاعة. وهو أحد مظاهر جحود ما ظهر من نقضها للعهد، بالمشاركة في العدوان على خزاعة.

وهو عين الرأي الذي طرحه أبو سفيان، واستبشرت به قريش، حينما ائتمروا فيما بينهم حول كيفية الرد على الخيارات التي عرضها النبي «صلى

(١) الآية ١٣ من سورة العنكبوت.

الله عليه وآله عليهم..

وقد كان لا بد من رد أبي سفيان خائباً ليفهم: أن أساليب المكر والإحتيال لا تجدي في إماتة الحق، وإحياء الباطل. وهذا ما جرى له فعلاً.

أساليب استخباراتية فاشلة:

وحين التقى أبو سفيان ببديل بن ورقاء وصحبه، وظن أنهم راجعون من المدينة، بادر إلى التعامل وفق سجيته الماكرة، التي تظهر الود والصفاء، وتبطن الخبث والحقد والبغضاء، فبادر إلى طرح السؤال عن أخبار المدينة على بديل، وكأن عودته منها أمر مفروغ عنه..

فلما أنكر بديل أن يكون له علم بشيء منها بادر بطرح سؤال آخر أكثر صراحة من سابقه، على أمل أن تأخذهم المفاجأة، وتهيمن عليهم هزة مشاعرية تستثير أريحية الكرم فيهم، فيبادرون إلى الإجابة بكلمة نعم، رغبة منهم في البذل والعطاء. واكتساب الحمد والثناء.

فسألهم إن كان لديهم شيء من تمر يثرب يطعمونه إياه. ولكنه وجدهم أيضاً متيقظين لحيلته، راصدين لحركته. حين أجابوه بالنفي.. فاضطر إلى الجهر بنواياه، والكشف عن خفاياه وخباياه، فقال لبديل: هل جئت محمداً الخ..

وجاءه الجواب بالنفي أيضاً، مصحوباً بتبرير معقول ومقبول، لا سبيل إلى رده، ولا مجال للمناقشة فيه..

فلم يكن أمامه خيار سوى السكوت، وانتظر أبعاد إبلهم ليتفحصها بعد رحيلهم، ليستدل منها على ما يريد.. فوجد فيها بعض ما يشي بصدق

ما كان يخشاه..

ولكن ذلك أيضاً يبقى غير كافٍ لحسم الأمور لديه، لإمكان التأويل والتفسير، والتوجيه والتبرير. فباء بذل الخيبة، وذاق مرارة الفشل الذي سيكون له ما بعده، من خيبات تتلاحق، وفشل يتوالى..

أبو سفيان في المدينة:

وإن ما واجهه أبو سفيان في المدينة كان غاية في الروعة، فقد ذاق طعم الذل والخزي مرة بعد أخرى، وتجرع مرارة الخيبة والفشل كرات ومرات لم يعرف لها مثيلاً في حياته كلها.. وقد تجلى هذا الذل في مظاهر مختلفة، نذكر منها:

١ - أنه قد بدأ فيما ظن أنه أهونها عليه.. ألا وهو أن يوسّط ابنته لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكأنه يريد أن يستفيد من العنصر النسوي، والنسبي، والعاطفي، والتأثير الأنثوي، على قرار رسول الله «صلى الله عليه وآله» ظناً منه: أنه «صلى الله عليه وآله» كغيره من أهل الدنيا، الذين يمارسون العمل في الصالح العام بعد وضعه في بوتقة المصالح الشخصية، وصهره واستخلاص نتائجه لحساب الفرد وشهواته وأهوائه، ومن يلوذ به من قريب أو عشير..

مع أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» قد قدم لهم الدليل تلو الدليل على أنه يضحى بالنفس وبالمال والولد، وبكل شيء في سبيل الصالح العام، وبتعبير أدق: في سبيل الله، والمستضعفين.

ولعل أبا سفيان حين لجأ إلى ابنته قد ظن أيضاً: أن ظهور ضعفه لديها،

سوف يغنيه عما بعده من مواقف ذليلة، اختار هو وضع نفسه فيها..
كما أنه سيكون قادراً بعد ذلك على ملمة ما انتشر من هيئته، والظهور
على الناس من جديد بورقة التين، التي قد تستر شيئاً من عيوبه وقبائحه،
وتغطي على بعض ما هو مشين ومهين من واقعه.

ولكنه لم يجد لدى ابنته ما يشجعه على طرح الموضوع معها، لأن الظاهر
هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أعطى تعليقاته بهذا الخصوص كما
أظهره قوله السابق وهو يخبر بالغيب عن أبي سفيان «وهو راجع بسخطه»،
فالحدود كانت قد وضعت، والثغرات ضبطت، والصلاحيات حددت.. فلم
يبق مجال لأحد أن يفكر في اختراقها..

ولو أن أحداً سولت له نفسه أن يفعل ذلك، فسوف ينال جزاءه
العادل الذي حددته الشريعة، وبينه لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
٢- ثم جرب حظه مع النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة، فطلب منه
أن يجدد العهد ويزيد في المدة، وكان المبرر الذي ساقه لطلبه هذا هو: أنه لم
يكن حاضراً في صلح الحديبية..

وكأنه يريد بهذا الطلب وبذلك التبرير أن يمرر لعبته على رسول الله
«صلى الله عليه وآله».. وإلا، فإن غيبته عن الحديبية لا توجب أي وهن أو
ضعف في العهد ليحتاج إلى التقوية والتوثيق ما دام أن الوقائع طيلة
السنوات التي مرت على عقد الهدنة قد أثبتت التزام النبي «صلى الله عليه
وآله» بالعهد، واستمر جميع أهل مكة على الالتزام بمواعاته، وتنفيذ بنوده.
وإنما يحتاج العهد إلى التقوية والتجديد فيما لو تعرض للنقض والتمرد
على أحكامه، ورفض إجراءاتها..

وهذا ما ينكره أبو سفيان، بل هو لا يجزؤ على الاعتراف بشيء مما يدخل في هذا السياق..

ولذلك سأله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إن كان قد حدث في مكة ما يوجب وهن العهد، أو نقضه، فأنكر أبو سفيان أن يكون قد حصل شيء من ذلك.

فأسقط رسول الله «صلى الله عليه وآله» حجته، ووضع أمام خيارين كل منهما صعب:

أحدهما: أن يعترف بما جرى لخزاعة، وهذا معناه: الدخول فيما أراد أن يهرب منه، حيث لا بد من أن يرضى بتحمل جميع تبعات ما جرى، ويضطر إلى إعطاء الديات والرضى بقصاص المجرم وغير ذلك.

ثانيهما: أن يظهر للناس بصورة الرجل التافه، أو الجاهل، أو المبتلى بالخرف أو ما شاكل.. وقد أصر على رفض الخيار الأول ولم يفلح في التملص من تبعات الخيار الثاني..

خيار الهروب إلى الأمام:

فكانت النتيجة التي انتهى إليها هي اللجوء إلى خيار ثالث ظن أنه يبلغه إلى ما يريد، ألا وهو أن يطلب من بعض أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يجير بين الناس..

وبذلك يكون قد حصل على ما يحسم الأمر فيما يرتبط بما فعله بنو نفاثة وقريش ببني خزاعة، لأنه سيصبح قادراً على ادّعاء أن هذه أمور شخصية، ليس فيها أي نقض للعهد..

..... : :
والأمور الشخصية يحكم بها عقلاء القوم ويحسم الأمر فيها نفس
أصحاب العلاقة بما هم أفراد. والجوار يحفظ هؤلاء الأفراد ويحميهم من
الانتقام..

وبذلك يكون قد أخرج قريشاً من دائرة الصراع، ونفى أية مسؤولية
لها فيه، وأبعد النبي «صلى الله عليه وآله» عن أن يكون له الحق بالمطالبة
بديات أو بقصاص، ما دام أن المسألة فردية، ولا شيء أكثر من ذلك.
وبذلك يكون قد أخرج النبي «صلى الله عليه وآله»، واضطره إلى
إمضاء هذا الجوار، فإذا ظهر أن أحداً قد ارتكب جرماً، فإن الجوار الذي
شملة سوف يمنع من إجراء أي حكم عليه..

ولو أريد فعل شيء من ذلك؛ فإن إقناع الناس بأن هذا مما لا تصح
الإجارة منه سيكون صعباً، وسيحدث بلبلة كبيرة، وسيء إلى الذهنية
العامة، وربما يحدث إرباكاً ضاراً، ويترك آثاراً سلبية لا مجال لتلافيها..
على أن هذا الموقف من شأنه أن يظهر أبا سفيان على أنه رجل سلام،
يريد حقن الدماء، ويملك مشاعر إنسانية، ومن لا يستجيب لطلبه هذا فإنه
يكون متهماً في ذلك كله.

فطلب من أبي بكر أن يجير بين الناس، وكذلك من عمر، ومن عثمان
ومن سعد بن عباد، وعلي «عليه السلام»، وأشراف المهاجرين والأنصار.
وكان يسمع منهم جميعاً رفضاً لهذا الأمر أكيداً، وشديداً.

فتوسل بالزهراء «عليها السلام»، ثم توسل بالسبطين الحسن والحسين
«صلوات الله وسلامه عليهما»، فلم يُجده هذا التوسل نفعاً، بل كان الجواب
دائماً هو الرفض الأكيد، والشديد..

التدبير الصارم:

ونحن لا نشك في أن رفض جميع هؤلاء الذين سبقت أسماؤهم إنما هو بسبب أن الجميع كان قد عرف حدّه، وألزمه الشرع بالوقوف عنده، أو لم يترك له أي سبيل يستطيع أن ينفذ منه.

وقد ظهر ذلك من إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم بالغيب الإلهي: بأن أبا سفيان سيرجع بسخطه، فلم يعد أحد ليجرؤ على قبول شيء يأتيه به أبو سفيان، لأنه يعرف أن الوحي سوف يفضح أمره، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لن يقبل بأي شيء يطلبه أبو سفيان.. ما دام أن هذا القبول سيكون ضد القرار الإلهي بإرجاع أبي سفيان ساخطاً..

فلم يعد الإصرار يشبه أبداً ما جرى في غزوة بدر من تطاول على مقام النبوة، ومن سعي لانتهاك حرمة الحكم الشرعي الإلهي في أمر الأسرى.. وكذلك ما جرى في أحد وفي سواها من مواقف وتحركات تدخل في هذا السياق، فإن الأمور قد جرت في سياق استطاع أن يفضح هؤلاء في مواقفهم.

ورأى الناس بأم أعينهم في أكثر من مناسبة عدم صحة ما يدّعيه هؤلاء الناس لأنفسهم من شجاعة وإخلاص والتزام.. وقد تجلّى ذلك بصورة واضحة وفاضحة في الخندق، وخيبر، وقريظة وغير ذلك.. وقد عولجت تصرفات وتحركات هؤلاء الناس بصورة استطاعت أن تزيد من فضيحتهم، وظهور خطل رأيهم، وحقيقة ما يسعون إليه..

مواقف مزعومة، بل موهومة:

وقد زعمت النصوص المتقدمة: أن أبا بكر قد قال لأبي سفيان: والله، لو أن الذر تقاتلكم لأعتتها عليكم..

وأن عمر بن الخطاب قال: أنا أشفع لكم عند رسول الله؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، وما كان من حلفنا جديداً فأخلقه الله، وما كان منه متيناً فقطعه الله، وما كان منه موصولاً فلا وصله الله.

فقال أبو سفيان: جوزيت من ذي رحم شراً.

ونحن نشك في صحة هذه المزاعم:

أولاً: ليس في كلام أبي سفيان ما يشير إلى أنه يطلب شفاعته عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما معنى قول عمر له: «أنا أشفع لكم عند رسول الله»؟!

ثانياً: لم يصرح أبو سفيان بأن الشفاعة كانت لهم فلعله يقصد الجوار لمن يتقاتلون فيما بينهم من العرب، فإن دخولهم في جوار المسلمين يمنع الطرف المعتدي من مواصلة عدوانه.

ثالثاً: قد تقدم: أن أبا سفيان يعبر عن عمر (كما ورد في بعض النصوص دون بعضها الآخر): أنه أدنى العدو، وهي كلمة تشير إلى أن عمر كان أقرب إلى قريش من سائر صحابة النبي «صلى الله عليه وآله»..

رابعاً: إن ما نعرفه عن هذين الرجلين هو سعيهما في المواقع الحساسة إلى التخفيف من الوطأة على قريش، وحفظ موقعيتها. كما أن قريشاً كانت تهتم بسلامتهما قدر الإمكان.

فلاحظ ما يلي:

١ - في بدر يستشير النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه في أمر الحرب، فيقول أبو بكر كلاماً من شأنه أن يضعف عزائم المسلمين: «إنها قریش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، وما ذلت منذ عزت» أو نحو ذلك. وكذلك قال عمر بن الخطاب^(١).

٢ - وسيأتي أنه حاول منع النبي «صلى الله عليه وآله» من غزو مكة، وقال: «قلت: يا رسول الله، هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيعني»^(٢).

٣ - وفي حرب أحد: ضرب ضرار بن الخطاب الفهري عمر بن الخطاب بالقناة حين هزم المسلمون، وقال له: يا ابن الخطاب إنها نعمة

(١) راجع: البحار ج ١٩ ص ٢١٧ و ٢٧٤ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٠٥ والدر المنثور ج ٣ ص ١٦٦ عن دلائل النبوة للبيهقي، وتفسير القمي ج ١ ص ٢٥٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١١٢ وعن عيون الأثر ج ١ ص ٣٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٢٦ وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ج ٥ ص ١٧٠ و (ط أخرى) ج ٣ ص ١٤٠٣، ومسند أحمد ج ٣ ص ٢١٩ بطريقين، وعن الجمع بين الصحيحين، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٨١ وتفسير مجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٤ ص ٤٣٢ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٢٧٤ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٤٢٥ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٢٤ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ١١٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٨ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٥٠٦ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٥٤٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٥٢٩ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ٢١٠٤ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ٢١ ص ٤٢٣.

مشكورة، ما كنت لأقتلك^(١).

فما هذا الغزل الظاهر بين ضرار وعمر؟!
وقد ذكر ابن سلام: أن هذه كانت يداً له عند عمر يكافئه عليها حين
استخلف^(٢).

٤ - سعي أبي بكر لتخليص أسرى بدر من القتل، رغم إصرار النبي
«صلى الله عليه وآله» على قتلهم، حتى لقد نزلت الآيات في ذلك.
وهو أمر لا بد من أن تشكره عليه قريش مدى الحياة^(٣).
قال الواقدي عن الأسرى: إنهم قالوا: لو بعثنا لأبي بكر، فإنه أوصل
قريش لأرحامنا، ولا نعلم أحداً أثر عند محمد منه. فبعثوا إلى أبي بكر،
فأتاهم، فكلّموه.

فقال: نعم، إن شاء الله، لا ألوكم خيراً.
وانصرف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعل يلينه، ويفثؤه،
ويقول: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قومك فيهم الآباء والأبناء،

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٢٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٧٤ وج ١٥ ص ٢٠
عنه، وعن ابن إسحاق، والبلاذري، وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٣ وراجع:
البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٧ عن ابن هشام، والبحار ج ٢٠ ص ١٣٥ و ١٣٨ ومناقب
أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص ٣٣٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٧٤
وج ١٥ ص ٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٤ ص ٣٩٣ و ٣٩٧ وموسوعة التاريخ
الإسلامي ج ٢ ص ٥٠٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٢٨.

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٣.

(٣) مصادر ذلك كثيرة، فراجع هذا الكتاب: غزوة بدر، فصل الغنائم والأسرى.

والعمومة، والإخوان وبنو العم، وأبعدهم عنك قريب فامنن عليهم، من الله عليك، أو فادهم يستنقذهم الله بك من النار، فتأخذ منهم ما أخذت قوة للمسلمين، فلعل الله يقبل بقلوبهم إليك..

ثم قام فتنحى ناحية، ولم يجب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم عاد إليه، فقال له مثل مقالته الأولى، وقال أيضاً: لا تكن أول من يستأصلهم، يهديهم الله خير من أن تهلكهم. فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وتنحى أبو بكر ناحية، ثم عاد إليه، فأعاد عليه نفس الكلام^(١).

٥ - ما معنى: أن يهنئ أبو سفيان عمر بن الخطاب بانتصار المسلمين في أحد، ويقول له: أنعمت عيناً، قتلى بقتلى بدر^(٢).

وما معنى قول أبي سفيان لعمر آئذ: إنها قد أنعمت يا ابن الخطاب، فيقول عمر: إنها^(٣).

٦ - إن خالد بن الوليد رأى عمر بن الخطاب في أحد، وكان خالد في كتيبة خشنة، فما عرف عمر أحد غيره، قال خالد: فنكبت عنه، وخشيت

(١) راجع: المغازي ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٧٣ و ١٧٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ٩ ص ٢٤٤.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج ١ ص ١٣٦ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ١٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١٢ والأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ١٧١.

إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه موجهاً إلى الشعب^(١).
٧- إن عمر قد أخبر أبا سفيان: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يزال على قيد الحياة، رغم أنه «صلى الله عليه وآله» قد نهى عن ذلك. فقال أبو سفيان لعمر: أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر^(٢).
فلماذا كان عمر أبرّ بأبي سفيان من ابن قميئة، مع أن عمر كان في صفوف المحاربين له، وابن قميئة كان يحارب معه، وتحت لوائه؟!
وفي مقام وضع اللمسات الأخيرة على حقيقة موقف هذين الرجلين، نقول:

قد يكون مما يثير الشبهة أيضاً: توافق أبي بكر وعمر في حديثهما عن الذر المقاتل للمشركين، والعنف الذي أظهره في خصوص هذه الواقعة، في حين اكتفى كل من عداهما، ومنهم فاطمة وعلي «عليهما السلام» بالرد بالقول: بأن جوارهم جوار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أنه لا يجوز على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحد..
مع أننا لا نشاهد لدى هذين الرجلين طيلة حياتهما مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أي نشاط قتالي مميز، أو أي أثر لنكايه كانت لهما في

(١) المغازي للواقدي ج ١ ص ٢٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٣.
(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٤ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وسيرة ابن إسحاق ج ٣ ص ٣٠٩ وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج ٢ ص ٢٠٥ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٦٠ والثقات ج ١ ص ٢٣٢ وراجع: شرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٠ تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤١٤ و ٤١٥.

المشركين. رغم حضورهما جميع المشاهد معه «صلى الله عليه وآله».

بل ظهر منهما الكثير من موارد الضعف، والوهن، وقد فرا في مواطن كثيرة، مثل أحد، وقريظة، وخيبر، وحنين. وذات السلاسل وغير ذلك. وقعدا عن مبارزة الأبطال مثل عمرو بن عبد ود، ومرحب.

جواني جوار رسول الله :

وتقدم: أن أبا سفيان أصرَّ على الحصول على جوار من أحد صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأجابه المسلمون بأن أحداً لا يجير على النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أن جوارهم جوار رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا يدل على أنهم فهموا: أن مطلوب أبي سفيان هو الجوار الملزم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمقيد لحركته، فهو المستهدف بهذا الجوار، والمطلوب هو منعه به عن إجراء مقاصده حين يقتضي الأمر ذلك.. وذلك يشير إلى مدى وقاحة هذا الرجل، وقلة حيائه ورعونته، حتى لقد أخرج بهذا الأمر أولئك الذين عملوا على منع القتل عن أسرى بدر حسبما قدمناه، فما ظنه أبو سفيان أكسير الغلبة ظهر له أنه هو إكسير الهزيمة والخذلان، والخزي والخسران..

وقد اكد للناس سوء نوايا أبي سفيان في طلبه هذا أمران:

أحدهما: أنه حيث أجيب بتلك الأجوبة لم يبادر إلى توضيح مراده لأحد كان هناك، ولم يقل لهم أنهم قد أخطأوا في فهم مقصوده.

الثاني: أنه لو كان يقصد حقن دماء الناس حقيقة لكان قد طلب من

النبى «صلى الله عليه وآله» نفسه أن يجعل الناس في جواره، فإن ذلك يكفي لمنع المعتدين من مواصلة عدوانهم. فلماذا يدعو الآخرين ليجيروا الناس من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أليس لأجل أنهم اقترفوا ما يستحقون به العقوبة منه «صلى الله عليه وآله» ويريد أن يخرجهم من ورطتهم تلك بهذه الطريقة؟! وإذا صح هذا الأمر فلماذا لا يعترف لنا بهوية المجرم وبحقيقة جرمه؟

ثم إنه إذا كان يعتقد: أن الجوار على رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعطي من يفعل ذلك وجاهة وعظمة، كما هو الحال عند سائر الناس، فهو في وهم كبير، لأن هذا الأمر لا يجري فيما بين الأنبياء «عليهم السلام»، وبين المؤمنين، لأنه يستبطن الإعلان عن وجود خلل إيماني لدى من يفعل ذلك، من حيث إنه يخطئ نبيه في تصرفاته، ويراه ظالماً في موقفه ممن يجيره منه، أو يرى أن ذلك النبي يعمل عملاً مرجوحاً، ويترك ما ينسجم مع العفو والكرم، وحسن الشيم، ومع النبل والشمم..

ولأجل هذا أو ذاك يبادر إلى الحد من قدرته على التصرف، ومحاصرة قراراته، ليمنعه من الغلط والشطط..

وهذا الأمر مرفوض من الناحية الإيمانية، لأنه تشكيك بالعصمة، أو اتهام للنبي «صلى الله عليه وآله» في ميزاته وصفاته، وأنها لا تصل إلى حد الكمال.

ولو كان أبو سفيان يفهم معنى الإيمان، ويدرك ما له من تبعات وآثار ومسؤوليات لما أقدم على هذا الأمر المشين والمهين..

هل تجير الزهراء ÷!؟:

ولم يكن أبو سفيان يرى للسيدة الزهراء «عليها السلام» ما يميزها عن غيرها أكثر من كونها امرأة كسائر النساء، ولم يكن يرى لجوار النساء قيمة وأثراً.. ولكنه حين سدت في وجهه المذاهب لجأ إليها على أمل أن تستجيب لطلبه بسبب ما توهمه منها من غفلة عما يتنبه له الرجال المتمرسون، والدهاة المجربون ، أو لعدم قدرتها - بزعمه - على إدراك الأمور وتقديرها بسبب قلة معرفتها بالسياسات، وبأعراف الناس.

فإذا استجابت لطلبه، فإنها سوف تخرج أباهها، وقد يوافق على طلبها من وجهة نظر عاطفية، بسبب موقعها منه «صلى الله عليه وآله» من ناحية النسب، ومن ناحية المكانة والكرامة..

وقد فوجئ برفضها القائم على أساس البرهان، حيث قالت له: «إنها أنا امرأة». أي: ولا يحق للمرأة أن تتصدى لأمر كهذا بزعمك فلماذا تريد أن تدفعني إلى أمر لا تؤمن أنت به؟!!

قد أجارت أختك:

ولكن أبا سفيان يستدرك الأمر، ويقدم تبريراً لتصرفه هذا حين احتج عليها بإجارة زينب لزوجها أبي العاص بن الربيع، وقد قبل «صلى الله عليه وآله» ذلك منها.

فجاءه جواب الزهراء المعصومة «عليها السلام» ليفند قوله، ويؤكد له أنها «عليها السلام» تدرك الفرق بين ما فعلته زينب، وبين هذا الذي يطلبه هو منها، فقالت كلمة واحدة، كانت حاسمة ونهائية وهي: إنما ذاك إلى

رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

إنها تريد أن تقول: إن زينب حين أجارت أبا العاص بن الربيع، فإنها أرادت أن تمنع الناس من التعرض لأبي العاص، إلى أن يبت النبي «صلى الله عليه وآله» في أمره، ويصدر عليه حكمه. ولم ترد أن تمنع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إجراء حكم الله تعالى في حقه.

وهذا بالذات هو نفس ما فعلته أم هاني حين أجارت بعض من أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم، ولم تكن تعلم بذلك. كما أنها لم تعرف أن الذي يريد تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله» هو أخوها علي «عليه السلام». فأرادت حفظ نفس أولئك الأشخاص من سائر أفراد الجيش إلى أن يرى فيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأيهم، ويصدر عليهم حكمه كما سيأتي.

أما أبو سفيان فيريد منها أن تجير الناس، ليمنع بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مجازاة المعتدي، ولتطّل بذلك دماء الأبرياء من صبيان ونساء، وضعفاء خزاعة.. وشتان ما بين الأمرين.

أخت الزهراء ÷ :

وعلينا أن لا ننسى: أن تعبير أبي سفيان عن زينب: بأنها أخت الزهراء «عليها السلام» إنما جاء وفق ما كان متداولاً بين الناس، من التعبير عمن تنشأ في بيت كافلها بعد أن مات أبوها الحقيقي، فإنها تنسب إلى ذلك الكافل بعبارات البنوة، وتضاف إلى أبنائه بتعابير الأخوة.. حيث يكون المقصود هو البنوة بالتربية، وكذلك الأخوة.

مُري ابنك:

ولعل ما ذكرناه آنفاً حول طلب أبي سفيان من فاطمة «عليها السلام» أن تجير بين الناس، يغني عن التعليق على طلب أبي سفيان منها «عليها السلام» أن تأمر ابنها الحسن «عليه السلام»، الذي كان بعمر الخمس سنوات، أن يجير بين الناس، فإن الكلام هنا هو نفسه الكلام هناك.

غير أننا نقول: إن علينا أن نضيف هنا ما يلي:

أولاً: إن أبا سفيان يغري فاطمة بالإقدام على هذا الأمر بمنطق أن ذلك يجعل ولدها سيد العرب إلى آخر الدهر.

نعم، وهذا هو منطق أهل الدنيا، الذين يقيسون الأمور بمقاييس السمعة، والشهرة، والسيادة، والمال، والجاه، وما إلى ذلك..

وذلك هو منطق أبي سفيان، لأنه من أهل الدنيا. وأما منطق العقل والدين، والشرع، ورضا الله تعالى والقيم الإنسانية، والمشاعر النبيلة، والمبادئ والخصال الحميدة، ونحوها. فهو الذي تلتزم به فاطمة «عليها السلام»، وتؤمن به، وتنطلق في مواقفها منه. لأنها من أهل الدين والشرع، والقيم الإنسانية، والعقل والأخلاق الفاضلة، والمزايا النبيلة..

ثانياً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» كان كبيراً في نفسه وفق مقاييس أهل العقل والحكمة والإيمان، وقد بايعه النبي «صلى الله عليه وآله» في بيعة الرضوان، وأشهدده على كتاب ثقيف، وأخرجه يوم المباهلة بأمر من الله، وجعله شريكاً في الدعوة، ويتحمل مسؤولية إثباتها.. وغير ذلك..

ولكن هذه لم تكن نظرة أبي سفيان إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، بل هو ينظر إليه على أنه طفل كسائر أطفال الناس، ويريد أن يستفيد منه

كوسيلة يصل من خلالها إلى مآربه، فيخرج به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويثير الشبهات والإشكالات حول صحة وسلامة ما يتخذه «صلى الله عليه وآله» من مواقف..

ولأجل ذلك خاطبته الزهراء «عليها السلام» بما ينسجم مع نظرتها هذه، وقالت له: ما بلغ ابني أن يجير بين الناس.

ثم تقدمت خطوة أخرى في بيانها، لتأكيد بطلان منطق أبي سفيان فقالت: «ما يدري ابناي ما يجيران من قریش».

فإن هذه الكلمة أيضاً قد صدرت وفق منطق أبي سفيان الذي يعتبر الحسين «عليهما السلام» مجرد طفلين صغيرين، لا يحملان في نفسيهما أية ميزة على غيرهما.

فهما في نظره لا يملكان من التعقل ما يكفي لإدراك معنى ما يتفوهان به، فهما إذن غير قادرين على إدراك معاني الكلمات، فضلاً عن أن يقصدا معانيها، ليصبح لتلك المعاني تحقق في مقام التخاطب، يصلح لترتيب الآثار عليه، والمطالبة به، والإشارة إليه. فهو من قبيل القضية السالبة بانتفاء موضوعها.

هما صبيان:

قال الحلبي: «قول فاطمة في حق ابنها: إنها صبيان ليس مثلها يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا، من أن شرط من يؤمن أن يكون مكلفاً.

وأما قولها: وإنما أنا امرأة، فلا يوافق عليه أئمتنا، من أن للمرأة والعبد أن يؤمنا؛ لأن شرط المؤمن عند أئمتنا أن يكون مسلماً، مكلفاً، مختاراً. وقد

أَمَّنت زينب بنت النبي «صلى الله عليه وآله» زوجها أبا العاص ابن الربيع،
وقال «صلى الله عليه وآله»: قد أجرنا من أجرت.

وقال: المؤمنون يد على من سواهم، يجير عليهم أديانهم...». إلى أن قال: «إن أم هاني أجارت، وإنه «صلى الله عليه وآله» قال لها: أجرنا من أجرت يا أم هاني.

لكن سيأتي: أن هذا كان تأكيداً للأمان الذي وقع منه «صلى الله عليه وآله» لأهل مكة، لا أمان مبتدأ^(١).

ونقول:

أولاً: إننا نعتقد: أن جواب الزهراء «عليها السلام» الذي يشير إلى أن الحسين «عليهما السلام» لا يجيران، وبالنسبة لنفسها أيضاً، قد جاء على سبيل الجري على ما كان يراه أبو سفيان، ومن هم على شاكلته، فإنه إذا كان يرى: أن المرأة لا جوار لها، ويرى: أن الحسين «عليهما السلام» كانا صبيين لا يجوز جوارهما عنده، فلماذا يريد من هذه المرأة، ومن ذلك الصبي أن يجير بين الناس؟!!

ثانياً: إن للجوار مسؤولياته وتبعاته، لأن المجير يتكفل بمن يجير، ويتحمل أعباء وتبعات ما صدر منه.. ولم يكن ذلك ممكناً بالنسبة لفاطمة والحسين «عليهما السلام»، فهناك قتلى وتعديات وظلم وقهر. وقريش تنكر ذلك وتجحد، وتمتنع عن الالتزام بأدنى شروط الجوار.. لأنها ترفض تحمل ديات المقتولين، أو البراءة من حلف من تعدى ونقض العهد..

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣.

..... : :

فما معنى: أن تتحمل فاطمة والحسنان «عليهم السلام» هذه الديات
عن أولئك المجرمين؟!
وما معنى: حفظ مرتكب الجريمة، وصيانتة عن التعرض للجزاء
والقصاص العادل؟!
ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قبل من الحسين «عليهما
السلام» البيعة في الحديبية^(١)، وقد كان سنهما لا يتجاوز الستين أو الثلاث..
وأشهدهما على كتاب ثقيف^(٢).

قريش في مأزق:

وقد بينت عبارة السيدة الصديقة فاطمة الزهراء «عليها السلام»: «ما
يدري ابناي ما يجيران في قريش»: أن أبا سفيان يتستر على امر كان معروفاً
لدى الناس.. وهو أن قريشاً في مأزق، ويريد بهذا الجوار إخراجها منه. وإن
استخدامه عبارات غائمة وعامة، لا يجدي في تعمية الأمور..

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٥ والبحار ج ٥٠ ص ٧٨ عنه، والإرشاد للمفيد ص ٣٦٣
وتفسير القمي ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٥ وينايع المودة ص ٣٧٥ وترجمة الإمام
الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص ١٥٠ والمعجم الكبير للطبراني
وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٥٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٤٠ والعقد الفريد ج ٤
ص ٣٨٤.

(٢) الأموال لأبي عبيد ص ٢٨٩ و ٢٩٠ وراجع: التراتيب الإدارية ج ١ ص ٢٧٤
والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٨٤ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٨
وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٧٣.

فالمطلوب هو تحصيل جوار لفئة من قريش ترى نفسها في دائرة الخطر، ولكن أبا سفيان يحاول أن يتذاكى عليهم، فيطلق كلامه على شكل عمومات، فيطلب من هذا أو ذاك أن يجير بين الناس. وهذه الكلمة تنطبق على القرشي وعلى غيره..

كلمي علياً:

ونستطيع أن نلمح في طلب أبي سفيان من السيدة الصديقة الطاهرة المعصومة فاطمة الزهراء «عليها السلام» أن تكلم علياً صلوات الله وسلامه عليه في أمر الجوار: أن أبا سفيان كان يحسب لعلي «عليه السلام» حساباً خاصاً به.. فهو يقترب في طريقة تعامله معه من طريقة تعامله مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فكما حاول أن يستفيد من موقع أم حبيبة زوجة الرسول «صلى الله عليه وآله»، حاول أيضاً أن يستفيد من موقع فاطمة لدى علي «عليهما السلام» فطلب منها أن تكلم هي علياً..

ولكنها رفضت طلبه، لأنه لو كان يرى أن طلبه طلب حق، أو كان فيه أي أثر للرجحان، لبادر إلى مطالبة علي «عليه السلام» بل والنبى «صلى الله عليه وآله» بالعمل بهذا الحق، والأمر الراجح.

ولكنه أراد أن يحصل على ما يريد بأساليب الضغط العاطفي، أو من خلال المراعاة لدواعي النسب، وفي غير ذلك من أمور تقع خارج دائرة الإنصاف، والحكمة، والتعقل، ورعاية الصالح العام، والعمل بما يرضي الله تبارك وتعالى، بل هي خارج دائرة الالتزام بالمعاني الإنسانية والأخلاقية أيضاً..

سيد كنانة!! يطلب النصيحة!!:

وأول طلب وضعه أمام الإمام علي «عليه السلام» هو النصيحة منه. ولا شك في أن هذا الطلب من أبي سفيان غريب وعجيب، لا لأن علياً «عليه السلام» ييخل بالنصيحة على أي كان من الناس.. فحاشا علياً «عليه السلام» أن ييخل بأمر كهذا..

بل لأن هذا الرجل لا يريد النصيحة بالحق، بل يريد النصيحة التي تعزز وتقوي، وتنتج تضييعاً للحق، وتزويراً للحقيقة، وظلماً آخر لأولئك الأبرياء من خزاعة، والذين كان أكثرهم من الصبيان، والنساء، والضعفاء. وتقوية ونصراً لظالمهم، ومرتكب الجريمة البشعة والفظيعة بحقهم. والغريب في الأمر: أن يطلب أبو سفيان هذه النصيحة التي هي بهذه المثابة من نفس ذلك المعني بالحفاظ على حقوق الناس، ويفترض فيه أن ينصر المظلوم، وأن يأخذ بحقه من ظالمه!!

وكانت نصيحة علي «عليه السلام» تقضي: بحمله عن الكف عن هذا السعي الظالم، والقائم على الخديعة والمكر حتى لنبي الله «صلى الله عليه وآله».

وتتلخص الطريقة التي اعتمدها بتذكير أبي سفيان بما يعتقده لنفسه، من مكانة في كنانة كلها، فأقر بأنه هو سيد كنانة.

ثم إنه «عليه السلام» ألزمه بمقتضيات هذه السيادة التي يعطيها لنفسه، لو كان صادقاً فيما يدّعيه، ومنها أن يقبل الناس جواره.

ولكن أبا سفيان كان يعرف أن هذه السيادة التي يدّعيها ليست بهذه المثابة، ولا تكفي لتحقيق الغرض الذي سعى إليه، ولكنه سأل علياً «عليه

السلام» إن كان ذلك يحقق له ما يريد، فعسى أو لعل!!
فأجابه علي «عليه السلام» بما يجلب اليأس والأسى إلى قلبه، وهو: أنه
لا يرى ذلك مغنياً عنه شيئاً، ولكنه لا يجد له سبيلاً للخروج من حيرته غير
ذلك..

وربما يكون الهدف من ذلك هو إفهام أبي سفيان أن ما يزعمه لنفسه
من موقع وزعامة ليس سوى مجرد خيال، ووهم، وقد تغيرت الأمور،
وأصبح للزعامة معايير أخرى، لا بد من مراعاتها، والالتزام بمقتضياتها..
وفهم هذه الحقيقة لا بد من أن يكون مفيداً جداً لأبي سفيان، وسوف يعينه
كثيراً على الخروج من أجواء الوهم والخيال التي وضع نفسه فيها.

قريش تتهم زعيمها:

إن من الواضح: أن المشركين كانوا لا يثقون ببعضهم البعض، لأن
دواعي الثقة وموجباتها عندهم مفقودة.. أما مجتمع أهل الإيمان فيعيش
الثقة لأن موجباتها متوفرة فيه.

فهناك الإيمان بالله، والالتزام بشرائعه وأحكامه، التماساً لرضاه،
وطمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه.

وهو يملك ثروة ثمينة جداً من المبادئ والقيم التي تحكم مسيرة
الإنسان، وتهيمن على حركته وعلى مواقفه في الحياة. وهناك الفضائل
النفسية، والكمالات التي يربّيها وينميها أهل الدين في داخل نفوسهم،
ويبنون من خلالها ميّزاتهم، وملكاتهم، التي تطبع شخصياتهم بطابعها..

وهناك الإلزامات الدينية الحازمة والحاسمة، فيما يرتبط بطبيعة تعامل

أهل الإيمان مع بعضهم، ومع الآخرين..

نعم، إن ذلك كله ينتج درجة عالية من الاعتماد، ورؤية واضحة لمسار الأمور، فيما يرتبط بتعهدات الآخرين، ووفائهم بالتزاماتهم، وقيامهم بواجباتهم الدينية والأخلاقية..

ولكن ذلك كله مفقود في مجتمع الشرك والكفر. وتبقى الضمانة لتعهدات الأشخاص عندهم في مهب رياح المصالح والأهواء، ومحكومة للنزوات والأهواء والشهوات والميول، ولتقلبات الأمزجة الفردية..

ولأجل ذلك نلاحظ: أن المشركين يتهمون حتى زعيمهم أبا سفيان أشد التهمة، لمجرد زيادة غيبته عن المدة التي يتوقعونها، ويقولون عنه: إنه قد صبأ، واتبع محمداً سرّاً، وكنتم إسلامه.

وقد بلغت هذه التهمة من القوة والشدة حداً اضطر معه هذا الزعيم إلى أن يخلق رأسه عند أساف ونائلة، وأن يذبح لهما، وجعل يمسح بالدم رؤوسهما (كذا)، ويقول: «لا أفارق عبادتكما، حتى أموت على ما مات عليه أبي»، إبراءً لقريش مما اتهموه به.

.....

:

:

الفصل الرابع:

جيوش تجتمع.. والهدف مجهول

استشارة أبي بكر وعمر في أمر مكة:

عن محمد بن الحنفية - رحمه الله - عن أبي مالك الاشجعي قال: «خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بعض حجره، فجلس عند بابها. وكان إذا جلس وحده لم يات به أحد حتى يدعوه، فقال: «ادع لي أبا بكر». فجاء، فجلس أبو بكر بين يديه، فناجاه طويلاً، ثم أمره فجلس عن يمينه.

ثم قال: «ادع لي عمر».

فجاء فجلس إلى أبي بكر، فناجاه طويلاً، فرفع عمر صوته، فقال: «يا رسول الله، هم رأس الكفر، هم الذين زعموا أنك ساحر، وأنت كاهن، وأنت كذاب، وأنت مفتر»، ولم يدع عمر شيئاً مما كان أهل مكة يقولونه إلا ذكره.

فأمره أن يجلس إلى الجانب الآخر، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله.

ثم دعا الناس، فقال: «ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين؟»

فقالوا: نعم يا رسول الله.

فأقبل بوجهه إلى أبي بكر، فقال: «إن إبراهيم كان أليّن في الله تعالى من

الدهن اللين».

ثم أقبل على عمر، فقال: «إن نوحاً كان أشد في الله من الحجر، وإن الأمر أمر عمر، فتجهزوا وتعاونوا».

فتبعوا أبا بكر، فقالوا: يا أبا بكر، إننا كرهننا أن نسأل عمر عما نأجلك به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: قال لي: كيف تأمرني في غزو مكة؟

قال: قلت: يا رسول الله!! هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيئني.

ثم دعا عمر، فقال عمر: هم رأس الكفر، حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه. وأيم الله، وأيم الله، لا تذلل العرب حتى تذلل أهل مكة، وقد أمركم بالجهاد ليغزو مكة^(١).

ونقول:

إننا نشك في هذه الاستشارة، حيث سيأتي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر عائشة بتجهيزه، وأن أبا بكر لم يكن يعلم بشيء، حتى أخبرته ابنته.

وقد اعتذر الحلبي عن ذلك: بأن الاستشارة قد وقعت بعد أمره لعائشة بذلك^(٢).

وهو اعتذار غير مقبول.. إلا إذا كانت الاستشارة صورية، تهدف إلى

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٨ عن ابن أبي شيبة، ومسنند أحمد ج ٣ ص ٣٩٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٥٠٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤.

تأليف أبي بكر، أو أنه أراد أن يكشف دحيته للناس.

وقد يؤيد ذلك: ما ذكره من أنه أشار بعدم السير، وقوله: هم قومك^(١).
إذ كيف يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتجهز ويأمر بذلك، ثم
يشير عليه بخلاف ما عزم عليه، فهل يرى أن رسول الله «صلى الله عليه
وآله» يفعل ما يفعل من عند نفسه؟! أم أنه يرى نفسه فوق الوحي، وفوق
رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

أبو بكر يفشي سرّ رسول الله :

ومع غض النظر عما تقدم، نقول:

أولاً: إن هذه الرواية قد تضمنت إقدام أبي بكر على أمر غير مقبول منه
تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فهو قد أفشى سرّاً اتّمنه عليه.
وذلك لأن الرواية تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» جلس على انفراد،
ثم استدعاه إليه، وناجاه بسرّه هذا، ثم ناجى به عمر بن الخطاب، ثم دعا
الناس للجلوس إليه، ثم كلمهم بكلام لا يشي بشيء من حقيقة وجهة
سيره، باستثناء قوله: «تجهزوا وتعاونوا».
فما معنى: أن يخبرهم أبو بكر بأمر كتمه عنهم رسول الله «صلى الله عليه
وآله»؟!!

وأيّن يقع التصرف الخاطيء هذا من موقف فاطمة الزهراء بنت رسول
الله «صلوات الله وسلامه عليه وعليها وعلى آلها الطيبين الطاهرين» مع
عائشة بنت أبي بكر، حين أقبلت فاطمة إليه، فأجلسها عن يمينه، ثم أسرّ

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤.

إليها بأمر فبكت، ثم أسرَّ إليها بآخر فضحكت، فسألتها عائشة عما قال
«صلى الله عليه وآله».

فقالت «عليها السلام»: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله «صلى الله عليه
وآله»..

وقد استمرت على كتمان هذا السرِّ حتى قبض «صلى الله عليه وآله»^(١).

-
- (١) صحيح البخاري (ط مطبعة الأميرية) ج ٤ ص ٢٠٣ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٤٢
ومسند الطيالسي ص ١٩٦ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٦ وحلية الأولياء ج ٢
ص ٣٩ والخصائص للنسائي (ط دار التقدم بمصر) ص ٣٤ ومصابيح السنة (ط دار
الخيرية بمصر) ج ٢ ص ٢٠٤ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٨٢ وأنساب الأشراف ج ١
ص ٥٥٢ وصفة الصفوة (ط حيدرآباد) ج ٢ ص ٥ وطرح الشريب ج ١ ص ١٤٩
والمختار من مناقب الأخيار (ط دمشق) ص ٥٦ ونظم درر السمطين ص ١٧٩
وتذكرة الخواص ص ٣١٩ ومنتخب تاريخ ابن عساكر ج ١ (ط الترقى بدمشق)
ص ٢٩٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٦ وجمع الفوائد ج ٢ ص ٢٣٣ وتكملة المنهل
العذب المورود ج ٣ ص ٢٢٢ والثغور الباسمة (ط بمبي) ص ١٣ وأشعة اللمعات
في شرح المشكاة ج ٤ ص ٦٩٣ ووسيلة النجاة للمولوي ص ٢٢٨ ومراة المؤمنين
ص ١٩٠ وأضواء على الصحيحين ص ٣٤٥ وفضائل الصحابة ص ٧٧ وسنن ابن
ماجة ج ١ ص ٥١٨ ومسند أبي يعلى ج ١٢ ص ١١٢ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤١٩
وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ والأوائل للطبراني ص ٨٤ وعن المصادر التالية:
كتاب الأربعين للماحوزي ص ٣١٤ وفتح الباري ج ٨ ص ١٠٣ ومسند أبي يحيى
الكوفي ص ٧٩ ومسند ابن راهويه ج ٥ ص ٧ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٥
ص ٩٦ و ١٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٤٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢
ص ١٢٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٥.

ومن جهة أخرى، سيأتي بعد صفحات يسيرة: أن عائشة تفشي هي
الأخرى سرّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفس غزوة الفتح أيضاً؛ فإنه
«صلى الله عليه وآله» قال لها: جهزينا واخفي أمرك..
فهني بمجرد أن دخل عليها أبوها وسألها قائلاً: أمركن رسول الله
«صلى الله عليه وآله» بتجهيزه؟! «

قالت: نعم.

وعلينا أن نقارن بين موقف الزهراء «عليها السلام» الأنف الذكر مع
عائشة نفسها!! وبين ما فعله أبو بكر وعائشة بإقدامهما على إفشاء سرّ
رسول الله «صلى الله عليه وآله»، رغم التفاوت الكبير بين هذا السرّ وذاك.
فسرّ الزهراء «عليها السلام» يرتبط بأمر شخصي يعود إليه «صلى الله
عليه وآله»، ولكن السرّ الذي أفشاه أبو بكر وعائشة يرتبط بالامة بأسرها
وبالدين كله..

ثانياً: إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد دعا عمر ليناجيه، فلماذا يرفع
عمر صوته بكلام صريح بما يدور الحديث حوله؟؟ وهل رضي «صلى الله
عليه وآله» منه ذلك؟! فإن كان قد رضيه، فما معنى المناجاة به؟!
وإن كان قد سخط ذلك وردعه عنه، فلماذا لم يرتدع، بل استمر رافعاً
صوته يعدّد أقوال أهل مكة فيه «صلى الله عليه وآله»؟! «

وإن كان لم يردعه عن أمر قد سخط هذا الإعلان به فلماذا ناجاه به؟!
أم أنه عدل عن إرادة كتمان ما ناجاهم به؟ وما هو السبب في هذا العدول؟
هل خاف من عمر؟! أم أنه أراد أن يظهر جرأة عمر، وسوء فعله؟!
ثالثاً: إذا كان عمر قد ارتكب هذه المخالفة الظاهرة لمقاصد رسول الله

«صلى الله عليه وآله»، فلماذا أطراه ذلك الإطراء الكبير، حتى اعتبره مثل نبي الله نوح «عليه السلام»؟!

رابعاً: إذا كان عمر قد رفع صوته معدداً أفاعيل أهل مكة، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالتجهز والتعاون، معتبراً أن الأمر أمر عمر، فإن الأمر سيصبح واضحاً للناس، ولم يعودوا بحاجة إلى سؤال أبي بكر عما ناجاه به النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن الكل سوف يفهم: أن الأمر مرتبط بأهل مكة، وأن التجهيز والتعاون هو لأجل إنجاز هذا الأمر.

لأن المفروض هو: أن موقف عمر وموقف أبي بكر متخالفان في أمر واحد، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اختار قول عمر..

خامساً: لماذا اختار رسول الله «صلى الله عليه وآله» قول عمر، وترك ما قاله أبو بكر. مع أن أبا بكر - حسب زعم الرواية - قد أشبه إبراهيم الخليل، الذي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» مأموراً بالعمل بشريعته «عليه السلام»، فقد قال تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ^(١).

سادساً: إنه إذا كان إبراهيم «عليه السلام» ألين في الله من الدهن اللين، فهل لم يكن أشد في الله من الحجر الصلد أيضاً؟! فيضع الأمور في مواضعها، فيشتد حين يقتضي الأمر الشدة، ويلين حين يوجب الأمر اللين؟!

ونفس السؤال يرد بالنسبة لنوح «عليه السلام»..

(١) الآية ١٢٣ من سورة النحل.

وأما إذا كان إبراهيم «عليه السلام» ليناً فقط، ولا يشتد حين يكون المطلوب هو الشدة، وكان نوح شديداً، ولا يلين حين يقتضي الأمر اللين، فذلك يعني: أنها غير متصفين بصفات أهل الإيمان، وأنهما لا يعملان بشرع الله، ولا يراعيان المصالح، ولا يتصفان بأدنى درجات الحكمة والعصمة، فهما لا يستحقان درجة النبوة، لأنهما يفقدان صفات أهل الإيمان من الأساس.

فهل نريد أن نمدح أبا بكر وعمر بقيمة ذم الأنبياء، ونسبة هذه النقائص إليهم؟!

ذل العرب.. وذل أهل مكة:

واللافت هنا: ما نسبوه إلى أبي بكر من القَسَمِ المتكرر حول أمر لا يصح ولا يجوز أن يدخل في دائرة أهداف الأنبياء «عليهم السلام»، فقد قال أبو بكر: «.. وأيم الله، وأيم الله، لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة. وقد أمركم بالجهاد ليغزو مكة..».

إن هدف الأنبياء «عليهم السلام» لا يمكن أن يكون إذلال أحد من الناس، بل مرادهم هو إخراج الناس من ذل العبودية للأهواء والشهوات، ومن ذل عبادة الأصنام والشرك إلى العز بالإسلام، ولا يمكن أن يريد النبي «صلى الله عليه وآله» ذل العرب، بل هو يريد ذل الشرك، والكفر، والانحراف. ولا يريد ذل أهل مكة، بل يريد لهم أن يحترموا أنفسهم، وعقولهم، أن يشعروا بالكرامة الإلهية، وبالتكريم الرباني..

حديث فاطمة ÷ كان في عام الفتح أيضاً:

عن أم سلمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثم حدثها فضحكت.
قالت: فلما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» سألتها عن بكائها وضحكها.

قالت: أخبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه يموت فبكيت، ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران، فضحكت^(١).
ولكن قال في بعض الروايات: إن ذلك كان بعد الفتح^(٢).

(١) الجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٣٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٤٨ وجامع الأصول (ط السنة المحمدية بمصر) ج ١٠ ص ٨٤ ومشكاة المصابيح ج ٣ ص ٢٦٨ وينايع المودة (ط إسلامبول) ص ١٧٢ والرصف للعاقولي (ط مكتبة الأمل الكويت) ج ١ ص ٢٨١ وأشعة اللمعات ج ٤ ص ٧١٤ وتفريح الأحباب (ط دهلي) ص ٤٠٨ ومرآة المؤمنين ص ١٩٠ والمختار من مناقب الأخيار ص ٥٦ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٩٧ والثغور الباسمة (ط بمبي) ص ١٣ وتيسير الوصول (ط نول كشور) ص ٥٩.

(٢) منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٩٨ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٢٢ وفضائل سيده النساء لعمر بن شاهين ص ٢٠ وتاريخ دمشق ج ٣٣ ص ٢٦٩ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٧٧ وتهذيب الكمال ج ١٦ ص ٢٧٥ وشرح إحقاق الحق ج ١٩ ص ٣٨ وج ٢٥ ص ٨٦.

ونقول:

١ - تقدم: أن هذه الرواية قد رويت عن عائشة أيضاً، وأنها هي التي حاولت استنطاق وحمل فاطمة «عليها السلام» على إفشاء سرّ النبي «صلى الله عليه وآله» حين ناجاها، فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي بعض نصوص الحديث: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لها: إنها أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت... وجمعت بعض الروايات بين العبارتين^(١). ولا مانع من أن يتكرر الحدث تارة مع أم سلمة، وأخرى مع عائشة، فتسأل كل واحدة منهما الزهراء «عليها السلام» بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» وتسمع الجواب..

كما أنه لا مانع من حدوث هذا الأمر أكثر من مرة، وأكثر من زمان. ويحتمل أن تكون أم سلمة قد ذكرت جزءاً من الجواب، وذكرت عائشة الجزء الآخر.

ولا مانع من أن تذكر عائشة كلا الجزأين من جواب النبي «صلى الله

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٢ ص ٦١ وسعد الشمووس والأقمار (ط) التقدم بمصر سنة ١٣٣٠ هـ) ص ١٠٣ والأنوار المحمدية ص ١٥٠ وتجهيز الجيش ص ٩٨ عن ابن عساكر، وأرجح المطالب ص ٢٤١ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٠ وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٨ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٥٥٢ والخصائص (ط) التقدم بمصر) ص ٣٤ وصفة الصفوة (ط) حيدرآباد) ج ٢ ص ٥ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٨٢ وطرح التثريب ج ١ ص ١٤٩ والمختار في مناقب الأخيار (ط) دمشق) ص ٥٦ ونظم در السمطين ص ٧٩.

عليه وآله» لفاطمة «عليها السلام»، أو أحدهما في مجالس مختلفة.

٢ - إن بعض نصوص هذه الحادثة يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر لفاطمة «عليها السلام» أن جبرئيل قد عارضه بالقرآن مرتين في ذلك العام، ليدل بذلك على قرب وفاته «صلى الله عليه وآله»، وهكذا كان.. وهذا يخالف رواية أم سلمة السابقة، التي تذكر أن هذه القضية قد حصلت عام الفتح، أي في السنة الثامنة للهجرة، في حين أنه «صلى الله عليه وآله» قد توفي في آخر السنة العاشرة، بناء على أن أول السنة هو ربيع الأول، أو في أوائل السنة الحادية عشرة بناء على أن ابتداء السنة الهجرية هو شهر محرم.

ولكننا ذكرنا: احتمال أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد ناجى فاطمة الزهراء «عليها السلام» في هذا الأمر أكثر من مرة، لحكمة اقتضت ذلك..

٣ - إن استثناء مريم بنت عمران ممن تكون فاطمة «عليها السلام» سيدتهن قد ورد في بعض نصوص هذا الحديث دون سائرهما.. فهل نسي الرواة هذه الفقرة؟ أم أنهم أهملوها عمداً، لعلمهم بأنها لم تكن في الحديث من الأساس؟

إننا نرجح الاحتمال الثاني، وذلك لما يلي:

ألف: إن الأحاديث الدالة على أن فاطمة سيدة وأفضل نساء أهل الجنة على الإطلاق، متواترة.. وقد وردت في مناسبات كثيرة ومتنوعة، وفي موارد أخرى غير مورد مسارة النبي «صلى الله عليه وآله» لفاطمة «عليها السلام».

ب: إن بعض نصوص الحديث قد صرحت: بأنها «عليها السلام»

..... :
سيدة نساء العالمين^(١). ويدل ذلك على عدم استثناء مريم منهن.
ج: إن الروايات دلت على: أن مريم بنت عمران سيدة نساء عالمها، أما
السيدة الزهراء «عليها السلام» فهي سيدة نساء العالمين، من الأولين
والآخرين^(٢).

-
- (١) أرجح المطالب ص ٢٤١ وتجهيز الجيش (مخطوط) ص ٩٦ وجامع الأحاديث
للسيوطي ج ٧ ص ٧٣٤ وأشعة اللمعات في شرح المشكاة (ط لكهنو) ج ٤
ص ٦٩٣ ووسيلة النجاة ص ٢٢٨ وعيون المعجزات ص ٥١ ومناقب آل أبي طالب
ج ٣ ص ١٣٧ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ وج ٨
ص ٢٦٦ واللمعة البيضاء للتبريزي ص ٤٦ وشرح إحقاق الحق ج ١٠ ص ٣٠
وج ٢٥ ص ٤٨ وج ٣٣ ص ٢٩٥ والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج ٢ ص ٧٢.
(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ص ٧٩ وأمالى الصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص ٧٨ و
١٧٥ و ٥٧٥ وكمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥٧ ومعاني الأخبار للصدوق
ص ١٠٧ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٧٣ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠
وروضة الواعظين ص ١٠٠ و ١٤٩ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٥٢٠ والمزار لابن
المشهدى ص ٨٠ والفضائل لابن شاذان ص ٩ والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي
ص ١٩٧ والشرف المؤبد ص ٥٤ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ٣٦٨
والصلاة في الكتاب والسنة للريشهري ص ٢٠٠ ودلائل الإمامة للطبري
ص ٨١ و ١٤٩ عن مشكل الآثار ج ١ ص ٥١، وعن حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٢،
وعن ذخائر العقبى ص ٤٣. وراجع: البحار ج ٢٨ ص ٣٨ وج ٣٧ ص ٨٥
وج ٤٣ ص ٢٤ و ٢٦ و ٤٩ و ٧٨ و ١٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٤٦
وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٩ ص ١١ وميزان الحكمة ج ١
ص ١٥٠ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٣٣٨ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٨٥ =

ويؤيد ذلك: الروايات الكثيرة جداً التي تقول: إنها «عليها السلام»
سيدة نساء أهل الجنة^(١). فإن أكثرها لم يستثن مريم «عليها السلام» حسبما
تقدم.

وأما الرواية التي ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرر أنها سيدة
نساء العالمين، فسألته «عليها السلام» عن موقع مريم في هذه الحالة، فقال:
لها «صلى الله عليه وآله»: تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك^(٢)،

= وقاوس الرجال ج ١٢ ص ٣٣٤ وبشارة المصطفى للطبري ص ٢٧٤ و ٣٠٦ والعدد
القوية ص ٢٢٧ وينايع المودة ج ٢ ص ٢٩٨ واللمعة البيضاء التبريزي ص ١٧٩ .
(١) راجع: كشف الغطاء (ط ق) ج ١ ص ١٨ والأُمالي للصدوق ص ١٧٨ وكفاية
الأثر ص ١٢٤ وكتاب سليم بن قيس ص ٢٣٦ و ٤٢٧ والإختصاص للمفيد
ص ١٨٣ والأُمالي للطوسي ص ٨٥ و ٢٤٨ ومناقب آل أبي طالب لابن
شهر آشوب ج ٣ ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٦٤ والعمدة لابن البطريق ص ٣٨٤ و
٣٨٨ عن صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٩ باب مناقب فاطمة «عليها السلام»
ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٢٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٣٣
ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٩١ وصحيح البخاري (دار الفكر) ج ٤ ص ١٨٣ و ٢٠٩ و
٢١٩ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٢٦ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٥٨ و ٧٦
والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٥١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١ وفتح الباري ج ٧
ص ٨٢ وراجع: إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ١٠ و ١٩ وأجزاء أخرى
لتجد هذه الرواية عن عشرات المصادر بطرق مختلفة.

(٢) راجع: إحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ١٠ عن كثير من المصادر و ج ١٩ ص ١٩
وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٧ وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٩٨ وفتح
الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود ج ٤ ص ٨ و امرأة المؤمنين ص ١٨٣ .

فهي متناقضة في نفسها، إذ لا ينسجم قوله «صلى الله عليه وآله» لها «عليها السلام»: إنها سيدة نساء العالمين، مع قوله لها: أنت سيدة نساء عالمك. وهذا يؤكد: أن الصحيح هو حذف العبارة الأخيرة ليستقيم المعنى. وذلك ظاهر لا يخفى.

جهزينا، وأخفي أمرك:

وروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله أن يمكث، ثم قال لعائشة: جهزينا، وأخفي أمرك^(١). وقال: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم، فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة»^(٢). وفي نص آخر أنه قال: «اللهم خذ العيون والأخبار على قریش، حتى نبغتها في بلادها»^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ عن ابن عقبة، وابن إسحاق، والواقدي، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥١.

(٢) راجع المصادر المتقدمة في الهامش السابق.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ١٠ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٨٠ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ والبداية =

وكان قد بنى الأمر في مسيره إليها على الاستسرار بذلك^(١).

عائشة تفشي سر النبي :

ودخل أبو بكر على عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: أمركن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتجهيزه؟

قالت: نعم، فتجهز.

قال: فأين ترينه يريد؟

قالت: لا والله ما أدري^(٢).

قال: ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد؟

قالت: لا علم لي^(٣).

ودخل عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، أردت سفرًا؟

= والنهاية ج ٤ ص ٣٢٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٥ .
(١) البحار ج ٢١ ص ١١٩ عن الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج ١ ص ٥٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٠٨ ولوامع الحقائق للأشتياني ج ١ ص ٨٥ .
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٩ .
(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ والمعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ٧٣ ودلائل النبوة للأصبهاني ج ٢ ص ٦٣٥ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٨٤ .

قال: نعم.

قال: فأتجهز؟!

قال: نعم.

قال: فأين تريد يا رسول الله؟!

قال: قريشاً. وأخف ذلك يا أبا بكر^(١).

«وفي رواية: أن أبا بكر قال: يا رسول الله، أتريد أن تخرج مخرجاً؟!

قال: نعم.

قال: لعلك تريد بني الأصفر؟!

قال: لا.

قال: أفتريد أهل نجد؟!

قال: لا.

قال: فلعلك تريد قريشاً؟

قال: نعم.

قال: يا رسول الله، أليس بينك وبينهم مدة؟

قال: أولم يبلغك ما صنعوا ببني كعب؟ يعني خزاعة^(٢).

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجهاز، قال: أوليس بيننا وبينهم

مدة؟!

قال: قال: إنهم غدروا، ونقضوا العهد، فأنا غازيهم.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٩ والمغازي للواقدي ج ٢

ص ٧٩٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ وبمعناه عند الواقدي في المغازي ج ٢ ص ٧٩٦.

وقال لأبي بكر: اطو ما ذكرت لك.

فظان يظن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد الشام، وظان يظن ثقيفاً، وظان يظن هوازن^(١).

ولنا مع ما تقدم عدة وقفات نسوقها على النحو التالي:

للمباغته وجهان:

للمباغته وجهان: وجه سيء، ووجه حسن، فمن يريد أن يباغت عدوه ليتمكن من إهلاكه، وسحق كل قدراته، وتدمير كل نبضات الحياة لديه، يعتبر المباغته فرصة للتخريب، والتدمير والاستئصال، والتنفيس عن الحقد، والتشفي، والانتقام الوحشي الذي لا يقف عند حد، فهذا الانتقام سيء وقبيح، وكذلك المباغته التي هيأت له..

وهناك المباغته التي يمارسها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويريد منها أن يهييء الجو لإلحاق هزيمة نفسية تتلاشى معها رغبة الطرف الآخر بالقتال، ويواجه أجواء الفشل والإحباط، ويدفعه إلى السعي لإنهاء المعركة، والخروج من أجوائها الضاغطة، فتنتج تلك المباغته السلامة، والنجاة، وصيانة المال والعرض، وربما يحتفظ بالكرامة والجاه، وفق ما تسوقه إليه إرادته، ويهديه إليه عقله، وتهيبه له اختياراته.

وخير دليل على ما نقول: هذا الذي جرى في فتح مكة، فإن عنصر المباغته في الفتح كان ظاهراً وواضحاً كالنار على المنار وكالشمس في رابعة

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٦ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٢.

النهار، مع أن مبررات الانتقام كانت حاضرة، والقدرة عليه ظاهرة، فقد نكثوا العهد، وقتلوا الأبرياء من الصبيان، والنساء، والرجال الضعفاء، وجحدوا ذلك وأنكروه، وسعوا إلى إبطال حق ضحاياهم بوسائل مأكرة، ظهرت بعض معالمها فيما تقدم من فصول..

فكان لا بد من إسقاط هيمنة الظالمين، وكف أيدي العتاة المتجبرين لإفساح المجال لعباد الله ليتنفسوا نسيم الحرية، وليخرجوا من أسر أولئك الطواغيت إلى كنف رعاية الله، ويتفياؤا ظلال شرائعه وأحكامه، حيث يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قائدهم، والحق رائدهم. وهكذا كان.

مكث ما شاء الله:

وقد صرح النص المتقدم: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى دعوة الناس للتجهز للمسير بمجرد دعوة الخيبة لأبي سفيان.. بل هو قد أهمل هذا الأمر مدة تكفي إلى غياب ما جرى لأبي سفيان عن ذاكرتهم، ثم أمرهم بالتجهز والاستعداد، فلم يفتنوا إلى الجهة التي يقصدها في مسيره ذاك..

ومن شأن جهلهم بمقصده أن يفوت الفرصة على محبي قريش، والمتعاملين معها، فلا يتمكنون من إنذارها في وقت مبكر لكي تأخذ حذرهما وتستعد للقتال، أو أن تزداد تحصُّناً وتمنعاً يقلل من تأثرها بالحشد الذي أعده، وبالعدة التي هيأها..

التجهيز لسفر مبهم:

ثم إن النص المتقدم يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قال لعائشة: جهزينا وأخفي أمرك..

أي أنه «صلى الله عليه وآله» يريد منها أن تخفي أصل التجهز، والاستعداد لسفر لم يحدده لها ولا عرّفها طبيعته، هل هو سفر للحرب؟ أو لزيارة منطقة بعينها؟ أو لأي غرض آخر..

والذي نريد أن نستوضحه هنا هو: أنها إذا كان المطلوب منها إخفاء نفس التجهيز له، فهذا يدل على أنه يريد سراً لا يعرف به أحد، فهل يريد أن يسافر وحده «صلى الله عليه وآله» دون سائر المسلمين؟! وربما يمكننا أن نجيب على هذا التساؤل بتقديم أحد احتمالين، ربما يكون أحدهما أو كلاهما هو السبب.

الإحتمال الأول: أن يكون الغرض هو إخفاء هذا الأمر عن أناس بأعيانهم، لهم نوع اتصال قريب بها، لعله يخشى من أن يبادروا إلى إعلام قريش بالأجواء التي استجدت في المدينة، تماماً كما حصل في قضية حاطب بن بلتعة الآتية، حيث بادر بالكتابة لقريش بمجرد أن علم بتهيؤ المسلمين لغزو ما، رغم أنه لم يعلم المقصود بالغزو أصلاً..

الإحتمال الثاني: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد اراد تقديم نموذج من معاناته، ليعرف الناس عظمة صبره ودقة ملاحظته، وصحة تدبيره الذي انتهى بذلك الفتح العظيم..

فإنه إذا كانت زوجة الرسول لم تستطع كتمان هذا الأمر لمدة ساعة أو ساعات، حتى أفشته لأبيها، رغم توصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»

لها، فما بالك بسائر الناس وكيف سيتصرفون عندما يظهر لهم طرف من هذا الأمر؟! .. :

وثمة احتمال ثالث يمكن أن ندرجه في دائرة مقاصده أيضاً، وهو أن يعطينا «صلى الله عليه وآله» درساً في الحيلة والحذر في مثل هذه الأمور، حتى من أقرب الناس، وهذا درس مفيد وجليل وسديد، لا بد من التوفر على مضامينه بحرص وإتقان.

نجاح الخطة:

يظهر جلياً من النصوص المتقدمة كيف أن الذين حاولوا التكهّن بمقصده «صلى الله عليه وآله» لم يخطر على بال أحد منهم أنه يقصد مكة، بل ذهب وهمهم إلى الشام، وثقيف، وهوازن.

كما أن أبا بكر قد قلب احتمالات عديدة، مثل أن يغزو أهل نجد، أو بني الأصفر، وكان آخر ما زعموا أنه خطر على باله هو غزو قريش، مع استبعاد قوي منه لهذا الاحتمال، مدّعماً بالاستدلال، بأنه كيف يغزوهم وبينه وبينهم مدة وعهد؟! ..

ومن غير الطبيعي كتمان أمر عن أمة بأسرها، يستنفر منها عشرة آلاف مقاتل ليعالجوا نفس هذا الأمر المكتوم، مع كثرة الموتورين والحاquدين في المنطقة، ومع وفرة المنافقين المتربصين. بالإضافة إلى الذين يبحثون عما يفيدهم في مصالحهم الشخصية، أو القبلية، أو غيرها..

وخفاء هذا الأمر الخطير إلى هذا الحد، وفي ظروف كهذه، وفي هذا المحيط بالذات يعد من أعظم الإنجازات، ومن أجلّ التوفيقات، ويدلّل

على التدبير الحكيم، والضبط الدقيق للأمور من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

الأخذ على الأسماع والأبصار:

لا يريد النبي «صلى الله عليه وآله» بدعائه الله بأن يأخذ على أسماع وأبصار أعدائه أن يتدخل الله سبحانه بإعمال إرادته التكوينية، ويفعل بهم ذلك بصورة قاهرة.. لأن هذا ظلم لهم، {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.. بل هو يطلب منه تعالى: أن يتصرف في خارج دائرة اختيار أولئك المشركين، فيؤيد المؤمنين بالتوفيقات والعنايات، والألطف الإلهية، وبالتدبيرات الصحيحة، ويفتح أبواب أفهامهم لسد الفرج، والإمساك بالأمور بحيث لا يتمكن أحد من إيصال أي خبر عن حقيقة ما يجري داخل المجتمع الإسلامي إلى معسكر الكفر والبغي والعدوان.. وهذا ما حصل بالفعل..

ولهذه المباغته تأثيرات هامة على صعيد حسم الأمور لصالح أهل الإيمان، من حيث إن ذلك يمثل فشلاً روحياً، وإحباطاً كبيراً لدى الأعداء..

وهو يفقدهم القدرة على الإعداد والاستعداد، وإيقاظ الهمم، وشحذ العزائم، ولا يبقى لهم الفرصة لرسم الخطط القتالية، والاستفادة من عنصر المفاجأة في المواقع المختلفة..

ثم إن جعل زمام المبادرة بيد أهل الإيمان من شأنه أن يجعل الأمور تسير باتجاه اتخاذ القرارات الحكيمة والمنصفة، والتدبيرات المؤثرة في حسم

الأمور بأقل قدر ممكن من الخسائر..

حتى نبغتها في بلادها:

ومن الواضح: أن مجرد أن يراك عدوك تطأ أرضه، وتحل في بلاده يجعله في موقع الدفاع بصورة تلقائية، ويضطره ذلك إلى الإحساس الداخلي بأن ثمة درجة من الهزيمة والخسارة قد حاقت به، وذلك يؤثر على روحه، ويطامن من عنفوانه، ويخفف من عنجهيته.

كما أنه يعطيك درجة من الهيمنة على الموقف، ويبعث فيك قدراً من الطموح، ويثير فيك حالة من العنفوان والقوة..

ولعل هذا وذاك هو ما يفسر لنا قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حتى نبغتها في بلادها» حسبما تقدم.

لماذا الحديث عن قريش دون بني بكر؟!

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ركز حديثه على قريش، دون بني بكر، مع أن بني بكر هم الذين ارتكبوا الجريمة، ودعوا قريشاً لمشاركتهم ومعاونتهم فيها، فسارع عدد من زعمائها إلى تلبية الطلب.. فلماذا يخصصها «صلى الله عليه وآله» بالذكر دونهم يا ترى؟!

ونقول في الجواب:

إن رأس الطغيان في المنطقة العربية كلها، وحامي حمى البغي والظلم والتعدي هو قريش.. ولولاها لم يجرؤ بنو بكر على مهاجمة خزاعة، ويكفي مانعاً ورادعاً عن ذلك معرفتهم بحلف خزاعة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولذلك سعى بنو نفاثة إلى إشراك قريش في هذا الأمر..
فاستئصال كبرياء قريش، وكسر جبروتها الظالم يكفي لمنع تكرار مثل
هذه الجرائم..

أبو بكر وعائشة في مازق:

وقد يعتذر البعض عن إفشاء عائشة السر الذي أمرها رسول الله
«صلى الله عليه وآله» بإخفائه، فبادرت إلى إفشائه لأبيها عند أول سؤال
وجهه إليها - يعتذر - بأنها لم تنفش السر لرجل غريب، بل هو أبوها المقرب
جداً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والذي يعد من أهل البيت،
وكانت تقطع برضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإطلاعه على ما هو
أهم من هذا..

ونجيب بما يلي:

أولاً: لو كان هذا صحيحاً لبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه
إلى إعلام أبي بكر بالأمر.

ثانياً: هذا اجتهاد في مقابل النص، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد
نص صراحة على لزوم إخفاء هذا الأمر، فلا معنى، ولا يقبل اجتهاد عائشة
في مقابل هذا النص.

ثالثاً: إن قضايا الحرب والسلام قد تطوى عن أقرب الناس، وتبين
وتفصل للبعداء لأسباب تعود إلى طبيعة الحرب واقتضاءاتها..

ومن كلام علي «عليه السلام» لأصحابه: «ألا وإن لكم عندي أن لا
أحتجز (أحجب) دونكم سرّاً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في

حکم^(١).

وقد يكون القريب ثثاراً، والبعيد كتوماً. وفي غير هذه الصورة أيضاً قد يثق القريب بمن لا يؤمن من اتصاله بالعدو، وإخباره بما يجري.. بل قد يكون للقريب ما يدعو به إلى مباشرة ذلك بنفسه.. وقد.. وقد.. رابعاً: إن نفس انصراف الرسول «صلى الله عليه وآله» عن إخبار أبي بكر بهذا الأمر يضع علامة استفهام كبيرة حول صحة ما يدعونه من تقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» له. فضلاً عن أن يعدّ من أهل بيته..

وبعد هذا كيف يمكن ادّعاء أنها كانت تقطع بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرضى منها بإخباره بالأمر، فإن هذا من الأمور القلبية التي لا يعرفها إلا علام الغيوب.. خامساً: بالنسبة لقرب أبي بكر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

إن ثمة فرقاً بين قرب يأتي من إصرار أبي بكر على حشر نفسه في مجالس النبي «صلى الله عليه وآله»، ومثابرتة على نسبة نفسه إليه، وسعيه إلى التحدث باسمه، وإظهار قربه منه.. و.. الخ.. وبين تقرب النبي «صلى الله عليه وآله» له، والدال على محبته «صلى الله عليه وآله» له، وثقته به..

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٩ والأُمالي للطوسي ص ٢١٧ والبحار ج ٣٣ ص ٧٦ و ٤٦٩ وج ٧٢ ص ٣٥٤ وميزان الحكمة للريشهري ج ١ ص ١٢٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٦٣ والمعيان والموازنة ص ١٠٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ١٦.

والذي يمكن التسليم به لأبي بكر هو الأول. أما الثاني، فلا مجال لإثباته.
بل هناك دلائل وشواهد تصب في عكس هذا الاتجاه، ومنها: هذه
القضية بالذات، حيث إن عدم إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» له ولو
بمقدار ما اطلع عليه عائشة يضع علامة استفهام كبيرة حول أصل ثقته به،
واعتماده عليه..

أبو بكر يصير على النبي ' إلى حد الإحراج:

وقد رأينا في الروايات المتقدمة: حرص أبي بكر على معرفة كنه الأمر،
ولا يكتفي بتوجيه عدة أسئلة إلى ابنته، مثل:
أمركن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتجهيزه؟!
أين ترينه يريد؟!
ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد؟!
بل هو يوالي الأسئلة على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ويسمع
أجوبة مقتضبة، من شأنها أن تعرّفه: أنه لا يريد أن يبوح له بشيء. ولكنه
يتابع الأسئلة، ويصر على معرفة حقائق الدقائق، ومن أسئلته:
أردت سفراً؟
فأتجهز؟
أتريد أن تخرج مخرجاً؟
فأين تريد يا رسول الله؟
لعلك تريد بني الأصفر؟
أفتريد أهل نجد؟

فلعلك تريد قريشاً؟

أليس بينك وبينهم مدة؟

ولم يكن من المصلحة: أن يأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالكف عن الأسئلة، فربما تذهب به الظنون مذاهب مخيفة، ولربما تسوقه الأوهام إلى تكهنات لو سمعها الآخرون منه لألحقت بالمسيرة ضرراً بالغاً..

ولكن الذي كنا سنرتاح كثيراً لو عرفناه هو:

١ - ألم يلتفت أبو بكر إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يعرفه شيئاً مما عقد العزم عليه، حتى أصل أنه يريد سفرأ؟ كما دل إخباره «صلى الله عليه وآله» عائشة دونه؟!

٢ - وبعد أن عرف أن النبي «صلى الله عليه وآله» يريد سفرأ، لماذا يصّر على معرفة المقصد بدقة، كما ظهر من توجيهه كل تلك الأسئلة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسماعه تلك الأجوبة المقتضبة؟! ألم يدرك أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليس راغباً في البوح له بشيء؟ فلماذا يخرجه بأسئلته إذن؟!

٣ - هل يمكن أن نستفيد من أسئلته لابنته عائشة، أنه لم يكن واثقاً من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سيخبره لو سأله، فحاول أن يستل بعض الأخبار منها، فلما أعياه ذلك توجه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يزل يخرجه بالسؤال تلو السؤال حتى حصل على ما أراد!!

٤ - ثم ما معنى أن يسأل ابنته عن الاحتمالات التي تراودها، فيما يرتبط بوجهة سير رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ وماذا يفيد رأيها وحدثها، وأية قيمة تكون للحدسيات والتخمينات في أمور كهذه؟!

أليس بينك وبينهم مدة؟!:

وقد حضر أبو بكر أو سمع بمجيء عمرو بن سالم، وبديل بن ورقاء، وجماعة كبيرة إلى المدينة، وعرف منهم ما جرى لخزاعة على يد قريش وبني بكر.. ورأى أبا سفيان أيضاً حين جاء يريد خداع المسلمين، والمكر بهم وبرسول الله «صلى الله عليه وآله» للنجاة من تبعات نقض العهد.. وقد كان لأبي بكر نفسه نصيب من النشاط الذي أثاره أبو سفيان في هذا الاتجاه، وزعموا له موقفاً شديداً مميزاً تفرد به، ثم تابعه عليه زميله عمر بن الخطاب.

فما معنى اعتراضه على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما عقد عليه العزم في قريش، وكيف يزعم أن بين النبي وبينهم عقداً وعهداً ومدة، وهو عالم بنقض قريش للعهد والعقد في أمر خزاعة؟!:

السيطرة على المسالك:

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» جماعة أن تقيم بالأنقاب (وهي المسالك في الجبال).

وكان عمر بن الخطاب يطوف على الأنقاب، فيمرُّ بهم، فيقول: لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونيه إلا ردتموه .

لكن صاحب السيرة الحلبية نقل ذلك من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وكانت الأنقاب مسلّمة إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به، ويسأل

عنه^(١).

ونقول:

١ - إن رصد الطرقات والمنافذ إلى مكة، ووضع الرجال على المسالك في الجبال بصورة دائمة من شأنه أن يزيد الأمور ضبطاً وانتظاماً، وأن يمنع من تسرب الأخبار إلى قريش، ولا أقل من أنه يحرج من يريد أن يفعل ذلك، ويربكه، ويحد من ميله لتعريض نفسه للفضيحة، لو كشف أمره..

٢ - إن هذه القوات التي كلفت بمهمة حفظ الطرقات لم تكن تضايق أحداً من سالكي تلك الطرق، فقد ذكر النص المتقدم: أن الطرق مسلّمة، لا يعترض أحد فيها سبيل أحد إلا من سلك إلى مكة.

٣ - وحتى من يريد مكة، فإنه لا يمنع من ذلك، وإنما يحتجز بمقدار ما يتأكد من أمره، فيسأل عنه.

٤ - لعل المقصود بالسؤال عن السالك إلى مكة هو: مراجعة النبي «صلى الله عليه وآله» في أمره..

٥ - إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد حدد لتلك القوات الراصدة والضابطة للطرقات مسؤوليتها، وهو أن لا يدعوا أحداً يمر بهم ينكرونها إلا ردّوه.. فلماذا يطوف عمر بن الخطاب على الأنقاب، ويطلب منهم نفس هذا الطلب، ويصدر لهم نفس هذا الأمر؟!

ولسنا نشك في: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حدد لأولئك

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥١.

الرجال المهمة التي انتدبهم لها - حتى لو لم يذكر لنا الحلبي أو غيره مضمون كلامه «صلى الله عليه وآله» لهم -.

فتكرار هذا الكلام على مسامعهم من عمر لا يقدم ولا يؤخر، لأن هذه هي مهمتهم التي انتدبوا لها، وهم ينفذون أوامر النبي «صلى الله عليه وآله» لا أوامر عمر.. إلا إذا كان عمر يريد أن يوحى لهم: بأنه قرين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونظيره، وأوامره كأوامره، وطاعته كطاعته..

واللافت هنا: أننا لا نجد هذه الحركات وأمثالها لدى أي من الصحابة الآخرين إلا من عمر بن الخطاب.. وإن شاركه غيره في شيء من ذلك فستجد أنه يسير في نفس خطه، ومن القرييين منه، أو من أهل الصفاء عنده، وتربطهما أواصر مودة وإلفة..

إلى بطن إضم:

لما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسير إلى مكة، بعث أبا قتادة بن ربعي إلى بطن إضم، ليظن الظان: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توجه إلى تلك الناحية، وأن لا تذهب بذلك الأخبار^(١). وأبان رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسير إلى قريش^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ عن ابن عقبة، وابن إسحاق، والواقدي، وغيرهم. والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٤٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ وإمتاع الأسماع =

وأرسل إلى أهل البادية، ومن حولهم من المسلمين، يقول لهم: «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة»^(١).

وهم أسلم وغفار، ومزينة وجهينة، وأشجع، وبعث إلى بني سليم. فأما بنو سليم فلقيته بقديد، وأما سائر العرب فخرجوا من المدينة^(٢). وبعث رسلاً في كل ناحية حتى قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

قالوا: «ودعا رئيس كل قوم، فأمره أن يأتي قومه، فيستنفرهم»^(٤). وقالوا أيضاً: لما عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على فتح مكة - شرفها الله تعالى - كتب إلى جميع الناس في أقطار الحجاز وغيرها، يأمرهم أن يكونوا بالمدينة في شهر رمضان من سنة ثمان للهجرة، فوافته الوفود والقبائل من كل جهة^(٥).

= ج ١ ص ٣٥٣.

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٣٠٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٤ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٣٠٨.

(٤) البحار ج ٢١ ص ١٢٧ عن إعلام الوری (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢١٨.

(٥) شرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٣٥٩ عن الواقدي، والكافي ج ٤ ص ٢٤٩ والوسائل ج ٨ ص ١٥٨ وعن السيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش السيرة الحلبية) ج ٢ ص ٢٩٨ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٣٠٨.

وقال حسان بن ثابت يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنها يا ابن أم مجالد إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها^(١)

قال ابن إسحاق: وقول حسان: بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم: يعني قريشاً، وابن أم مجالد: عكرمة بن أبي جهل^(٢).

وعسكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ببئر أبي عنبه، وعقد الألوية والرايات. فكان في المهاجرين ثلاث رايات: راية مع علي، وراية مع سعد بن أبي وقاص، ثم ذكر الواقدي سائر الرايات^(٣).

إشارة لما سبق:

ونقول:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ و ٢١٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ و ٢١٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٧.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٠ وإمتاع الأسماع ج ٧ ص ١٦٨.

قد تحدثنا في جزء سابق عن سرية بطن إضم، فلا نرى حاجة للإعادة،
ونكتفي بالإشارة إلى بضعة أمور هي التالية:

النفير العام:

إنه يبدو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد استنفر جميع العرب، بدوهم
وحضرهم، قرييهم وبعيدهم، مسلمهم وكافرهم، ربما لأنه أراد أن يؤكد
لهم سقوط جميع حصون الشرك في المنطقة، وأنه لم يعد هناك مبرر للتعامل
بجفاء، أو عدااء.

وعليهم الاعتراف بهيمنة الإسلام وقدرته وقوته، إذ إنهم ليسوا هدفاً
عسكرياً له، ولا هو يريد أن يتلعبهم، أو أن يستغلهم.

بل هو يريد أن يتعاون معهم على حل المشكلات، وان يقف إلى
جانبهم في إقرار الأمن والسلام، ومنع الظلم والتعدي. إذ هو يدعوهم إلى
نصرة المظلومين، ومحاربة الظالمين، الذين ينقضون العهود، ويبطشون
بالصبيان، والنساء، والضعفاء.. فلماذا لا ينصرونه، ولا يكونون معه؟ فإن
ذلك من مصلحتهم بلا ريب.

ويدل أنه قد جرى على استنفار جميع العرب، النصوص المتقدمة
نفسها، بالإضافة إلى أنه في حرب خيبر، وفي غيرها، وهي حروب كبرى،
وصعبة ومصيرية، لم يستطع حشد أكثر من ألف وخمس مائة مقاتل مقابل
أكثر من عشرة آلاف مقاتل من الأعداء، كانوا مستقرين في حصونهم،
ومستعدين للمواجهة.

ولكنه جمع في مؤتة ثلاثة آلاف مقاتل..

وقد قلنا: إن الظاهر هو: أنه قد نفر معه مئات من غير المسلمين أيضاً، لأنهم أدركوا: أن خطر ملك الروم عظيم وجسيم، فلا بد لهم من الدفع عن أنفسهم، وحفظ حوزتهم، كما تقدم.

الحضور إلى المدينة في شهر رمضان:

وقد كانت رسالته «صلى الله عليه وآله» إلى العرب هي: الطلب إليهم أن يحضروا إلى المدينة في شهر رمضان، ولم يبين لهم سبب هذا الطلب، ولا الغاية من حضورهم، فهل هو يحضرهم لإبلاغهم أمراً، أو لمشاورتهم فيه، أو للاتفاق معهم على شيء بعينه، أو لحرب أهل مكة، أو حرب غيرهم؟ إن ذلك لم تحدده لهم تلك الرسائل التي أرسلها إليهم.. وحتى بعد أن ظهر أن القصد هو التجمع للحرب، فإن الأمر بقي غائماً ومجهولاً لهم، إلى أن سار بتلك الجموع مسافات طويلة، ثم سلك طريق مكة..

ولم نجد منهم أي تمرد أو تملل أو ضيق من هذا القرار القاسي بحجب معرفة المقصد عنهم، بل ربما يكون ذلك قد أشعرهم بخطورة الأمر وأهميته، وهياهم لمواجهة أي خيار يفرض عليهم بصبر وشجاعة. وإن هذا يشير بلا شك إلى مدى تسليم الناس لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وثقتهم بتدبيره، رغم أنهم لم يكونوا كلهم - حسبما استظهرناه - من أهل الإيمان، والإسلام.

إبان المسير إلى قريش:

قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر عائشة بكتان الأمر،

وأمر أبا بكر بذلك أيضاً. وأنه أرسل أبا قتادة إلى بطن إضم، ولم يعلمه بوجهة سيره لئلا تذهب بذلك الأخبار.

فما معنى قولهم هنا: إنه «صلى الله عليه وآله» أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتجهيز^(١)؟

أو قولهم: «أبان رسول الله «صلى الله عليه وآله» السير إلى قريش، وأرسل إلى أهل البادية الخ..»^(٢).

ومما يؤكد التزام السرية في هذا الأمر قولهم: «.. وأمر «صلى الله عليه وآله» الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريده وقد قال له أبو بكر: يا رسول الله، أليس بيننا وبينهم مدة؟

قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد. واطو ما ذكرت لك..»^(٣).

يضاف إلى ذلك: أن رسالة حاطب بن أبي بلتعة لقريش تدل على أنه لم يكن على يقين من وجهة سيره «صلى الله عليه وآله»، حيث جاء فيها: «وإن محمداً قد نفر، فإما إليكم، وإما إلى غيركم».

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٩ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٣ والعبر وتاريخ المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٣٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٢.

.....
أو جاء فيها: «قد آذن بالغزوة، ولا أراه إلا يريدكم»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وفتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٣ والسيرة الحلبية
(ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١.

الفصل الخامس:

ابن أبي بلتعه..
يتجسس ويفتضح

اكتشاف تجسس ابن أبي بلتعة لقريش:

وروي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما أجمع السير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأمر في المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة^(١)، (سوداء كما في البحار) زعموا أنها من مزينة.

قال محمد بن عمر: يقال لها: كنود^(٢).

قال ابن إسحاق: وزعم لي غير ابن جعفر: أنها سارة مولاة لبعض بني

(١) البحار ج ٢١ ص ١١٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ نيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٤٠٠ وتخریج الأحادیث والآثار للزيلعي ج ٣ ص ٤٥٠ وجامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ والثقات لابن حبان ج ٤ ص ٤١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٣ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٣٧٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٢٠٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ وتخریج الأحادیث والآثار للزيلعي ج ٣ ص ٤٥٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٦ والبداية والنهاية ج ٤ هامش ص ٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٢.

المطلب^(١).

وزعم مغلطي: أن حاملة الرسالة هي: أم سارة واسمها كنود^(٢).
وجعل لها جعلاً^(٣).
قال محمد بن عمر: ديناراً^(٤).

-
- (١) في البحار ج ٢١ ص ١٢٥ و ١٣٦ و ١٣٧ عن إعلام الوري: أنها مولاة أبي لهب .
وعن تفسير فرات ص ١٨٣ و ١٨٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٩ وتاريخ
الخميس ج ٢ ص ٧٨ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٦ وتخريج الأحاديث والآثار
للزيلعي ج ٣ ص ٤٥٠ وجامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير القرآن العظيم
ج ٤ ص ٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٣
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦ .
- (٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وراجع: فتح الباري (المقدمة) ص ٢٨٨ و ٣٠١ وعمدة
القاري ج ١٤ ص ٢٥٤ وج ١٧ ص ٢٧٤ وعون المعبود ج ٧ ص ٢٢٣ وتفسير
الآلوسي ج ٢٨ ص ٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٩ ص ٣٠ والإصابة ج ٨ ص ٣٩٨ .
- (٣) سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٦٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠ والبحار
ج ٢١ ص ١١٩ و ١٣٦ وتفسير فرات ص ٤٨٠ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ٣٤٩
وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والإرشاد ج ١ ص ٥٦ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣٠١ وشرح
النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٦ وجامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير ابن زمين
ص ٣٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ وإمتاع
الأسماع ج ١٣ ص ٣٧٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥ و ٤٠٨ وعيون الأثر ج ٢
ص ١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦ وشرح إحقاق الحق ج ٣١ ص ٨ .
- (٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ وعمدة
القاري ج ١٧ ص ٢٧٤ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٤٠٠ .

وقيل: عشرة دنانير^(١).

أضاف الحلبي قوله: وكساها برداً^(٢)، على أن تبلغه أهل مكة.

وعن ابن عباس: أعطاهما عشرة دنانير^(٣).

وعن مقاتل: عشرة دراهم وكساها برداً^(٤).

وقال لها: أخفيه ما استطعت، ولا تمرى على الطريق، فإن عليه

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠ والبحار ج ٢١ ص ٩٤ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٤٠٠ وج ١٢ ص ٢٧٣ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ وتاريخ الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤٧ وحقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ج ٤ ص ٨٨ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٤٦ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٩ وتفسير النسفي ج ٤ ص ٢٣٥ وتفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٦٩.

(٢) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠ ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وفتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٣ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ وتاريخ الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤٧ وحقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ج ٤ ص ٨٨ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٤٦ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٠ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٩ وتفسير النسفي ج ٤ ص ٢٣٥ وتفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٦٩.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٩٤ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٤٦ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٠ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٩٤ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠.

حرساً^(١).

فجعلته في رأسها، ثم قتلت عليه قرونها، ثم خرجت به، فسلكت غير
نقب عن يسار المحجة في الفلوق حتى لقيت الطريق بالعقيق^(٢).

نص الكتاب:

وذكر السهيلي أنه قيل: إنه كان في كتاب حاطب: أن رسول الله «صلى
الله عليه وآله» قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو
سار إليكم وحده لنصره الله تعالى عليكم، فإنه منجز له ما وعده فيكم، فإن
الله - تعالى - ناصره ووليه^(٣).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ وراجع:
السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١٠ وتاريخ الخميس ج ٢
ص ٧٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٩ عن أحمد، ومسلم، والبخاري، والنسائي،
والترمذي، وأبو داود عن أبي رافع عن علي، وأبو يعلى، والحاكم والضياء عن
عمر بن الخطاب. والإمام أحمد، وعبد بن حميد عن جابر، وابن مردويه عن
أنس، وابن مردويه عن سعيد بن جبير، وابن إسحاق عن عروة، وابن مردويه
عن عبد الرحمن عن حاطب بن أبي بلتعة، ومحمد بن عمر عن شيوخه.

وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ والبحار ج ٢١ ص ١١٩ و ١٢٠ عن الإرشاد
للمفيد، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٩ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٣٥٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ والسيرة الحلبية
ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٦ وفتح الباري
ج ٧ ص ٤٠١ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٧٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥٠ =

.....
: ..
وعند الطبرسي: أنه كتب لقريش: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله»
خارج إليكم يوم كذا وكذا^(١).

وفي تفسير ابن سلام: أنه كان فيه: إن محمداً «صلى الله عليه وآله» قد
نفر فإما إليكم، وإما إلى غيركم، فعليكم الحذر. انتهى^(٢).
وذكر ابن عقبة الواقدي: أن فيه: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد
أذن بالغزو، ولا أراه إلا يريدكم، وقد أحببت أن يكون لي يد بكتابي
إليكم^(٣).

وعند الطبرسي: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة: إن رسول الله
«صلى الله عليه وآله» يريدكم، فخذوا حذركم^(٤).

= وتفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٦٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ والشفاء بتعريف
حقوق المصطفى ج ١ ص ٣٤٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٠٥ والسيرة النبوية لابن
كثير ج ٣ ص ٥٣٧.

(١) البحار ج ٢١ ص ١٢٥ عن إعلام الوری (ط مؤسسة الوفاء) ج ١ ص ٢١٦.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ والبداية والنهاية
ج ٤ ص ٣٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٧ وراجع: البحار ج ٢١
ص ١٣٧ وتفسير فرات ص ١٨٣ و ١٨٤ و (ط مؤسسة الطبع والنشر - طهران)
ص ٤٨٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة)
ص ١١ وراجع: فتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٣.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٩٤ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة الأعلمي)
ج ٤ ص ٤٥٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٧ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ وتخریج =

التدخل الإلهي:

قال القمي: «إن حاطب بن أبي بلتعة كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان عياله بمكة. وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصاروا إلى عيال حاطب، وسألوه أن يكتبوا إلى حاطب، يسألوه عن خبر محمد «صلى الله عليه وآله»: هل يريد أن يغزو مكة؟! فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك»^(١).

فكتب إليهم حاطب: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى «صفية» فوضعت في قرونها الخ.. وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام^(٢).

= الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤٧ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٠ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٦٣ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٣٤٦ وج ٩ ص ٢٩١ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٣ ص ٣٤٧ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٢ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٩ وتفسير النسفي ج ٤ ص ٢٣٥ وتفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٥٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١ وتفسير البيضاوي ج ٥ ص ٣٢٥ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣١٣ والدر المنثور ج ٣ ص ١٧٨ وتفسير أبي السعود ج ٨ ص ٢٣٥.

(١) البحار ج ٢١ ص ١١٢ وج ٧٢ ص ٣٨٨ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣٠١ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٥ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٣٤.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وج ١٠ ص ٦٤ والبحار ج ٢١ ص ١١٢ و ١٢٠ وج ٧٢ ص ٣٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦١ والتفسير =

زاد أبو رافع: المقداد بن الأسود^(١).

وغير ابن إسحاق، يقول: بعث علياً والمقداد^(٢).

وفي رواية عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي: أبا مرثد، بدل المقداد^(٣).

وفي الحلبيّة: بعث علياً «عليه السلام»، والزبير، وطلحة، والمقداد.

وقيل: بعث علياً، وعماراً، أو الزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد.

ولا مانع من أن يكون بعث الكل.

= الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٥ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ١٩٩
وتفسير الميزان ج ١٩ ص ١٣٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٦ وجامع
البيان للطبري ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وتاريخ الأمم
والمملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج ١
ص ٣٥٢ وج ١٣ ص ٣٧٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون
الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦ والسيرة الحلبيّة (ط
دار المعرفة) ج ٣ ص ١١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وج ١٠ ص ٦٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤
والسيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ والمححر الوجيز في تفسير
القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وتفسير القرطبي ج ١٨
ص ٥١.

(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وج ١٠ ص ٦٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤
والسيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ والمححر الوجيز في تفسير
القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١.

وبعض الرواة اقتصر على بعضهم^(١).

وزاد الطبرسي: عمر.

وكانوا كلهم فرساناً^(٢).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدرك امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم»^(٣).

ولفظ أبي رافع: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتاب» فخرجوا^(٤) - وفي لفظ: فخرجوا - حتى إذا كان بالخليعة، خليقة بني

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ والبحار ج ٢١ ص ٩٤ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٤٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ و ج ١٩ ص ٢٢٩ وتفسير جوامع الجامع ج ٣ ص ٥٤٢ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٠ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وأسباب نزول الآيات للواحدي ص ٢٨٢ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسين ج ٢ ص ٦٨٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج ١ ص ٢٧٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ٦/ (٣٠٠٧) (٤٨٩٠) ومسلم ص ٣/ (١٩٤١) حديث (١٦١) وأبو داود في الجهاد، وأحمد ٧٩/١ والترمذي في تفسير سورة الممتحنة، والبيهقي في الدلائل ١٦/٥.

وراجع: البحار ج ٢١ ص ٩٤ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة =

أحمد الخ..

وفي الحلبية: «فخذوه منها وخلوا سييلها، فإن أبت فاضربوا عنقها»^(١).
وقال المفيد: فاستدعى أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال له: «إن بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم. والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها، وانتزع الكتاب منها، وخلها، وصر به إلي».

= (الأعلمي) ص ٤٤٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وكتاب الأم للشافعي ج ٤ ص ٢٦٤ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٣٤٠ وكتاب المسند للشافعي ص ٣١٦ ومسند أحمد ج ١ ص ٧٩ وصحيح البخاري ج ٦ ص ٦٠ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٧ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٨٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٦ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٤ وج ١٧ ص ٢٧٣ وج ١٩ ص ٢٢٩ ومسند الحميدي ج ١ ص ٢٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٥٧ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٣١٦ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٤٢٤ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٧ ص ١٠٢ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤٧ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠١ وتفسير جامع البيان ج ٢٨ ص ٧٤ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٦٩ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٦١ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ وتفسير فرات ص ١٨٣ و ١٨٤ والبحار ج ٢١ ص ١٣٦ و ١٣٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩ وراجع: تفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٢ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١ ومطالب السؤل ص ١٩٧ وكشف الغمة ج ١ ص ١٧٩.

ثم استدعى الزبير بن العوام وقال له: «امض مع علي بن أبي طالب في هذا الوجه».

فمضيا، وأخذا على غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الذي معها فأنكرت، وحلفت: أنه لا شيء معها، وبكت.

فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» نخبره ببراءة ساحتها.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: يخبرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت: إنه لا كتاب معها؟! ثم اخترط السيف، وتقدم إليها، فقال: أما والله لئن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك، ثم لأضربن عنقك.

فقالت: إذا كان لابد من ذلك فأعرض يا ابن أبي طالب بوجهك عني، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها، وأخرجت الكتاب من عقيصتها، فأخذه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وصار به إلى النبي «صلى الله عليه وآله». فأمر أن ينادى: «الصلاة جامعة»، فنودي في الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم.

ثم صعد النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المنبر، وأخذ الكتاب بيده وقال: «أيها الناس إني كنت سألت الله عز وجل أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي».

فلم يقم أحد، فأعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقالته ثانية،

وقال: «ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي».

فقام حاطب بن أبي بلتعة، وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي، ولا شكاً بعد يقيني.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟»

قال: يا رسول الله، إن لي أهلاً بمكة، وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون دائرة لهم علينا، فيكون كتابي هذا كفاً لهم عن أهلي، ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك للشك في الدين.

فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله مرني بقتله، فإنه منافق.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنه من أهل بدر. ولعل الله تعالى اطلع عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد».

قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليرق عليه، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» برده، وقال له: «قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربك، ولا تعد لمثل ما جنيت»^(١).

وفي نص آخر: «فخرج علي والزبير، لا يلقيان أحداً حتى وردا ذا الحليفة، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» وضع حرساً على المدينة. وكان

(١) البحار ج ٢١ ص ١١٩ - ١٢١ و ص ١٢٥ و ١٢٦ عن الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٥٦ - ٥٩ وراجع: إعلام الوری ج ١ ص ٣٨٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٠٨.

على الحرس حارثة بن النعمان، فأتيا الحرس فسألاهم، فقالوا: ما مر بنا أحد.

ثم استقبلا خطاباً فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة، فأدركاها فأخذ علي منها الكتاب، وردها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فدعا حاطباً، فقال له: انظر ما صنعت..

قال: أما والله، إني لمؤمن الخ..^(١)

وقال ابن عقبة: أدركاها ببطن ريم، فاستنزلاها فحلفت، فالتمساه في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فهموا بالرجوع، فقال لها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وما كذبتنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك.

وعند القمي: ما كذبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جبرئيل، ثم ولا كذب جبرئيل عن الله جل ثناؤه، والله لتظهرن الكتاب أو لأوردن رأسك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..^(٢) (زاد في الحلبية: أو أضرب عنقك).

وفي مجمع البيان: وسل سيفه وقال: «أخرجي الكتاب، وإلا والله

(١) البحار ج ٢١ ص ١٢٥ عن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٦.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١١٢ وج ٧٢ ص ٣٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٥ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٩٩ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٣٤.

لأضربن عنقك»^(١).

فلما رأت الجدد، قالت: أعرضوا. فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه.

فخلوا سبيلها، ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فأتي به رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فدعا حاطباً، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟

قال: يا رسول الله. إني والله لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت، ولا بدلت، ولكنني كنت امرئاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٩ ص ٤٤٦ البحار ج ٢١ ص ٩٤ وج ٤١ ص ٨ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ٣ ص ٦٨٣ وعين العبرة في غبن العترة لأحمد بن طاووس ص ٢٧ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٠٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحمانى الهمداني ص ٧٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١٢ والبحار ج ٢١ ص ٩٤ و ١١٢ و ١٣٦ و ١٣٧ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ وتفسير فرات ص ١٨٣ و ١٨٤ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٧ و ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٧.

وفي نص آخر: أنها أخرجت الكتاب من حجزتها، والحجزة معقد الإزار والسر اويل^(١).

وحسب نص أورد في البحار: أن حاطباً قال: والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ صحبتك، ولا أجبتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت (عريراً) عزيزاً فيهم. (العريز: الغريب)، وكان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وإن كتابي لا يغني عنهم شيئاً.

فصدقه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعذره، فقام عمر بن الخطاب وقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال «صلى الله عليه وآله»: وما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٢ وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ٦٠ والبحار ج ١٨ ص ١١٠ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٣٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٦ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ وج ١٥ ص ١١ وتحفة الأحوذى ج ٩ ص ١٤١ ومسند بن أبي يعلى ج ١ ص ٣٢٠ وتخرىج الأحاديث ج ٣ ص ٤٤٩ و ٤٥١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٢٣ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٧٦ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ٢٢٤ والمححر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١ والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي ج ٤ ص ١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ١٢٣ وج ١٣ ص ٣٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٨٠.

بدر، فغفر لهم، فقال لهم: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم^(١).

وفي نص القمي: «ولكن أهلي وعيالي كتبوا إلي بحسن صنع قريش إليهم، فأحببت أن أجازي قريشاً بحسن معاشرتهم، فأنزل الله الخ..» (٢).
ولفظ أبي رافع، فقال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرئاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم بها وأهليهم بمكة، ولم يكن لي قرابة، فأحببت إذ فاتني ذلك من بينهم أن أأخذ فيهم يداً أحمي بها قرابتي. وما فعلت ذلك كفراً بعد إسلامي.

(١) البحار ج ٢١ ص ٩٤ و ٩٥ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢١ والدرر لابن عبد البر ص ٢١٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤٨ وجامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٧٧ وأسباب نزول الآيات ٢٨٣ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٩ وراجع: تفسير السمرقندي ج ٣ ص ٤١٣ والمحزر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وزاد المسير ج ٨ ص ٣ وتفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٥٣ والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي ج ٤ ص ١١٢ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٧ والسيرة الحلبي (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٢ وشرح إحقاق الحق ج ٣١ ص ٧.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١١٢ وج ٧٢ ص ٣٨٨ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ١٢٩٠ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٦ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٠ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٣٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦٢.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنه قد صدقكم».

فقال عمر لحاطب: قاتلك الله!! ترى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأخذ بالأنقب وتكتب إلى قريش تحذرهم؟! دعني يا رسول الله أضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما يدريك يا عمر أن الله عز وجل أطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»؟!»

فاغرورت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم، حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ و ٢١١ وتفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٩٧ وج ٣٢ ص ١٥٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و ٧٦ و (ط دار المعرفة) ص ١٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وراجع: كتاب الأم للشافعي ج ٤ ص ٢٦٤ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٣٤١ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ١٥٤ و ١٥٦ والإيضاح لابن شاذان ص ٥٠٧ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٣٠١ والبحار ج ٢١ ص ٩٥ ومواقف الشيعة ج ٢ ص ٢٥٥ وكتاب المسند للشافعي ص ٣١٦ ومسند أحمد ج ١ ص ٨٠ وصحيح البخاري ج ٤ ص ١٩ وج ٥ ص ٨٩ وج ٦ ص ٦٠ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٦٨ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٧ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٦ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٤ وج ١٧ ص ٢٤٧ ومسند الحميدي ج ١ ص ٢٨ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٤٨٧ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٣١٦ و ٣٢١ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٤٢٥ ومعرفة السنن والآثار ج ٧ ص ١٠٢ والدرر لابن عبد البر ص ٢١٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٦ وتخريج الأحاديث ج ٣ ص ٤٤٨ وكنز العمال ج ١٠ =

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ
أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي
تُسْرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِن يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي
إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

= ص ٥٢٢ وج ١٤ ص ٦٩ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٤٦ وتفسير نور الثقلين
ج ٥ ص ٣٠١ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٣٦ وأحكام القرآن لمحمد بن إدريس
الشافعي ج ٢ ص ٤٨ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٧٥ و ٧٧ وتفسير الثعلبي ج ٩
ص ٢٩٢ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٣ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٨ و ٣٢٩
وتفسير النسفي ج ٤ ص ٢٣٦ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ٢٢٤ والمحرر
الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وزاد المسير ج ٨
ص ٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥٠ والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي
ج ٤ ص ١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ والدر المنثور ج ٦
ص ٢٠٣ وفتح القدير ج ٥ ص ٢١١ وتفسير الآلوسي ج ٢٨ ص ٦٦ والثقات لابن
حبان ج ٢ ص ٤٢ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٦١ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه
السلام» للأصفهاني ص ١٥٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والكامل في
التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٢٦ و ٥٢٧ والوافي
بالوفيات ج ١١ ص ٢١٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٩٨ وج ٤ ص ٣٢٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٨.

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ
إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^(١)»^(٢).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات:

لعلها عدة رسائل:

قد يقال: إن نصوص الرواية المختلفة تشير إلى أن حاطباً قد كتب
لقريش عدة رسائل، ولعل بعضها قد قصد به التعمية على الناس فيما لو
انكشف الأمر، حيث يمكن لحامل الرسالة أن يظهر إحدى تلك الرسائل،
فينصرف المفتشون عما سواها، وربما تكون رسالة واحدة، ذكر كل راوٍ
بعض فقراتها، واقتصر عليه.

ولعله كتب الرسالة على فترات، كما احتمله الحلبي^(٣).

وإن كنّا لم نستطع أن نفهم معنى معقولاً لهذا الاحتمال الأخير..

غير أننا رغم معقولية سائر الاحتمالات نقول:

سيأتي: أن الأقرب هو أنه لم يرسل سوى رسالة واحدة، وهي تلك

(١) الآيات ١ - ٤ من سورة الممتحنة.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ والبحار ج ٢١ ص ١١٢ عن تفسير القمي ص ٦٧٤ و

٦٧٥ و (ط مؤسسة دار الكتاب - قم) ج ١ ص ١١. والمغازي للواقدي ج ٢

ص ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وراجع: أغلب المصادر في الهامش السابق.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥.

.....
: ..
التي يعبر فيها حاطب عن عدم معرفته بمقصد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه يريد لهم أن يكونوا على حذر. وستأتي مبررات ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى.

مقدار الجعل على حمل الرسالة:

ونحن نشك في أن يكون الجعل الذي أعطاه حاطب لتلك المرأة لكي تحمل الرسالة إلى مكة هو دينار واحد، أو نحو ذلك، فإنها قيمة زهيدة لا يرغب بها راغب، ولا سيما مع هذه الأخطار التي قد تتعرض لها. إلا إذا فُرض: أن تلك المرأة هي سارة التي قدمت من مكة، وتريد أن ترجع إلى بلدها.. أو أنها امرأة أخرى مضطرة للسفر على كل حال، وقد أرادت أن تسدي هذه الخدمة للمشرّكين، وتستفيد بعض المال أيضاً عن هذا الطريق.

هل نافق حاطب؟!:

وذكر الحلبي: أن مراد عمر بقوله عن حاطب: قد نافق: أنه خالف الأمر، لا أنه أخفى الكفر، لقوله «صلى الله عليه وآله»: قد صدقكم، ولا تقولوا له إلا خيراً. وعليه يشكل قول عمر المذكور، ودعاؤه عليه بقوله: قاتلك الله.

إلا أن يقال: يجوز أن يكون قول عمر له ذلك كان قبل قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما ذكر^(١).

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ و (ط دار المعرفة) ص ١٣.

غير أننا نقول:

إن ذلك لا يدفع الإشكال، فإن مخالفته الأمر لا توصف بأنها نفاق، فيبقى السؤال المذكور. إلا إن كان يريد أنه قد فَعَلَ فَعَلَ المنافق، من حيث إنه كان يظهر للمسلمين إخلاصه، ولكنه يفعل في الباطن خلاف ما يظهره..

ولكنه بعد انكشاف أمره قد صدق في كلامه حين أخبرهم بالأسباب التي حملته على هذا الفعل النفاقي..

المخبأ العتيد:

ويلاحظ هنا: أن تلك المرأة قد خبأت الكتاب في شعرها، وفتلت عليه قرونها. أو خبأته في حجزتها، وهو معقد السراويل كما في رواية أخرى.. لأنها كانت تدرك تحرج المسلمين من النظر إلى شعور النساء، أو من تجريدهن بحيث يظهر لهن المخبأ في معقد السراويل، لأن ذلك حرام شرعاً، ويفترض بهم أن يلتزموا بأحكام الشرع، وحتى لو كشفوا رأسها، أو انكشف قهراً بسبب حركة عنيفة، أو بريح شديدة، فإن ذلك لا يضر، لأن الكتاب كان في داخل الشعر المفتول.

الفضل لعلي ×:

وقد كان الفضل لعلي «عليه السلام» في كشف أمر تلك المرأة. أما الذين كانوا معه فقد أقنعهم قولها، وأرادوا تخلية سبيلها. بل إن الزبير حكم ببراءتها من هذا الأمر الذي انتدبهم إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولم يطالبوها بكشف رأسها، ولا بنقض شعرها المفتول..

وقد اخطأوا في ذلك من جهتين:

أولاهما: أنهم لم يراعوا أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسدد بالوحي الذي يريه الواقع كما هو.

الثانية: أن ظاهر حالها لا بد من أن يشي بلزوم الريبة بها لأن نفس المسالك التي سلكتها لا بد من أن تثير شكوكهم في أمرها.. حتى لو لم يخبرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بشيء.

وذلك لأنها تركت الطرقات السهلة، والتي اعتاد الناس سلوكها، واختارت السير في القفار والشعاب فترة طويلة، ثم عادت إلى الطريق في «العقيق»..

فأخذوها هناك، وكشف أمرها علي «عليه السلام»، ولا يسلك هذه المسالك إلا هارب أو خائف، أو من يخفي شيئاً خطيراً يريد أن ينفذه إلى بلاد أخرى.

الحرس على الطريق وشى بالخائن:

إن حاطب بن أبي بلتعة يوصي حاملة رسالته بأن لا تمر على الطريق، فإن عليه حرساً، فتركت الطريق وسارت في القفار والفجاج مقداراً طويلاً، ثم عادت لتسلك الطريق في منطقة «العقيق».

ومن البديهي: أنه لا يمكنها الوصول إلى مكة بسلوك متاهات الصحاري والقفار، وترك الجادة، لأن ذلك يعرضها لكثير من المفاجآت والأخطار، بل هو يؤدي بها إلى الهلاك والبوار.

ولأجل ذلك أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسالك على كل

سالك ووضع الحرس عليها، لأنه «صلى الله عليه وآله» يعلم: كل من تنكّب الطريق لا بد من أن يعود إليها ولو بعد حين.

رسالة تهديد أم تحذير؟!

وقد ذكروا بعض النصوص لرسالة حاطب التي قد يقال: إنها أشبه بالتهديد منها بالإخبار لهم مما يراد بهم. ففيها: «أقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده الله فيكم، فإن الله ناصره ووليه».

ثم يقال: لو صح أن هذا هو النص الذي كتبه إليهم حاطب لاستحق عليه المدح والثناء، والتقدير، لا الملامة والتوبيخ.. ولكان ينبغي إنفاذ الرسالة إليهم، وعدم مصادرتها.

غير أننا نقول:

إن هذه الكلمات لا تكفي لإعطاء هذا الانطباع، لأنها قد تكون لأجل التغطية على الخبر الأهم الذي أتحفهم به، أو يكون قد ساق هذه العبارات ليتذرع بها - لو انكشف الأمر - ويدّعي: أنه لا يقصد إلا بث الرعب واليأس في قلوب الأعداء، علماً بأن ذلك لن يجديه نفعاً بعدما صرح لهم في رسالته بما كان الرسول «صلى الله عليه وآله» قد حذّر الناس من إخبارهم به، وجعل الأرصاد على الطرقات، من أجل تلافي حصوله.. وبذلك يكون حاطب قد عرّض نفسه للإدانة على كل حال.. وجعلها في موضع الخذلان والخسران، ولا ينفعه المراء والجدل.

دقة معلومات حاطب:

ونحن لا نستطيع أن نتقبل ما ورد في بعض المصادر من أن حاطباً قد كتب لقريش: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خارج إليكم يوم كذا وكذا..^(١).

ولا أن نقبل الرواية التي تقول: إنه كتب إليهم: إن رسول الله يريدكم فخذوا حذرکم..^(٢).

وذلك لسببين:

أحدهما: أن أحداً لم يستطع أن يعرف وجهة سير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى سار بجيشه مسافات طويلة كما ظهر في جزء سابق حين الكلام حول سرية أبي قتادة إلى بطن إضم.

الثاني: أنه حتى لو علم حاطب بأن المقصود هو غزو مكة، ولكن من أين يستطيع تحديد يوم خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك الجيش، وأنه يوم كذا؟ فإن ذلك لا يتلاءم مع هذه السرية الفائقة التي كان «صلى الله عليه وآله» يعتمد عليها.

وقد ظهرت الكثير من الدلائل والشواهد على دقته البالغة في مراعاتها والحفاظ عليها، بحيث لا يستطيع حاطب وسواه أن يعلم بهذا التاريخ الدقيق.

(١) إعلام الوری (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢١٦ والبحار ج ٢١ ص ١٢٥ عنه.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٩٤ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ ومصادر كثيرة تقدمت.

.....
والصحيح في الأمر هو أنه كتب إليهم يقول: إنه «صلى الله عليه وآله»
قد آذن بالغزو، إما إليكم أو إلى غيركم.
وقد أحب أن يخبرهم بذلك ليكونوا على حذر، لاحتمال أن يكون
قصده إليهم.

خبر السماء:

ويأتي التأييد بالوحي الإلهي في خصوص موضوع سرية التحرك
وهدفه الأقصى لبيعث اليأس في نفوس المنافقين، والمتزلفين، والخانعين،
والمتآمرين، وليقول لهم: إنكم غير قادرين على اختراق حاجز الرقابة هذا،
فإن المؤمنين حتى لو استنفدوا قدراتهم، فسيأتيهم المدد والتسديد والتأييد
الإلهي، ليسد مواضع الخلل، ويحفظ المسيرة من دون أن يباشر أي تصرف
قاهر لإرادات المعاندين والمتآمرين..

وهذا ما حصل فعلاً في قضية حاطب بن أبي بلتعة، حيث لم يتدخل الله
تعالى لمنع حاطب من التفكير في مراسلة قريش، ولا من التخطيط، ثم
التنفيذ، كما انه لم يتصرف في إرادة المرأة حاملة الرسالة، ولا أعجزها عن
التصرف، ولا قهرها على التزام طريق بعينها، بل هي اختارت طريقاً
وسلكته، وخطت لأمر، ونفذت خطتها..

ولكنه أخبر نبيه بما جرى.. فتصرف «صلى الله عليه وآله» بطريقة من
شأنها أن تؤدي إلى كشف المستور، وجنب بذلك أهل الإيمان من الوقوع في
المحذور.

كما أن شعور أهل الإيمان بالتسديد والتأييد الإلهي لا بد من أن يقوي

من عزيبتهم، ويشد من أزرهم، ويرسخ من يقينهم.

ألا يكفي علي × وحده؟!

وقد يدور بخلد أحدهم سؤال يقول: ألم يكن يكفي أن يرسل علياً وحده لأخذ الكتاب من تلك المرأة، فلماذا أرسل معه آخرين، مثل الزبير، وسواه حتى إن الأسماء قد تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة؟! مع أن حاملة الرسالة مجرد امرأة، لا حول لها ولا قوة ولا تحتاج إلى كل هذا العدد. ألا يدلنا ذلك: علي أن ثمة تصرفاً في الروايات بالتضخيم، والتهويل، لحاجة في نفس الرواة قضيت؟!

إلا أن يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسلهم فرقاً في مسالك مختلفة حتى لا تفوتهم تلك المرأة. ونجيب:

بأنه لا شك في أن ثمة أهدافاً أخرى تتجاوز موضع مصادرة الرسالة، ومنع وصولها إلى قريش، ونستطيع أن نذكر من هذه الأهداف ما يلي: أولاً: إن الأمر لا ينحصر بمنع وصول هذه الرسالة إلى قريش، بل هو يتجاوز ذلك إلى إثارة جو من الرهبة يمنع أياً كان من الناس بالتفكير في تسريب أية معلومة عن تحركات النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين إلى أي كان من الناس..

فكان أن اختار «صلى الله عليه وآله» عدة أشخاص لهم خصوصيات وتوجهات، وارتباطات، واهواء مختلفة، ومتشعبة، ليروا جميعاً بأم أعينهم صدق الوحي الإلهي، وليأخذوا العبرة، وينقلوها إلى القبائل والأفراد

الذين يعيشون في أجوائهم، ولهم صلة بهم بنحو أو بآخر..

ثانياً: إنه لو أرسل «صلى الله عليه وآله» أي واحد منهم سوى علي «عليه السلام»، فسيرجع بخفي حنين، كما اظهرته الوقائع، حيث صدقوا تلك المرأة وهموا بالرجوع، وستتمكن تلك المرأة من الإفلات، وربما لم يمكن اللحاق بها، أو ربما يصعب العثور عليها إذا سلكت مسالك معينة.. وفي ذلك تفريط ظاهر لا مجال للقبول به، ولا لتحمله..

ثالثاً: إنه لا بد من أن يعرف الناس جميعاً مدى التفاوت فيما بين تلك الجماعة التي خدعت ببكاء تلك المرأة، وصدقته في إنكارها، حتى هموا بالرجوع عنها وبين علي «عليه السلام»، وفي معرفته، ووعيه، وصحة تدبيره، وإيمانه و يقينه بما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكيفية نظرتة إلى الوحي الإلهي، وإلى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وطبيعة تعامله معه، ومع أوامره، وأقواله، وإخباراته..

وبذلك يظهر زيف ما يدّعيه الناس لغيره «عليه السلام» من مناوئيه، ومخالفه، وحاسديه، أو ما يدّعيه هؤلاء لأنفسهم من مقامات وبطولات، ومن خصائص وميزات، ومن جهاد وتضحيات، وذلك لأنهم خالفوا صريح أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال لهم: خذوه منها، وخلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها.

خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها:

وهذا الأمر الذي صدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم حول كيفية التعامل مع حاملة الرسالة لا يترك لهم أي مجال لتصديقها، أو توهم

براءتها مما نسب إليها، فضلاً عن أن يهموا بالرجوع، لأن ذلك يتضمن تكذيب الوحي الإلهي، والطعن بعصمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتخطفة له..

وإن الأمر بضرب عنقها لو أثبت أن تعطيتهم الكتاب يدل على أن حكم من يفشي سر المسلمين، ويصرّ على التآمر على رسول رب العالمين، هو القتل كائناً من كان، حتى لو كان امرأة..

كما أن الأمر بتخلية سبيلها بعد اخذ الكتاب منها يتضمن إرفاقاً بها، وعفواً عن جرمها، خصوصاً مع محاولتها إنكار الرسالة، حتى إنها لم تعطهم إياها إلا بعد تهديد علي «عليه السلام» لها..

والقول بأنها إذا كانت لا تعلم بمضمون الرسالة فإنها تكون غير مشاركة في الخيانة، غير مقبول، فإنها - على أقل تقدير - تحمل رسالة تتضمن أسراراً يراود إيصالها سراً للمشرّكين، وتعلم أن ظهور هذه الأسرار سيكون مضرّاً للمسلمين، حتى لو لم تعلم بتفاصيل مضمون الرسالة، وهذا يكفي لإدانتها.

الصلاة جامعة لماذا؟!:

وقد صرحت رواية المفيد: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر أن ينادى في الناس: «الصلاة جامعة»، (وهو تعبير عن دعوة عامة لأمر مهم طارئ) فلما اجتمعوا في المسجد حتى امتلأ بهم صعد النبي «صلى الله عليه وآله» المنبر، وأخذ الكتاب بيده، وطلب من صاحبه أن يعلن عن نفسه، وإلا فضحه الوحي..

والسؤال هو: لماذا هذا الإعلان بالأمر؟ وبهذه الطريقة القوية
والواسعة؟

ألم يكن الأجدر أن يعالج الأمر بهدوء يحافظ به على ماء وجهه
حاطب؟!

ونقول في الجواب:

إن الإعلان عن الموضوع بهذا النحو القوي كان ضرورياً، وله أسباب
وفوائد عديدة، نذكر منها ما يلي:

١ - إن هذه الطريقة من شأنها أن تعرّف الناس بهذا الأمر الخطير على
أوسع نطاق، وقد كان هذا هو المطلوب له «صلى الله عليه وآله» لأسباب،
ربما يتضح بعضها عن قريب..

٢ - إن ذلك يبقي هذا الخبر على درجة من السلامة والصحة،
والوضوح في أذهان الناس، ويمنع من تلاعب المتلاعبين فيه بالزيادة فيه
تارة، والنقيصة أخرى، حسب الأهواء، ورياح السياسة، والمصلحة، فإن
تناقل أمثال هذه الأخبار بصورة فردية أو جماعية بلا رقيب ولا عتيد سوف
يمكن أصحاب الأهواء من التحريف فيه، بما يخدم أهواءهم ومصالحهم
وخططهم!!

٣ - إن هذا الإعلان الواضح والصريح قد وضع حداً أمام التكهّنات
والتساؤلات عن طبيعة الموقف الذي سيتخذه النبي «صلى الله عليه وآله»
ممن أقدم على هذا العمل الخطير، كما أنه قد رسم للناس طريقة التعاطي
معه، ومنع من الإفراط والتفريط الذي قد تنشأ عنه إثارات غير مسؤولة،
قد تضر في مسار الأمور كما يرضاه الله ورسوله..

٤ - إن ذلك يبين لمن تسوّل له نفسه القيام بأمثال هذه التصرفات حجم الفضيحة التي ستواجهه، وسيكون ذلك مؤثراً في الردع عن أي تصرف من هذا القبيل..

٥ - إن هذا التهديد بفضيحة الوحي لمن فعل ذلك، ولا يرضى بالإقرار والاعتراف العلني لا بد من أن يزيد من شعور الناس بالرقابة، وعدم القدرة على إخفاء أمرهم لو سولت لهم أنفسهم الدخول في مغامرة كهذه..

٦ - إن الأمر لم يقتصر على مجرد توجيه اتهام قولي للفاعل، بل تعداه إلى تقديم الدليل الحسي على هذا الأمر، وهو الكتاب الذي أخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده وهو على المنبر، بحيث يراه كل أحد، فلا تكهنات ولا اجتهادات ولا ظنون، ولا حدسيات، ولا مجال للوسوسات الشيطانية في هذا الأمر..

٧ - إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بإظهار الكتاب ثم تحديد الفاعل، بل هو قد حمل الفاعل على أن يقر بنفسه بما فعل.. بصورة طوعية وهو يرتعد.. وذلك بعد أن ظهر تردده في البداية.

٨ - إن نفس دفاع حاطب بن أبي بلتعة عن نفسه، قد أثبت الجريمة عليه، ولم تعد هناك أي فرصة للتأويل والاحتمال والاجتهاد، واستغلال الحدث في اتجاه انحرافي يسيء إلى القضية بنحو أو بآخر..

٩ - إن اعتراف حاطب بما فعل، إنما جاء تحت وطأة الكشف الرباني لما حصل، حتى لقد حُددت المرأة، وحُدد موقعها، وأرسل الرجال في طلبها، ولم يعد يمكن إخفاء أي شيء.. وذلك لا يدل على عمق إيمان حاطب، بل هو يدل على هزيمته بعد أن أسقط في يده..

حاطب ينفي الشك والنفاق:

وقد رأينا: أن أول ما دفعه حاطب عن نفسه هو تهمة النفاق والشك في الدين، وتأكيد التزامه بإسلامه، وبقينه به.. ولم يناقشه النبي «صلى الله عليه وآله» فيما ادَّعاه من ذلك. بل هو قد سمع منه، ثم ساق الحديث معه في اتجاه آخر..

ومن الواضح: أن النفاق هو التهمة الأقسى، والأشَرُّ والأضَرُّ بالنسبة لحاطب، لأنه كفر قوي وفاعل، يريد أن يلحق الضرر بالإيمان وبأهله، إما بأن يسقط دعوتهم بأساليب من الختل والغدر والتخريب، أو يريد سلب المسلمين قدراتهم، والاستئثار بها لنفسه..

وهذا يمثل خطورة مباشرة وعملية ومؤثرة، لأنه كفر مهاجم يعمل بهدوء وأناة وطمأنينة بعد أن هيا لنفسه موجبات ذلك، حين أظهر الإسلام وأبطن الكفر..

وأما مجرد الشك في الدين، فهو وإن كان كفراً أيضاً، لكنه كفر مهزوم وراكد وضعيف، يصارع الحقيقة في داخل نفسه، ولا يقدر على تجاهلها والتخلص منها..

وقد نفى حاطب عن نفسه الشك، كما نفى عنها النفاق أيضاً.. ولم يرد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يقف معه عند هذه النقطة ولا أن يناقشه فيها.. لأنه يريد أن يبقيه في دائرة السيطرة، ويعطيه فرصة، ويفسح له المجال لإعادة ترتيب أوضاعه، فإن هذا المقدار من القبول مطلوب له «صلى الله عليه وآله» ولا يريد التفريط فيه.. ولذلك وجَّه «صلى الله عليه وآله» الأنظار إلى تلمس عذر حاطب فيما أقدم عليه. وسنرى أنه

عذره أيضاً..

تهديد المتهم:

وعن تهديد علي «عليه السلام» لتلك المرأة حاملة الرسالة، قد يقال: كيف جاز لعلّي «عليه السلام» أن يهدد إنساناً متهماً لم تثبت إدانته بعد؟! ويجاب: بأن إدانة تلك المرأة قد ثبتت بالوحي. ومن أصدق من الله قيلاً؟ وهو علام الغيوب؟! والعالم بما في القلوب؟ ونحن نشك في أنها لو استمرت على إنكارها فقد كان يجب على علي «عليه السلام» أن يقتلها لسببين:

أحدهما: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمره بقتلها إن أبت تسليم الكتاب، لأن القتل هو حكم الله في المحارب لله ورسوله، ومن يصر على إطفاء نور الله تبارك وتعالى..

الثاني: إن تركها سوف يؤدي إلى تمكينها من إيصال الرسالة للأعداء، ليتمكنوا من ثم من إفشال خطة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو من إيجاد متاعب ومصاعب كان المسلمون في غنى عنها. وقد تنشأ عن ذلك خسائر كبرى في أهل الإيمان، وربما يؤدي ذلك إلى إطالة أمد هيمنة حالة البغي والاستكبار، والظلم والتعدي على المستضعفين من النساء والرجال، والصبيان بصورة عامة.

وقد يعترض على ذلك: بأنه قد كان بإمكانهم أن يفتشوها تفتيشاً دقيقاً، ويأخذوا منها الكتاب، ولا تصل النوبة إلى القتل..

ولكننا قلنا: إن الإصرار على حرب الله ورسوله، وإطفاء نور الله هو

الذي جعلها تستحق القتل..

وأما الكتاب فإن التفتيش عنه لا يكفي لحسم مادة الخطر فيه، إلا إذا كان العثور عليه حتمياً، وليس الأمر كذلك إذ هي قد تتمكن من إخفائه تحت حجر، أو مدر، أو بين أغصان الشجر، أو نحو ذلك.. ثم إنها بعد إطلاق سراحها تعود إليه، أو تدل عليه من يأخذه ويوصله إلى من يتلطف عليه، ويتشوق إليه.

ولسنا بحاجة إلى التذكر: بأن هذه الإحتياطات من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا تعني أن جهة مسيره قد عرفت، بل هي تعني: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يرضى بتعريف قريش وغيرها من أعدائه بأصل خروجه من المدينة على هيئة الحرب، فإن ذلك يجعل الأعداء يحذرون لاحتمال أن يكونوا هم الذين يقصدهم.

كما أن نفس وجود أناس يوصلون للمشركين أخبار المسلمين مرفوض، حتى لو كانت تلك الأخبار غير دقيقة أو خاطئة من أساسها.

ردها إلى رسول الله :

ثم إن ما ورد في بعض النصوص: من أنه «عليه السلام» قد رد حاملة الكتاب إلى رسول الله، لا يتلاءم مع أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأخذ الكتاب منها، ثم إطلاق سراحها.

إلا أن يقال: إنه قد يكون هناك خطأ في الكتابة، فأراد الكاتب أن يكتب (ردّه) (أي الكتاب) إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكتب ردها.

غير أننا نقول:

إنه يحتمل أن يكون «عليه السلام» قد ردها، لكي يمنعها من الوصول إلى مكة قبل حركة الجيش إليها، لكي لا تخبر أهل مكة شفاهاً بما رأته من أعداد واستعداد، كانت تحتمل أو تظن أنه لغزوهم. فيكون المراد بإطلاق سراحها عدم المبادرة إلى قتلها، أو ضربها، أو سجنها، لأن المطلوب هو مجرد تعطيل حركتها إلى مكة برهة يسيرة، يزول فيها الداعي إلى هذا التعطيل.

حاطب يلتفت إلى النبي ' ليرق له:

وقد صرحت الرواية عن الشيخ المفيد، وغيره: بأن حاطباً صار يلتفت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليرق له.. وذلك حين كانوا يدفعون في ظهره حتى أخرجوه من المسجد..

فحاطب إذن لم يكن لديه أي أمل بغير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو حتى حين ظهرت خيانتة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، لم يكن يتوقع النصر من قريب رحيم، ولا من صديق حميم، ولا من حليف جديد ولا قديم.

وهذا يؤكد على: أن ثمة صورة جليلة وجميلة قد انطبعت للنبي «صلى الله عليه وآله» في نفسه وفي نفس كل من عرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن قرب، واستقرت في عمق وجدانه، وهي صورة قد ظهرت معالمها في آيات قرآنية كريمة، في أكثر من مناسبة، ومن ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ^(١).

وهذا من أروع الأمثلة على طبيعة العلاقة بين القائد ورعيته، حيث يبلغ الأمر في صفائها ونقاها، وسلامتها وصدقها حداً تكون وسيلة المجرم والمسيء، وشافعه إليه، هو نفس ذلك الذي كانت الإساءة إليه، ووقعت الجريمة عليه..

قيمة العفو.. والاستغفار:

وتتجلى له قيمة الاستغفار، وينعم بالعفو الرحيم من النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»، ويأتيه ما أمّل، ويهب النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لحاطب بن أبي بلتعة جرمه، رغم خطورته، ويجعل قيمة هذا العفو: أن يستغفر حاطب ربه، وأن لا يعود لمثل ما فعل.

أي أنه «صلى الله عليه وآله» لم يفرض عليه غرامة، ولا مارس في حقه تعزيراً، ولا وجه إليه أية كلمة إهانة، ولا أمر بالتضييق عليه في سجن، ولا في غيره، كما أنه لم يفرض عليه الإقامة في بلد بعينه، ولا حد من حرية حركته، ولا منع الآخرين من التعاطي معه، ولا.. ولا..

بل أراد أن لا تزيد عقوبته على إخراجهِ من المسجد وهي عقوبة تكاد تكون رمزية، من حيث إنها تعبر عن إبعاد محدود عن ساحة الرضا، ما دام أن ما فعله حاطب كان سيؤدي إلى الإضرار بأهل الإيمان. وهو قد ميّز نفسه عنهم، وأراد أن يكون هو في معزل عن أجوائهم، ولا يريد أن يناله ما

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

ينالهم. لقد أرادها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عقوبة إصلاحية تربوية، مضمونها ترميم علاقته بالله، بالتوبة والاستغفار، باعتبار أن الجرأة إنما كانت عليه تبارك وتعالى..

فإذا استطاع أن يصلح سريره، وأن يرضي ربه، فإنه يكون قد بلغ الغاية التي يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبلغه إياها.

عذر حاطب:

وعن اعتذار حاطب عما صدر منه نقول: إنه أراد أن يتخذ بما صنعه يدًا لدى أهل مكة ليحفظ بذلك أهله، إذ ليس له عشيرة تمنعه..

ولم يناقشه النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا اعترض عليه أحد من المسلمين في ذلك.. لكن هذا الانصراف عن المناقشة لا يعني أنه منطق سليم ومقبول.. بل هو انصراف إرفاعي بالدرجة الأولى، فلاحظ ما يلي:

١ - إن وجود أهله في مكة لا يحتم عليه القيام بعمل خياني، يلحق الضرر بالكيان الإسلامي كله، ويوجب إفساد التدبير النبوي، وإضعاف هيئته «صلى الله عليه وآله» لدى الأعداء، وفتح أبواب التجريح والتشكيك لأهل النفاق، ولا يجوز لأحد في أي ظرف كان أن يمكنهم من إثارة الشكوك بسلامة المسيرة، وفي حسن السياسة، وصواب الرأي النبوي الشريف.

٢ - إن الضرر إذا توجه لإنسان ما، فإن بإمكانه أن يدفعه عن نفسه، ولكن ليس له أن يقذف به على غيره، فلو أراد أسد أن يدخل بيتاً ويفترس شخصاً، فإن بإمكانه أن يتحرز منه بالطريقة التي تدفعه عنه. وليس له أن يدخله بيت جاره، ليكون جاره هو الضحية..

٣ - لقد كان هناك الكثيرون من الضعفاء الذين لم يكن لهم عشائر تمنعهم، وقد تعرضوا للعذاب على يد فراعنة قريش حتى قتل بعضهم، ومنهم آل ياسر، ولم يجوّز لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا خطر في بالهم أن يحملوا جلادهم على التوجه بالعذاب إلى غيرهم من المؤمنين..

٤ - من الذي قال: إن قريشاً كانت تنوي إلحاق الأذى بأهل حاطب فإن ذلك مجرد وهم وقع فيه حاطب، رغم أنه وهم علّق حصوله على أمر تقديري افتراضي، وهو أن تكون لقريش الدائرة على المسلمين، وليس ثمة ما يشير إلى حصول أمر من هذا القبيل، بل الدلائل تشير إلى عكس ذلك تماماً.

وحتى لو حصل ذلك، فإن حاطباً لا يستطيع أن يجزم بتعرض أحد من أهله لأي سوء.

٥ - ألم يفكر حاطب في أن ما فعله سوف يؤدي إلى زيادة القتل في صفوف أهل الإيمان؟ فكيف فرط بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وبكل أهل الإيمان من أجل حفظ بعض أهله ممن هم على الشرك بحسب الظاهر؟! وحتى لو كانوا مسلمين، فإن إلحاق الأذى بهم يبقى في دائرة الاحتمال، بينما هو يقدم لقريش معلومات من شأنها أن تمكنها من أن تلحق الخسائر بالمسلمين بصورة قطعية ويقينية.

للنبي ' أن يعفو عن حاطب:

إننا لسنا بحاجة إلى الاستدلال على مشروعية العفو عن حاطب بأي دليل، بل نحن نستدل على ذلك بنفس العفو الذي صدر عن النبي «صلى

الله عليه وآله» في حق هذا الرجل.. فمنه «صلى الله عليه وآله» التشريع، وإليه يرجع في معرفة الأحكام، وقوله وفعله وتقريره «صلى الله عليه وآله» حجة ودليل ما بعده دليل..

غير أن البعض قد يتساءل عن إمكان العفو عن حاطب في حين أن جرمه يرتبط بأشخاص آخرين وهم المسلمون، وأهل الإيمان..

والجواب:

أولاً: إن جرم حاطب يرتبط أولاً وبالذات بالسياسة النبوية العامة، وبقرار الحرب والسلم، ولا يرتبط بحق شخصي لأحد من الناس..
ثانياً: لو فرضنا: أن جرمه يرتبط بحق شخصي لبعض الأفراد، فإن الله تعالى قد جعل الولاية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» على الناس كلهم، فقال: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}..^(١)

عمر: مرني بقتله:

قد ذكرت في العديد من الموارد في تاريخ الإسلام، وفيها هذا المورد بالذات: أنه قد كان من عادة عمر بن الخطاب أن يصدر حكمه على الأشخاص، ثم يطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأمره بتنفيذه..
فكم من مرة ينبري فيها ليقول لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: دعني أقتله يا رسول الله..

واللافت هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستجب له ولو لمرة واحدة في كل تلك المناسبات الكثيرة.. الأمر الذي يعني كثرة خطأ هذا

(١) الآية ٦ من سورة الأحزاب.

الرجل في معرفة الحكم الشرعي، أو في معرفة المصلحة في الشأن العام، في حين أن هذه الأمور تمس حياة الناس ومصيرهم.

وهذا يجعلنا نتساءل عن حاله بعد توليه الخلافة لأكثر من عقد من الزمن: كم أخطأ في أحكامه التي كان يصدرها، ولم يصب الحكم الشرعي فيها، أو أنه لم يصب وجه المصلحة في الشأن العام؟! لا ندري!!

ولعل الفطن الذكي يدري!!

منقبة عظيمة لحاطب:

قال الحلبي: «.. وفي قوله: عدوي وعدوكم منقبة عظيمة لحاطب.. بأن في ذلك الشهادة له بالإيمان»^(١).

غير أننا نقول:

أولاً: إن الله سبحانه قد خاطب من أظهر الإسلام في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله» بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..}^(٢).

ثانياً: إنه لا مانع من أن يعود الذي آمن إلى الكفر، كما هو الحال في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطليحة بن خويلد، وغيرهما..

وقد صرح القرآن الكريم بذلك أيضاً، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ}^(٣).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ و (ط دار المعرفة) ص ١٣.

(٢) الآية ١٣٦ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٣٧ من سورة النساء.

وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ^(١).

ثالثاً: قد صرح القرآن الكريم بأن من يتولى اليهود والنصارى فهو منهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} ^(٢).

وهذا تقريباً هو نفس حال حاطب، وهو نفس ما اعتذر به، فراجع الكلمات المنقولة عنه فيما تقدم..

رابعاً: إن نفس الآية أو الآيات في سورة الممتحنة، والتي ذكروا أنها نزلت في حاطب، قد صرحت: بأن من يفعل فعل حاطب فقد ضل سواء السبيل.. ثم تواصل الآيات الشريفة بياناتها، وتضرب الأمثال المبينة لكيفيات التعامل مع الكفار، لتختم بالقول: {..وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} ^(٣).

خامساً: إن مما يدل على أن حاطباً قد ارتكب جرماً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر بإخراجه، ولم يمنع الناس من التعامل معه بخشونة، حيث صاروا يدفعونه في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت إلى النبي «صلى

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٢) الآيتان ٥١ و ٥٢ من سورة المائدة.

(٣) الآية ٩ من سورة الممتحنة.

الله عليه وآله» ليرق له..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد صرح بسوء فعل حاطب، وبجرمه، حين قال له: «قد عفوت عنك، وعن جرمك، فاستغفر ربك، ولا تعد لمثل ما جنيت...».

فلماذا يحرص الحلبي على اعتبار هذا الجرم فضيلة لحاطب لمجرد كون الخطاب في الآية الكريمة قد وجه إلى المؤمنين؟!

سادساً: إن الآية إنما جاءت على سبيل الإرشاد للمسلمين إلى سوء هذا الفعل، وتحذيرهم من الوقوع فيه.. مع غض النظر عن الأحكام التي تنشأ عنه، فلو أن أحداً تعمد الوقوع فيه، فالآيات لم تبين حال هذا الشخص، وأنه هل يبقى على حال الإيثار، أو أنه يكفر بذلك.

لعل الله اطلع على أهل بدر!!:

وأما قول النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: لعل الله اطلع على أهل بدر، فقد جاء رداً على عمر بن الخطاب، وردعاً له عن أن يقول شيئاً بغير علم. أي أن مضمون هذه الكلمة صحيح في نفسه، إذ لم يكن يحق لعمر أن يخبر عما في الضمائر، وما تكنه السرائر.

ولكن ذلك لا يعني أن ذلك قد حصل فعلاً، فإن صدق الشرطية لا يلزم منه صدق وقوع طرفيها..

ولكن أهل الحقد والشنآن قد حاولوا أن يستفيدوا من هذه الكلمة في اتجاهاين:

أحدهما: ادّعاء تحقق المغفرة لأهل بدر فعلاً، وأن كل ما صدر ويصدر

منهم مغفور لهم، مع أن هذه الكلمة لا تفيد ذلك.. وذلك للأميرين
التاليين:

أولاً: لما ذكرناه آنفاً من أن المقصود: هو نفي أن يكون عمر قد اطلع
على الغيب، وعلم بما أجراه الله لأهل بدر، ومارسه في حقهم. ففعله قد
غفر لهم صغائر ذنوبهم، مكافأة لهم على جهادهم وتضحياتهم..
ولعل هذا الذنب من حاطب لم يكن من الكبائر، بسبب قصوره عن
فهم حقيقة الأمور، وتوهمه أن ذلك لا يخل بإيمانه، ولا يضر بالمسلمين.
ولذلك صدقه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: «صدق لا تقولوا له
إلا خيراً».

ولكن صدقه هذا لا يعني أنه لم يكن مستحقاً للعقوبة بسبب إقدامه
على أمر معلوم السوء لدى كل أحد.
ثانياً: إن المراد بهذه الكلمة: هو أن يستأنفوا عمل الخير، وأن يزدادوا
منه، فإن سيئاتهم السابقة قد محيت.. وأصبح مصيرهم مرهوناً بما يكون
منهم في المستقبل..

ثانيهما: إن أولئك الحاقدين قد اتخذوا ذلك ذريعة للطعن في أمير
المؤمنين «عليه السلام»، فقد روى البخاري في صحيحه، قال: حدثنا
موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين، عن فلان، قال: تنازع
أبو عبد الرحمن وحبان بن عطية، فقال أبو عبد الرحمن لحبان: لقد علمت
الذي جرأ صاحبك على الدماء، يعني علياً.

قال: ما هو؟ لا أبا لك.

قال: شيء سمعته يقوله.

قال: ما هو؟

قال: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» والزبير، وأبا مرثد، وكلنا فارس.

قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج. قال أبو سلمة: هكذا قال أبو عوانة: حاج. فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها.

فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسير على بعير لها، وكان كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم. فقلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب.

فأخذنا بها بعيرها، فابتغينا في رحلها، فما وجدنا شيئاً، فقال صاحبي: ما نرى معها كتاباً.

فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم حلف علي: والذي يحلف به، لتخرجن الكتاب أو لأجردنك.

فأهوت إلى حيزتها وهي محتجزة بكساء، فأخرجت الصحيفة، فأتوا بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله، ورسوله، والمؤمنين، دعني فأضرب عنقه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟

قال: يا رسول الله، ما لي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، ولكنني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي. وليس من أصحابك

أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله.

قال: صدق. لا تقولوا إلا خيراً.

قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فلاضرب عنقه.

قال: أوليس من أهل بدر؟ وما يدريك لعل الله اطلع عليهم، فقال: اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة.

فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم

قال أبو عبد الله: «خاخ» أصح، ولكن كذلك قال أبو عوانة: حاج. وحاج تصحيف. وهو موضع. وهشيم يقول: خاخ. ونقول:

إن لنا هنا وقفات هي التالية:

إصرار عمر لماذا؟!

إن أول ما يستأثر بنظر القارئ الكريم في رواية البخاري المتقدمة، مبادرة عمر بن الخطاب إلى الحكم على حاطب باستحقاق القتل، والطلب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن يدعه يضرب عنقه، على اعتبار أنه قد خان الله ورسوله.

ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يبال بكلام عمر، ووجه كلامه إلى حاطب، يسأله عن سبب إقدامه على ما أقدم عليه، فأجابه حاطب بما تقدم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: صدق، لا تقولوا إلا خيراً..

ولكن عمر بن الخطاب رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يجبه في المرة الأولى. ورغم أنه «صلى الله عليه وآله» قد حكم بصدق حاطب. ورغم أنه «صلى الله عليه وآله» أمرهم أن لا يقولوا إلا خيراً.

نعم، رغم ذلك كله يعود عمر فيقول: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله، والمؤمنين، دعني فلا أضرب عنقه..

فجاءه الجواب الصريح والواضح من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليخطئه في تصرفه هذا، وقد شرحنا هذا الجواب فيما سبق.

الجرأة على الدماء:

وأما بالنسبة لما زعموه: من أن ما جرى في قصة حاطب هو الذي جرأ علياً «عليه السلام» على الدماء، فهو كلام باطل، من غير حاقِد جاهل، إذ قد تناسى هؤلاء الحقائق التالية:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن هو المبادر إلى الحرب، لا في حرب الجمل، ولا في صفين، ولا في النهروان، بل الناكثون هم المبادرون لشن حرب الجمل، بقيادة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، ومعها طلحة والزبير.

ثم شنّها القاسطون بقيادة معاوية في حرب صفين..

ثم كان خروج المارقين عليه في النهروان.

فهي حروب مفروضة وباغية على الخليفة الشرعي. وقد حاول «عليه السلام» إقناعهم بالعودة إلى الشرعية، ولزوم الطاعة، ولكن لا حياة لمن تنادي، {فَقَدْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا

يَهْتَدُونَ^(١).

وصدق الله ورسوله حين أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بأنه يقاتل بعده الناكثين، والقاسطين، والمارقين^(٢).

(١) الآية ٢٤ من سورة النمل.

(٢) راجع على سبيل المثال المصادر التالية: مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣٥ وج ٧ ص ٢٣٨ وج ٥ ص ١٨٦ وج ٩ ص ١١١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٩، وتلخيص الذهبى بهامشه، وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٩٧ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ١٧٢ و ١٧٠ و ١٦٩ و ١٦٥ و ١٦٣ و ١٦٢ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٥٨ و ١٥٩ واللاكي المصنوعة ج ١ ص ٢١٣ و ٢١٤ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٨٦ وج ٨ ص ٣٤٠ و ٣٤١ و كنز العمال ج ١١ ص ٢٧٨ و راجع ص ٢٨٧ و ٣١٨ و ٣٤٣ و ٣٤٤ وج ١٥ ص ٩٦ و شرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٢٠٧ و ٣٤٥ وج ٤ ص ٢٢١ و ٤٦٢ وج ١٨ ص ٢٧ وج ٦ ص ١٣٠ وج ١٣ ص ١٨٣ و ١٨٥ وج ١ ص ٢٠١ و المناقب للخوارزمي ص ١٢٥ و ١٠٦ و ٢٨٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٣٠٥ و ٣٠٤ وج ٦ ص ٢١٧ و فرائد السمطين ج ١ ص ٣٣٢ و ٢٨٥ و ٢٨٣ و ٢٨٢ و ٢٨١ و ٢٨٠ و ٢٧٩ و ١٥٠ و مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٤ والمحاسن والمساوي ج ١ ص ٦٨ والغدير ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٤ وج ١ ص ٣٣٧ وذخائر العقبى ص ١١٠ عن الحاكمي والرياض النضرة ج ٣ ص ٢٢٦ وكفاية الطالب ص ١٦٨ و ١٦٩ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٤٥١ و ٤٣٥ و ٤٣٧ وج ٤ ص ٢٤٤ و لسان الميزان ج ٢ ص ٤٤٦ وج ٦ ص ٢٠٦ و ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٢٦ و ١٧٤ و ينابيع المودة ص ١٠٤ و ١٢٨ و ٨١ والنهاية في اللغة ج ٤ ص ١٨٥ و لسان العرب ج ٢ ص ١٩٦ وج ٧ ص ٣٧٨ وتاج العروس ج ١ ص ٦٥١ وج ٥ ص ٢٠٦ ونظم درر السمطين ص ١٣٠ =

ثانياً: إن أبا بكر قد قاتل الذين لم يعترفوا بخلافته، ولم يعطوه زكاة أموالهم، وقالوا: إنهم سوف يعطونها لفقرائهم^(١).

وقد قتلهم رغم معارضة الصحابة له، بما فيهم عمر بن الخطاب^(٢).
وهو القائل: لو منعوني عقال بغير لقاتلتهم أو لجاهدتهم على منعه^(٣).

= وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٣ والجمل ص ٣٥ والإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ص ٨٢ وإحقاق الحق ج ٦ ص ٣٧ و ٥٩ و ٧٩ وج ٥ ص ٧١ عن مصادر كثيرة تقدمت، وعن: تنزيه الشريعة المرفوعة ج ١ ص ٣٨٧ ومفتاح النجا ص ٦٨ مخطوط وأرجح المطالب ص ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٢٤ وموضح أوهام الجمع والتفريق ج ١ ص ٣٨٦ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٢ ص ٢١٧ ومجمع بحار الأنوار ج ٣ ص ١٤٣ و ١٩٥ وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي ص ٢٠٩ مخطوط والروض الأزهر ص ٣٨٩.

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٣ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٣٨.

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٣٥ والمصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٣ وج ٦ ص ٦٧ وج ١٠ ص ١٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٨٦ وأعيان الشيعة ج ٦ ص ٢٩٢ والأحكام لابن العربي ج ١ ص ٥٧٥ وج ٢ ص ٤١٦.

(٣) بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ٢ ص ٣٥ وصحيح مسلم باب ٨ ج ١ ص ٥١ و(ط دار الفكر) ج ١ ص ٣٨ والنص والإجتهد ص ١٠٩ عنه وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ١٥٣ و ٢٠٩ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٢ وج ٣ ص ٢٤١ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٦٤ ورياض الصالحين للنووي ص ٥٠٢ والمواقف للإيجي ج ٣ ص ٦٥١ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٢٥ وكنز العمال ج ٥ ص ٦٦٠ و ٦٦٢ و ٧١٩ وج ٦ ص ٥٢٧ و ٥٣١ وج ١٢ ص ٤٩٤ وفيض القدير ج ٢ ص ٢٣٩ وجامع البيان للطبري ج ٢٤ ص ١١٧ =

وقد جرى على مالك بن نويرة وقومه ما هو معروف، فقد قتلهم خالد
بعد الأمان، وزنى بامرأة مالك في نفس ليلة قتله^(١).

= وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٣١ و ١٠٧ وتفسير الثعلبي ج ٨ ص ٢٨٦
وأحكام القرآن لابن عربي ج ٢ ص ٤١٦ و ٥٧٥ ومواقف الشيعة ج ١ ص ٢٤ وكتاب
المسند للشافعي ص ٢٠٨ وصحيح البخاري ج ٨ ص ١٤١ وسنن أبي داود ج ١
ص ٣٤٧ وسنن الترمذي ج ٤ ص ١١٧ وسنن النسائي ج ٥ ص ١٥ وج ٧ ص ٧٧
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٦ وج ٩ ص ١٨٢ وعمدة القاري ج ٢٥ ص ٣٠
والمصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٨ و ٢٨٠ ومسند أبي
يعلى ج ١ ص ٦٩ وصحيح ابن حبان ج ١ ص ٤٥١ ومعرفة السنن والآثار ج ٧
ص ١٠٩ والإستذكار لابن عبد البر ج ٣ ص ٢١٣ والفايق في غريب الحديث ج ٢
ص ٣٨٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ١١١ وج ٧ ص ٥٩٥ و ٥٩٦ وراجع:
مقارنة الأديان للدكتور أحمد الشلبي ص ٢٦٨ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٤٣٤ و
٤٣٧ والشرح الكبير ج ٢ ص ٤٣٤ و ٦٧١ ونيل الأوطار ج ١ ص ٣٦٦ وفقه السنة
للسيد سابق ج ١ ص ٣٣٤ والإيضاح لابن شاذان ص ١٣٢ وشرح الأخبار ج ١
ص ٣٦٤ والفصول المختارة للشراف المرتضى ص ١٢٠ والطرائف لابن طاووس
ص ٤٣٦ وذخائر العقبى ص ٩٧ والصوارم المهرقة للتستري ص ٨٦ و ١٢١ والبحار
ج ١٠ ص ٤٣٦ وج ٣٠ ص ٣٥١ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٩٩ والثقات
لابن حبان ج ٢ ص ١٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ١٣٤.

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٠ ووفيات الأعيان ج ٦ ص ١٥ وقاموس الرجال
ج ٤ ص ١٤٦ و ١٤٧ عن تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و (ط مؤسسة
الأعلمي) ج ٢ ص ٥٠٤ والغدير ج ٧ ص ١٥٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي
ج ١٧ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ والنص والإجتهد ص ١١٩ و ١٢٣ وعن أسد الغابة ج ٤
ص ٢٩٥ و ٢٩٦ ومعجم البلدان ج ١ ص ٤٥٥ وعن البداية والنهاية ج ٦ =

وقد أصر عمر على معاقبة خالد، وقال له: لأرجنك بأحجارك^(١).
ولكن أبا بكر رفض ذلك، وأطلق كلمته المعروفة: «تأول فأخطأ»^(٢).

-
- = ص ٣٥٤ و ٣٥٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٧٣ والبحار ج ٣٠ ص ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٩١ و ٤٩٣ والثقات ج ٢ ص ١٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٧٤ وعن الإصابة ج ٢ ص ٢١٨ وج ٥ ص ٥٦٠ و ٥٦١ والإستغاثة ج ٢ ص ٦ والكنى والألقاب ج ١ ص ٤٢ و ٤٣ وبيت الأحران ص ١٠٤.
- (١) النص والإجتهد ص ١٢٥ وفي هامشه عن: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٠ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٨ والإصابة ج ٣ ص ٣٣٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٨٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٠٤.
- وراجع: نسب قريش ص ٣٠١ والبحار ج ٣٠ ص ٤٧٧ و ٤٩٢ والغدير ج ٧ ص ١٥٩ عن الطبري، وشرح النهج ج ١٧ ص ٢٠٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٣٦ وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٥٥ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٢٤٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٣٢ والكنى والألقاب ج ١ ص ٤٣.
- (٢) وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٥ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٥٨ وروضة المناظر لابن الشحنة (مطبوع بهامش الكامل في التاريخ) ج ٧ ص ١٦٧ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٣ ص ٤٩ وج ٢ ص ٣٥٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٧٩ وتاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج ٤ ص ١٤١٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٠٣ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٣ والبحار ج ٣٠ ص ٤٩٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٩ وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٥٥ والغدير ج ٧ ص ١٦٠ عن تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٨ و ص ١٦١ عن تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٣٧ وفيات الوفيات ج ٢ ص ٢٤٣ =

لقد حصل كل هذا، رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم ينص على خلافة أبي بكر، ولكنه نص على إمامة وخلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» من بعده، وبايعه الناس بأمره «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير.. كما أن البيعة لأبي بكر قد اكتنفتها عقبات كبيرة، لم يستطع أبو بكر أن يتغلب عليها إلا بالهجوم على بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وضربها، وإسقاط جنينها و.. و.. الخ.. ثم استشهدت متأثرة بما جرى عليها «صلوات الله وسلامه عليها»^(١). وذلك بعد استقدام عدة ألوف من حملة السلاح إلى المدينة، ليقاتلوا من يرفض البيعة لأبي بكر، وليستخرجوا الناس من بيوتهم لحملهم على هذه البيعة جبراً وقهراً^(٢). فما الذي جرأ أبا بكر على الدماء يا ترى؟! ولماذا لا يسجلون هذه الملاحظة عليه، فإنه أولى بها من علي «عليه السلام»؟! ثالثاً: إن كان تهديد علي «عليه السلام» لحاملة الرسالة بالقتل إن لم تظهر الرسالة جرأة على الدماء، كما يدَّعيه هؤلاء السحرة، فإن المتجري على الدماء في الحقيقة - حسب منطقهم - هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، لأنه هو الذي أمرهم بقتلها إن لم تعطيهم الرسالة..

= وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٢٣٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٦٥ وكنز العمال ج ٥ ص ٦١٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٥٦ والإصابة ج ٥ ص ٥٦١.

- (١) راجع كتابنا: مأساة الزهراء «عليها السلام» بمجلديه الأول والثاني.
(٢) راجع كتابنا: مختصر مفيد ج ٥ ص ٦٢ - ٦٧ تحت عنوان: «السقيفة إنقلاب مسلح».

رابعاً: لماذا لا يكون المتجرئ على الدماء هو عمر بن الخطاب نفسه، فإنه هو الذي قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: مرني بقتله، فإنه قد نافق. وقد طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» مثل هذا الطلب في العديد من المناسبات، وبالنسبة للعديد من الناس، كما أشرنا إليه فيما سبق.

.....

..

:

الفصل السادس:

على طريق مكة

استخلف على المدينة وخرج!!:

قيل: إنه «صلى الله عليه وآله» استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر^(١).

وقيل: استخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري^(٢).

-
- (١) البحار ج ٢١ ص ١٢٧ عن إعلام الوری (ط مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٢١٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٨.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ عن أحمد والطبراني، عن ابن عباس. والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٤ وصححه، والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ والمعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ٩ وج ١٩ ص ١٨٢ والدرر لابن عبد البر ص ٢١٤ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٨ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٣١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٩ و ٥٤٠ و عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٢٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٩.

ويقال: ابن أم مكتوم. وبه جزم الدمياطي^(١).

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الأربعاء بعد العصر، لعشر خلون من شهر رمضان، ونادى مناديه: «من أحب أن يصوم فليصم، ومن أحب أن يفطر فليفطر». وصام رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢). فما حل عقدة حتى انتهى إلى الصلصل.

وخرج في المهاجرين والأنصار، وطوائف من العرب، وقادوا الخيل، وامتطوا الإبل، وقدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمامه الزبير بن العوام في مائتين من المسلمين^(٣).

ولما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» البيداء قال، فيما رواه محمد بن عمر عن أبي سعيد الخدري: «إني لأرى السحاب يستهل بنصر بني

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ عن ابن سعد والبلاذري، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٥ والمسترشد للطبري ص ١٢٨ والطوائف لابن طاووس ص ٢٣٣ والبحار ج ٢٨ ص ١٦٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وإمتاع الأسع ج ١ ص ٣٥٥ وج ١٣ ص ٣٧٤ والمصنف للصنعاني ج ٢ ص ٥٦٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٧ وإمتاع الأسع ج ١ ص ٣٥٤.

كعب»^(١).

وقدم «صلى الله عليه وآله» بهائة جريدة من خيل، تكون أمام المسلمين. فلما كانوا بين العرج والطلوب أتوا بعين من هوازن، فاستخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره أن هوازن تجمع له (وقد أجابتهم ثقيف، وقد بعثوا إلى الجرش - وهو مكان في اليمن - فعملوا الدبابات والمنجنيق) فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد أن يحبس، لئلا يذهب فيحذر الناس، وقد أسلم حين فتح مكة، ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن، فقتل في أوطاس.

ولما بلغ «صلى الله عليه وآله» قديداً^(٢) لقيته سليم هناك، فعقد الألوية والرايات، ودفعها إلى القبائل^(٣).

ونقول:

إن لنا بعض الملاحظات حول ما تقدم، نجملها فيما يلي:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠١ وشرح النهج

للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٧ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٣٧٤.

(٢) قديد: موضع قرب مكة. مرصد الإطلاع ج ٣ ص ١٠٧٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٤ - ٨٠٦ و

٨٠١ الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٥ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٨٥

وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥.

عشرة آلاف مقاتل:

ثم إن هناك من يقول - كابن إسحاق -: إن من شهد الفتح من المسلمين عشرة آلاف^(١)، ونحو من أربع مائة فارس، ولم يتخلف من

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٥ و ٢١٤ و ٢٥٦ وقال: رواه البخاري في صحيحه عن عروة، وإسحاق بن راهويه، من طريق آخر بسند صحيح عن ابن عباس. والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ و ١١٨ و ١٢٧ و ١٢٨ عن الخرايج والجرايح، وإعلام الوري، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠١ و ٨١٥ و ٨٢٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ و ٨٩. وراجع: الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٩ والتنبيه والإشراف للمسعودي ص ٢٣١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٣٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٧ وج ٤ ص ٨٥٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥ والعبر وتاريخ المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ والكامل لابن عدي ج ١ ص ٢٧٢ ولسان الميزان ج ١ ص ١١٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٤ و ٥٣٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٢ والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ و ١١٨ والنص والإجتهد ص ١٨٣ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٢٦ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٤ و ١٦٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٤٠ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣٢٠ والمعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ١٠ والدرر لابن عبد البر ص ٢١٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٥٩ وفيض القدير ج ٣ ص ٦٣٢ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ٣٤ وج ١٠ ص ٤٧٠ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٣ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢٣١ وج ١٨ ص ٢٥٣ وج ٢٠ ص ٣٨٠ وتفسير البغوي ج ١ ص ٢٩٠ والمحزر =

المهاجرين والأنصار عنه أحد^(١).

وهناك من يقول: إنهم كانوا اثني عشر ألفاً^(٢).

وجمع: بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة، ثم تلاحق
الألفان^(٣).

ونقول:

قد يقال: إننا نشك في صحة كلا هذين الرقمين.. فإن المسلمين لم
يكونوا قد بلغوا إلى الحد الذي يستطيعون معه ان يجهزوا هذا المقدار من
الرجال للحرب، ثم يبقى في بلادهم من يحرسها، من غارة أهل الأطماع.

-
- = الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ١٩ وج ٥ ص ١٣٨ وتفسير القرطبي
ج ١٦ ص ٢٦١ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٢٥ وتفسير الثعالبي ج ٣ ص ١٧٢
وج ٥ ص ٢٦٠ وتفسير الألوسي ج ٢٦ ص ٨٤
- (١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٧٠ والبحار ج ٢١
ص ١٠٢ و ١٢٧ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٣ وتفسير الميزان ج ٢٠
ص ٣٨٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ وعن مناقب آل أبي طالب لابن
شهر آشوب، وعن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٩ ومستدرک سفینه البحار ج ٨
ص ١٠٧ وراجع: تفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٨.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ عن عروة، والزهری، وابن عقبة، والسيرة
الخلیة ج ٣ ص ٧٦ وتفسير البحر المحيط ج ٢ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لابن
هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٩١ وج ٥ ص ١٠٧ والسيرة النبوية
لابن كثير ج ٣ ص ٦١٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢١٥ والكامل في التاريخ ج ٢
ص ٢٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٧.
- (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٦ وتفسير الألوسي ج ٣٠ ص ٢٥٦.

ويشير إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يستطع أن يجهز لخبر أكثر من ألف وخمسمائة مقاتل، ثم جهز لمؤتة - كما يقولون - ثلاثة آلاف.. مع أن تجهيز العشرة آلاف كان في مؤتة أيسر منه في فتح مكة، إلا إن كان «صلى الله عليه وآله» قد استنفر العرب من البلاد، فنفروا معه مسلمهم وكافرهم، لأنهم أيقنوا: أنه يريد الخير لهم، وأن في الخروج معه منافع تهمهم، خصوصاً بعد أن ظهر ضعف قريش في تصدياتها له..

فإذا نفر الناس من سائر القبائل معه، فإن من بقي منهم في البلاد لا يخشى منه، وقد كان «صلى الله عليه وآله» عارفاً بالمنطقة وبمن يسكنها من القبائل..

ولم يكن ليجرؤ أحد من أي قبيلة على مهاجمة المدينة إذا كان لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» طائفة من تلك القبيلة تقاتل معه، إذ إن ذلك سوف يسهل على النبي «صلى الله عليه وآله» الظفر بمن يقوم بأي تحرك من هذا القبيل ومعاقبته، لأن نفس أهل تلك القبيلة سيكونون أعواناً وأنصاراً له على الخارجين عليه، حتى إذا كانوا من قبائلهم، فكيف إذا كانوا من غيرها.

يضاف إلى هذا كله: أنه لا بد أن يبقى في المدينة قوة قادرة على حمايتها من هجوم فئات صغيرة، لو فرض أن أحداً يجرؤ على القيام بشيء من ذلك.

تأويلات وتفاصيل:

وقد ذكروا هنا: بعض التفاصيل التي قد لا تملك من الدقة ما يكفي للاعتماد عليها، فقد قالوا:

.....
: أنه «صلى الله عليه وآله» كان في عشرة آلاف. أي باعتبار من لحقه في الطريق من القبائل، كبنى أسد، وسليم، ولم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والأنصار.

وكان المهاجرون سبع مائة، ومعهم ثلاث مائة فرس.
وكانت الأنصار أربعة آلاف، ومعهم خمس مائة فرس.
وكانت مزينة ألفاً، وفيها مائة فرس ومائة درع.
وكانت أسلم أربع مائة، ومعها ثلاثون فرساً.
وكانت جهينة ثمان مائة، ومعها خمسون فرساً^(١).

وعن ابن عباس: من بنى سليم سبع مائة، وقيل: ألف. ومن غفار أربع مائة، ومن أسلم أربع مائة ومن مزينة ألف وثلاث مائة، وسائرهم من قريش والأنصار، وحلفائهم، وطوائف من العرب، من بنى تميم، وقيس، وأسد^(٢).

ونقول:

إن هذا يثير لدى الباحث أكثر من سؤال. فمتى صار المهاجرون سبع مائة؟

-
- (١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦ و (ط دار المعرفة) ص ١٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٠ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥.
(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩ عن شفا الغرام، وراجع: تفسير الثعالبي ج ١٠ ص ٣١٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٨٧.

وكيف أصبح الأنصار أربعة آلاف؟ في حين أنه لم يستطع أن يجند منهم
ومن المهاجرين ومن حولهم من الأعراب أكثر من ألف وخمس مائة مقاتل
إلى ألف وثمان مائة، فراجع: حرب خيبر والحديبية وغيرهما..

إلا إن كان سكان المدينة يتكاثرون كما يتكاثر بعض فصائل الحيوان؟
ولماذا كان من المهاجرين ثلاث مائة فرس، وهم سبع مائة رجل فقط،
وكان من الأنصار خمس مائة فرس وهم أربعة آلاف؟
فهل كان المهاجرون أكثر مالاً من الأنصار؟

وكيف حصلوا على هذه الثروات، ولم يحصل الأنصار على مثلها؟!
وهم يعيشون في بلد واحد، ويجهدون عدوهم معهم. مع كون المهاجرين
قد قدموا إلى المدينة بدون أموال، حتى تكفل الأنصار بهم، وشاركوهم في
أموالهم وبيوتهم؟!

أم أن المهاجرين كانوا مهتمين بأمر الجهاد أكثر من الأنصار؟!
ويلاحظ: أن هذه النسبة من الأفراس مع المهاجرين قد بقيت متفوقة
فيهم على جميع الفئات والقبائل الأخرى.. إذ لا مجال للمقايضة بينهم وبين
جهينة، التي كانت ثمان مائة، ومعها خمسون فرساً فقط.. وكانت أسلم أربع
مائة، ومعها ثلاثون فرساً فقط.. وكانت مزينة ألفاً وفيها مائة فرس فقط..

فما هذا التفاوت بين المهاجرين وكل هذه الفئات؟!
ألا يشير ذلك إلى أن هذه كانت أرقاماً سياسية، وليست واقعية؟!

لا يزال المقصد مجهولاً:

وقالوا: لما نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» العرج، والناس لا

يدرون أين توجه «صلى الله عليه وآله»، إلى قريش، أو إلى هوازن، أو إلى ثقيف. فهم يحبون أن يعلموا.

فجلس في أصحابه بالعرج، وهو يتحدث، فقال: كعب بن مالك: أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأعلم لكم علم وجهه. فجاء كعب بن مالك فبرك بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ركبته، ثم قال:

قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أحمينا السيوف
نسائلها ولو نطقنا لقاتلنا قواضيهن دوسا أو ثقيفا
فلست بحاضر إن لم تروها بساحة داركم منها ألوف
فنتزع الخيام ببطن وج ونترك دوركم منها خلوف
فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم يزد على ذلك.

فجعل الناس يقولون: والله ما بين لك رسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئا، ما ندري بمن يبدأ بقريش، أو ثقيف، أو هوازن؟!^(١).

وكان عيينة بن حصن في أهله بنجد، فأتاه الخبر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد وجهاً، وقد تجمعت العرب إليه، فخرج في نفر من قومه حتى قدم المدينة، فوجد أنه «صلى الله عليه وآله» قد خرج قبله بيومين.. فسلك يسأل عن مسيره، فبلغ إلى العرج، ثم وصل النبي «صلى الله عليه وآله» بعده إلى هناك..

فقال عيينة: يا رسول الله، بلغني خروجك، ومن يجتمع إليك، فأقبلت

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٢ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٣٧٥.

سريعاً ولم أشعر، فأجمع قومي، فيكون لنا جلبة كثيرة. ولست أرى هيئة الحرب، ولا أرى ألوية ولا رايات! فالعمرة تريد؟ فلا أرى هيئة الإحرام! فأين وجهك يا رسول الله؟!

قال: حيث يشاء الله.

وذهب وسار معه. ووجد الأقرع بن حابس بالسقيا في عشرة من قومه. فساروا معه، فلما نزل قديداً عقد الألوية، وجعل الرايات. فلما رأى عيينة القبائل تأخذ الرايات والألوية عض على أنامله، فقال أبو بكر: علام تندم؟

قال: على قومي ألا يكونوا نفروا مع محمد. فأين يريد محمد يا أبا بكر؟ قال: حيث يشاء الله.

فدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة يومئذ بين الأقرع وعيينة^(١). وذكر الواقدي: أنه لما نزل «صلى الله عليه وآله» قديداً لقيته سليم، وهم تسعمائة على الخيول جميعاً، مع كل رجل منهم رمحه وسلاحه. ويقال: إنهم ألف^(٢).

فقلت سليم: يا رسول الله، إنك تقصينا، وتستغشنا، ونحن أخوالك - أم هاشم بن عبد مناف، عاتكة بنت مرة، بن هلال، بن فالح، بن ذكوان، من بني سليم - فقدمنا يا رسول الله حتى ننظر كيف بلاؤنا، فإننا صُبرُّ عند الحرب، صُدِّق عند اللقاء، فرسان على متون الخيل.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٣ و ٨٠٤.

(٢) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٨.

قال: ومعهم لواءان وخمس رايات، والرايات سود.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سيروا! فجعلهم في مقدمته.
وكان خالد بن الوليد مقدمة النبي «صلى الله عليه وآله» حين لقيته بنو
سليم بقديد، حتى نزلوا مر الظهران وبنو سليم معه.
ويقال: إنهم قد طووا ألويتهم وراياتهم، وليس معهم لواء ولا راية
معقودة.

فقالوا: يا رسول الله، اعقد لنا وضع رايتنا حيث رأيت.
فقال: يحمل رايتكم اليوم من كان يحملها في الجاهلية!
ونادى عيينة بن حصن، فقال: أنا عيينة، هذه بنو سليم قد حضرت بما
ترى من العدة والعدد والسلاح، وإنيهم لأحلاس الخيل، ورجال الحرب،
ورماة الحدق.

فقال العباس بن مرداس: أقصر أيها الرجل، فوالله إنك لتعلم أنا
أفرس على متون الخيل، وأطعن بالقنا، وأضرب بالمشرفية منك ومن
قومك، فقال عيينة: كذبت ولؤمت، نحن أولى بما ذكر منك، قد عرفته لنا
العرب قاطبة.

فأوما إليهما النبي «صلى الله عليه وآله» بيده حتى سكتا .
ونقول:

إن علينا أن نشير هنا إلى الأمور التالية:

توضيح عن المقدمة:

قد يُتَوَهَّم: أن النص المتقدم قد ذكر أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد

جعل بني سليم في مقدمته، مع أنهم يقولون: إن الذي كان على المقدمة إلى أن دخل النبي «صلى الله عليه وآله» مكة هو خالد بن الوليد، وهذا لا يتلاءم مع ذاك.

ويزول هذا التوهم بالكامل في النص المذكور آنفاً، حيث قال: إنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل بني سليم في مقدمته، أي أنه قد ضمهم إلى الرجال الذين كانوا بقيادة خالد، فصار خالد أميراً على المجموع، وبما أنه كان لكل قبيلة حامل لوائها، فقد حملة عيينة بن حصن.

إلى أين يا رسول الله؟!

إن الإنسان مهما كان دينه، وأياً كانت ميوله ليَقِفَ خاشعاً أمام عظمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومبهوراً وعاجزاً عن إدراك دقة تدبيره، مدعناً لصوابية كل حركة وكل سكون، وكل لفظة، وإشارة و.. و..

وبديهي: أن الناس إذا أدركوا أن ثمة حرصاً على إخفاء شيء، فإنهم يجهدون لاستكناه حقيقته، والوقوف على واقعه، واستشراف دقائقه وتفصيله. فإذا كانت ألوف من الناس تلاحق هذا الأمر، وتبحث عنه، وتريد كشفه، والوقوف على كنهه بكل حرص واندفاع.

وإذا كان هذا الأمر يعينهم كلهم أفراداً وجماعات.

وإذا كان يفترض فيهم هم أن يشاركوا في صنع نفس هذا الحدث..

وإذا كانت قد بدأت بعض التسريبات تظهر منذ اللحظة الأولى التي تفوّه الرسول «صلى الله عليه وآله» فيها بأنه يريد سفراً، حيث قال لعائشة: «جهزيني، وأخفي أمرك».

ثم جرى بين عائشة وأبيها، ثم بين أبي بكر ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ما قدمناه فيما سبق.

وإذا كانت هذه التسيريات قد دعت النبي بدءاً إلى التحفظ على مسالك المدينة في سهولها وجبالها، ووضع الحرس عليها، وضبطها.

وإذا كانت الاحتمالات والتكهنات بدأت تؤتي ثمارها على شكل رسائل تحذير لقريش، حيث تجلى ذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعة.

وإذا كانت قصة حاطب قد انتهت على ذلك النحو المثير لكل الناس الذين حضروا وشاهدوا أو سمعوا بما جرى، حيث نودي بالناس: «الصلاة جامعة»، فاجتمعوا في المسجد، ثم كان ما كان..

وإذا كان عشرة آلاف مقاتل قد بدأوا يتحركون باتجاه المقصد..

وإذا كانوا قد ساروا أياماً وليالي عديدة نحوه..

فإننا لا بد أن نتوقع: أن الأمور قد اتضحت لكل أحد، وأسفر الصبح لذي عينين..

ولكن المفاجأة الهائلة والعظيمة هي: أن تسير هذه الألوف المؤلفة على هيأتها ووفق ما هو مرسوم في تدبير الجيوش، وفي كيفية سيرها نحو العدو، حيث الطلائع تقدم، تبث الأرصاد.. وتتوخذ عيون العدو، ويستفاد من المعلومات التي لديها، ثم يحتفظ بهم للوقت المناسب..

إن المفاجأة هي: أن هذا الجيش يسير باتجاه مقصده، ويصل إلى قديد (وهي قرية جامعة قريب مكة)^(١)، ولا يزال يجهل الجهة التي يقصدها،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٨١ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣١٣ وراجع: عمدة =

والفئة التي سينجزها القتال.

رغم أن محاولات بذلت في السقيا لاستنطاق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكنها تبوء بالفشل..

فهل يمكن أن نضع هذا الإنجاز في مجال الاستطلاع والحفاظ على السرية إلا في عداد المعجزات، وخوارق العادات، التي لا يقدر عليها إلا نبي، أو وصي نبي؟!

لا بد من جواب:

ويبقى أن نشير إلى أن كل هذا الذي ذكرناه لا يعطينا من الإجابة على سؤال: كيف لنا أن نتصور جمعاً يزيد على عشرة آلاف مقاتل، يجتمعون من مختلف البلاد والقبائل، ويسيرون أياماً وليالي إلى أن يصلوا إلى قديد، ثم لا يعرفون مقصدهم، ويستمر جهلهم بوجهة سيرهم، وبحقيقة العدو الذي يقصدونه..

ويمكن أن نجيب على ذلك: بأن بعض النصوص المتقدمة قد صرحت: بأن الناس كانوا متحيرين بين ثلاثة احتمالات، هي: مكة، وثقيف، وهوازن.

وهذه الخيارات كلها تحتاج لمثل هذا الجمع العظيم من المقاتلين. كما أنها كلها تقع في منطقة واحدة، وفي أمكنة متقاربة، والطريق من المدينة إليها هي نفس هذه الطريق التي سلكها «صلى الله عليه وآله» إلى قديد. وإنما

= القاري ج ٩ ص ٢٨٧ ج ١٧ ص ٢٧٦ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٢٤٢ وعون المعبود ج ١٠ ص ١٤٤ وتنوير الحوالك ص ٣٤٢ وفتح الباري ج ٣ ص ٣٩٩.

تتميز الطرقات إلى تلك المناطق بدءاً من سرف، التي كانت تبعد عن مكة أميالاً يسيرة^(١).

وربما يكون من أسباب تعزيز احتمال أن يكون القصد إلى هوازن، وصرف نظر الناس عن مكة: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخذ عيناً لهوازن، فأقر له أنهم يجمعون الجموع لحربه؛ فيأمر خالداً بحبس ذلك العين، خوفاً من أن يذهب ويحذر الناس^(٢).

حيث يشاء الله:

وقد أظهرت قضية كعب بن مالك، وتوسله بالشعر في محاولة معرفة الوجه الذي يريده النبي «صلى الله عليه وآله» في سفره ذاك أظهرت مدى اهتمام الناس بمعرفة هذا الأمر.. رغم أن كعباً لم يفلح في استخراج السر من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله».

والذي زاد في حيرتهم: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخرج بهذه الألف على هيئة الحرب، فهو لم يعقد ألوية، ولا رفع رايات، ولا رتب هذا الجيش العرمرم ترتيباً قتالياً..

-
- (١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٥ ومجمع البحرين ج ٢ ص ٣٦٥ ومعجم ما استعجم ج ٣ ص ٩٥٧ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٩١ وشرح إحقاق الحق ج ٣٢ ص ٤٤١ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٥٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٩٢ والنهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٣٦٢ ولسان العرب ج ٩ ص ١٥٠.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٥ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٣٥٦ وج ٩ ص ٢٣٤.

ولكنه كان يرسل الطلائع.. ويأخذ رصد هوازن الذي وجدته في طريقه، ويستجوبه، ثم يأمر بحبسه، ولا يتركه يرجع إلى من وراءه لينذرهم به..

ومن جهة ثانية: فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يخرج على هيئة من يريد العمرة، فلم يحرم ولم يسق البدن كما فعل في الحديبية، وعمرة القضاء.. وهذا معناه: أنه لا يقصد مكة في مسيره ذاك.. ويسأله عيينة بن حصن عن مقصده في مسيره، ويصرح له بحيرته في الأمر، فيجيبه «صلى الله عليه وآله» بقوله: حيث يشاء الله. بل إنه «صلى الله عليه وآله» حتى حين بلغ قديداً، وعقد الرايات والألوية، وعرف عيينة وغيره أن المهمة قتالية، وليست شيئاً آخر.. قد أبقاها في حيرة من أمره، فسأل أبا بكر: فأين يريد محمد يا أبا بكر؟! قال: حيث يشاء الله^(١).

وهي إجابة واقعية، إذ لم يكن المسؤول بأعلم من السائل، فإن أبا بكر أيضاً لم يكن يعلم بمقصد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولعل الناس قد بقوا على ترددهم حتى وصلوا إلى مر الظهران، وأخذوا أبا سفيان ومن معه.

إستنفار العرب:

قد ذكرنا فيما سبق: أن الظاهر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد استنفر العرب إلى مكة، مسلمهم وكافرهم..

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٤.

وقد يمكن الإستشهاد على ذلك بالنص المتقدم الذي يقول: إن عيينة بن حصن قد سمع - وهو بنجد - : أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد وجهاً، وقد تجمعت العرب إليه..
فعبارة تجمعت العرب إليه، يشير إلى أن هذا التجمع قد شمل المسلم وغيره.

ولعل استنفار النبي «صلى الله عليه وآله» للعرب قد أفهمهم: أن ثمة أمراً خطيراً لابد لهم من مواجهته، كذلك الذي جرى في غزوة مؤتة.. وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.
وربما يكون مجيء عيينة بن حصن بمجرد سماعه بالأمر شاهداً آخر على ذلك..

سُليم تريد الخطوة عند النبي :

وقد ظهر من كلام بني سليم: أنهم كانوا يسعون لتكون لهم الخطوة عند النبي «صلى الله عليه وآله»، ويريدون الفوز بثقته من خلال أفعالهم ومواقفهم المؤثرة التي تشهد لهم بصحة ما يدعونه.
وقد صرحوا في كلامهم: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يستغشهم ويقصيهم، رغم أنهم أخواله، بسبب عاتكة بنت مرة، فإنها أم هاشم بن عبد مناف..

ولا يمكن الأخذ بظاهر كلامهم هذا إلا بتقدير: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد رأى في تصرفات بني سُليم غشاً يوجب الإقصاء والحذر، فإن هذا هو مقتضى الحزم.

كما أنه لا بد من ملاحظة: أن هذا الإقصاء لم يتخذ أسلوب التنفير، المؤسس للكره، وللعقدة، بل كان إقصاءً يدعوهم إلى مراجعة حساباتهم، ويزيد من رغبتهم في إصلاح أمرهم معه «صلى الله عليه وآله». حتى إنهم لينفرون إليه حين يستنفر العرب، وهم مصممون على أن يزيلوا هذه الصبغة عن أنفسهم، بأفعالهم قبل أقوالهم..

وقد أفسح لهم النبي «صلى الله عليه وآله» المجال للوفاء بتعهداتهم، حيث جعلهم مقدمة له.. كما صرحت به الرواية.

وقد أظهروا بعضاً من الأدب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين طووا ألويتهم، وطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يعقدها لهم، وأن يضعها حيث يشاء..

فجعل عليهم عينة بن حصن كما تقدم..

نخوة الجاهلية:

ولكن نخوة الجاهلية قد تحركت لدى عينة والعباس بن مرداس حيث افتخر عينة ببني سليم الذين فاز عينة بتأثير رسول الله «صلى الله عليه وآله» له عليهم، فلم يرق ذلك لعباس بن مرداس، فافتخر بقومه، وفضلهم على بني سليم..

فقال له عينة: كذبت ولؤمت.

إلى أن تقول الرواية: فأوماً لهما النبي «صلى الله عليه وآله» حتى سكتا..

فهذا الحدث يدل على أن هؤلاء الناس رغم أنهم قادة ورؤساء في قومهم، لم يكونوا يملكون الشيء الكثير من أدب الخطاب، أو من تقدير

الأمور، فهم لم يراعوا الأدب في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى بلغ الأمر بهم إلى التفوه بالشتائم.. دون أي مبرر معقول أو مقبول لكل ما جرى.

فلم يكن هناك مبرر لتفضيل عباس بن مرداس قومه على بني سليم، فإن عيينة وإن كان قد مدح قومه، ولكنه لم يفضلهم على أحد.. كما أنه لم يكن يجوز لعيينة أن يشتم عباساً بحضرة رسول الله، تأدباً مع الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتسليماً لأمره.. ولعل هذه الهفوات الصادرة من كلا الرجلين، كانت كافية لأمرهما بالسكوت، دون توجيه اللوم إلى أحد بعينه، فإن الخطأ قد صدر منهما معاً، وعليهما معاً أن يراجعا حساباتهما، ليجدا أنهما على غير سبيل هدى.

بيض النساء وأدم الإبل في بني مدلج:

وروى محمد بن عمر، عن يزيد بن أسلم، وأبي الحويرث: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انتهى إلى قديد، قيل له: يا رسول الله، هل لك في بيض النساء، وأدم الإبل، بني مدلج؟! فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عز وجل حرّمهن علي بصلة الرحم». وفي لفظ: «ببر الوالد، ووكزهم في لبات الإبل»^(١). ونقول:

إن هذا الذي أشار إليه النص آنفاً، هو أمر في غاية الأهمية فيما يرتبط

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٥ وج ١٣ ص ٣٧٥.

.....
بسياسة الإسلام ومفاهيمه، فقد عُرِضَ عليه «صلى الله عليه وآله» أن
يهاجم بني مدلج، تحت وطأة إغراء قوي في اتجاهين:
أحدهما: إغراء الجنس، ففي بني مدلج بيض النساء.
والآخر: إغراء المال، لأن لدى بني مدلج أدم الإبل.
ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رفض ذلك، ولم يكن رفضاً
مبهماً، ومن دون توضيح، بل هو رفض معلل، يعطي قاعدة هامة فيما يرتبط
بسياسة الإسلام تجاه الآخرين.

حيث قرر أن التشريع الإسلامي لا يبيح مهاجمة الآخرين بصورة
عشوائية، وبلا ضابطة. بل ذلك له منطلقات وضوابط أحكامية لا تجوز
مخالفتها، ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للعقوبة الإلهية.
وهذه القاعدة هي: أن لأعمال العباد تأثيراً في اتخاذ أي موقف منهم..
فلا تجوز مهاجمة بني مدلج، حتى لو كانوا على الشرك، وفي حالة عدا
للمسلمين، لأن فيهم خصالاً تمنع من ذلك، ذكرت الروايات منها:
أولاً: أنهم يصلون رحمهم ويبرون آباءهم..
الثاني: أنهم لا يقتلون الإبل كيفما اتفق، من أجل الاستفادة من لحمها،
وإنما ينحرونها بالطريقة الصحيحة، وفق أحكام الشرائع التي بلغتهم، أي
بالوكز في لباتها..

وبعدما تقدم نقول:

١ - إنك تجد لمحة من الرقة، والرفق، والرحمة، والشعور الإنساني
ظاهرة في كلا هذين الأمرين.. وقد جاء الحكم الناشئ عن ذلك بعدم
جواز مهاجمة هذا النوع من الناس منسجماً مع خصوصية الرحمة والرقة

والرفق.. ومع ضرورة حفظ الإنسانية، وتنميتها، وإفساح المجال لها لتؤثر في مسار الحياة..

٢ - ونحن في غنى عن التذكير: بأن للعمل الصالح والملائم لمرتكزات الخلق والتكوين آثاراً وضعية، وأخرى أحكامية في هذه الدنيا كما أظهرته هذه القضية نفسها، بل ربما تؤسس هذه الأعمال لحدوث تغيرات جذرية في حالات النفس، وفي إدراكاتها، وتعطيها جرعة من الواقعية، تتمكن من خلالها من بلوغ الحق، ومن الانصياع والبخوع له، الأمر الذي لا يتوفر للنفوس الأخرى، التي عزفت عن السير في هذا الاتجاه، ولم تتقبل هذه التوفيقات، وانتهى الأمر بها إلى أن تسير في طريق الجحود والإنكار، عن سابق علم وتصميم وإصرار.

٣ - وفي سياق آخر: لا بد لنا من التوقف قليلاً عند هذا التوجيه التربوي النبوي لأهل الإيمان، الهادف إلى دفعهم نحو الالتزام بمبدأ الرحمة والرفقة والرأفة، وصلة الرحم، والبر بالوالدين، والالتزام بأحكام الشرائع، ليكون ذلك أساساً أخلاقياً وعملياً لنظرتهم للآخر، وللتعامل معه..

٤ - يضاف إلى ذلك: أن من الطبيعي أن تتاب أولئك الذين عرضوا على النبي «صلى الله عليه وآله» الفوز ببيض النساء، وأدم الإبل، صحوة تجعلهم يقارنون بين ما عرضوه عليه «صلى الله عليه وآله»، وبين ما أجابهم به، لكي يكتشفوا ما يصح أن يكون معياراً للحرب والسلام، والإقدام والإحجام تجاه الذين يدينون بغير دين الإسلام، ويضعون أنفسهم في مواضع المناوئ له..

٥ - وقد أظهرت هذه الحادثة: أن ثمة أموراً يحسبها الإنسان ثانوية،

وغير ذات قيمة، في حين أنها قد تصبح الأساس الذي يرتكز عليه أخطر قرار، وأهم موقف يرتبط بالمصير، وبالحياة كلها..
وقد تجلّى ذلك في التزام بني مدلج الوكز في لبات الإبل، وفقاً لما قرّره الشرائع في كيفية نحرها.

الرفق بالحيوان.. مسؤولية شرعية:

ولما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن العرج - وكان فيما بين العرج والطلوب - نظر إلى كلبة تهر عن أولادها، وهن حولها يرضعنها، فأمر جميل (والصحيح: جعيل)^(١) بن سراقه: أن يقوم حذاءها، لا يعرض لها أحد من الجيش، ولا لأولادها^(٢).

ونقول:

قد تحدثنا في جزء سابق من هذا الكتاب عن بعض ما يتصل بموضوع الرفق بالحيوان، وصدر لنا كتاب بعنوان: «حقوق الحيوان في الإسلام» ويمكننا أن نكتفي بما ذكرناه هناك عن إعادة الكلام عن ذلك هنا..
غير أننا نود أن نذكر القارئ الكريم بما يلي:

١ - إن علينا أن نرصد مشاعر هذا الجيش العرمرم، الذي اختلطت فيه الفئات، والثقافات، والقبائل. وفيهم الحاضر والبادي، والجاهل والعالم،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٦ وج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ وج ٧ ص ٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٦ وج ٢ ص ٢٢٥.

والكبير والصغير، والغني والفقير، والرئيس والمرؤوس و... الخ.. وقد عاش هؤلاء ولا يزال كثير منهم يعيش حياة جاهلية بكل مفاهيمها، وحالاتها، وعاداتها، وبكل ما فيها من مأسٍ، وكوارث، وقد تربوا على استحلال السلب والنهب، والغارة، وقتل الرجال، وسحق الضعفاء من الرجال، والنساء، والأطفال.

وها هم، وهم الجناة الجفاة القساة، يواجهون قراراً حاسماً وحازماً لا بالتجاوز وإطلاق سراح البشر، بل بمراعاة حال البهائم، وحراستها من أن ينالها أي سوء أو أذى، أو حتى مجرد تكدير لصفاء أجوائها.

٢ - إن هذا الذي جرى لا بد من أن يفهمهم أيضاً: أن ثمة أموراً يحسبها الإنسان صغيرة في حين أنها قد تكون على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة..

٣ - إن هذا الذي يرونه يتجاوز موضوع الرحمة، والرفق بالحيوان، ليكون دليلاً على ثبوت حق، وأن ثمة مسؤولية تجاه هذه المخلوقات.. وفقاً للحديث الشريف الذي يقول: «إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»^(١).

٤ - إن على هؤلاء الناس الذين رأوا هذا الموقف أن يعودوا إلى أنفسهم، ليقارنوا بين قسوتهم على البشر، حتى الضعفاء، وبين الرحمة

(١) نهج البلاغة (شرح عبده) ج ٢ ص ٨٠ والبحار ج ٢٢ ص ٩ و ٤١ وج ٦٥ ص ٢٩٠ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٩٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٤٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ٢٨٨ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٤٠٢ وتفسير الميزان ج ١٧ ص ١٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٥٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٥٤.

والرقة والمسؤولية التي أظهرها رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحيوان، لتكون الرحمة هي الأساس الذي لا بد من أن يبنوا عليه علاقاتهم بالحيوان..

وإذا كانت علاقاتهم بالحيوان لا بد من أن تصل إلى هذا الحد، فما بالك بعلاقاتهم ببني الإنسان.

٥ - لقد كان بإمكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يوقف الجيش، ثم يطلب إقصاء تلك الكلبة عن ذلك المكان، ليمر الجيش وتكون هي وأولادها منه في مأمن وسلام..

ولكنه لم يفعل ذلك، لأن الذين سوف يعرفون سبب إيقاف الجيش، ويعاينون مبرراته عن قرب سيكونون قلة قليلة من الناس، وهو يريد إشاعة هذه السياسة، وتعريف أكبر قدر ممكن من الناس بها، فكان أن وضع لها حارساً يرشد الجيش إلى لزوم الابتعاد عنها، ولو باختيار مسار آخر.. ربما لأن إبعادها عن الطريق ليس بأولى من الابتعاد عن طريقها، وكلا الأمرين يرجعان إلى اختيار السالكين، ولا تكون حقوقها مرهونة بإرادات الناس، بل لا بد لإراداتهم من أن تنطلق وتتبلور على أساس المفروغة عن ثبوت تلك الحقوق ومراعاتها..

٦ - لا بد لذلك الجيش من أن يدرك أن انشغال القائد بالقضايا الكبرى لا يبرر له تضييع ما عداها، ما لم يضر الاهتمام بها بالقضية الكبرى، إذ إن الأمر الصغير كبير في حد ذاته وفي موقعه، ولا يغني عنه سواه، ولا يصح التخلي عنه إلا إذا تصادم مع ما هو أكبر وأخطر، بحيث يشكل خطورة عليه، كما هو ظاهر.

صيام النبي ' في السفر:

وروي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: «رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالعرج يصب الماء على رأسه من الحر وهو صائم»^(١).
وعن جابر، عن ابن عباس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج من المدينة في غزوة الفتح في شهر رمضان يصوم ويصومون، حتى بلغ الكديد^(٢)، بين عسفان وقديد^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٢ عن مالك والواقدي، وعن الحاكم في الإكليل وج ٨ ص ٤٢٣ عن أحمد وأبي داود، وص ٤٢٦ عن مالك والشافعي وأحمد، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠١ و ٨٠٢ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٢٨٧ ومسند أحمد ج ٤ ص ٦٣ وج ٥ ص ٣٧٦ وراجع: كتاب الموطأ ج ١ ص ٢٩٤ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٤٥ وفتح الباري ج ٤ ص ١٣٣ والإستذكار لابن عبد البر ج ٣ ص ٢٩٨ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٣٧٤ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٢ ص ٤٧ والمصنف للصنعاني ج ٤ ص ٢٠٧ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٤٥ ولسان الميزان لابن حجر ج ١ ص ٣٧٧.

(٢) (الكديد): قيل: بالفتح، وبالكسر، وآخره دال أخرى: موضع بالحجاز على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، بين عسفان وأمج. مرصد الإطلاع ج ٣ ص ١١٥٢ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٢ وتاج العروس ج ٥ ص ٢١٩ وراجع: فتح الباري (المقدمة) ص ١٧٤.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وتنوير الحوالك للسيوطي ص ٢٨١ وتلخيص الحبير ج ٦ ص ٤٢٧ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٣٠٤ والطرائف لابن طاووس ص ٥٢٨ وتلخيص الحبير ج ٦ ص ٤٢٧ وتنوير الحوالك ص ٢٨١ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٠٣ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٣٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٤ =

(وفي رواية: بين عسفان وأمج^(١)). وفي حديث جابر: كراع الغميم^(٢)،

= وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٣٧ والتنبية والإشراف ص ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٢١٤ وتفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٩٩ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٢١٦ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٤١ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٢٣٨ وج ٥ ص ٩٠ وعمدة القاري ج ١١ ص ٤٦ وج ١٧ ص ٢٧٦ وفي القاموس: الكديد ما بين الحرمين.

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٦٦ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٥ وعمدة القاري ج ٩ ص ٢٣٤ والمعجم الكبير ج ٨ ص ١٠ والدر لابن عبد البر ص ٢١٤ وجامع البيان للطبري ج ٢ ص ٢٠٢ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٨ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٣ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٩ و ٥٤٠ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٦٥ ولسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٢٠٨ وتاج العروس ج ٣ ص ٢٨٨. و(أمج) بفتحيتين، والجيم: بلد من أعراض المدينة. مرصد الإطلاع ج ١ ص ١١٥.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١٢٧ عن إعلام الوری والمجموع للنووي ج ٦ ص ٢٦٤ والمغني لابن قدامة ج ٣ ص ٣٤ والشرح الكبير ج ٣ ص ١٩ والمحلى ج ٦ ص ٢٥٣ وبداية المجتهد ج ١ ص ٢٣٨ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٨ والطرائف ص ٥٢٩ واختلاف الحديث للشافعي ص ٤٩٣ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٤١ وسنن الترمذي ج ٢ ص ١٠٦ وسنن النسائي ج ٤ ص ١٧٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢٤١ و ٢٤٦ وعمدة القاري ج ١١ ص ٤٧ ومسند أبي داود ص ٢٣٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ١٠١ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٤٠٠ وج ٤ =

بلغه أن الناس شق عليهم الصيام، وقيل له: إنما ينظرون فيما فعلت.
فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من لبن، أو ماء، وجزم
جابر بأنه ماء، وكذا ابن عباس^(١).
وفي رواية: فوضعه على راحلته ليراه الناس، فشرب فأفطر، فناوله

= ص ٩٨ وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ٢٥٥ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٦٥
وصحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٢٣ وج ٨ ص ٣١٨ و ٣١٩ ومعرفة السنن والآثار
ج ٣ ص ٣٩٠ والإستذكار لابن عبد البر ج ٣ ص ٣٠١ والتمهيد لابن عبد البر
ج ٩ ص ٦٨ وج ٢٢ ص ٥٢ وتفسير الثعلبي ج ٢ ص ٧٣ وتفسير السمعاني
ج ١ ص ١٨٤ وتفسير البغوي ج ١ ص ١٥٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٧ و
٥٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ وج ٨ ص ٤٢٦ ونهج الحق للعلامة
الحلي ص ٤٤٢ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٣٨٣.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ وج ٨ ص ٤٢٨ وإحقاق الحق (الأصل)
ص ٣٨٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر)
ج ٥ ص ٩٠ وفتح الباري ج ٤ ص ١٥٨ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٤١
وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ٢٥٥ وصحيح ابن حبان ج ٨ ص ٣١٨ و ٣١٩
ونصب الراية ج ٣ ص ٢٧ والعهود المحمدية ص ٧١٦ ونيل الأوطار ج ٤
ص ٣٠٩ و ٣١٠ والطرائف لابن طاووس ص ٥٢٩ وعمدة القاري ج ١٧
ص ٢٧٦ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٢٧٤ وراجع: الكافي ج ٤ ص ١٢٧ ومن لا
يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٤١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ١٧٦ و
(ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ١٢٥ والفصول المهمة ج ١ ص ٦٩١ وجامع
أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٢٩٣ ومنتقى الجمان ج ٢ ص ٥٢٧ ونهج الحق وكشف
الصدق ص ٤٤٢.

رجلاً إلى جنبه، فشرب فقليل له بعد ذلك: إن بعض الناس صام، فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة»، فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر^(١).
وعن أبي سعيد الخدري قال: سافرنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونحن صيام، فنزلنا منزلاً، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم». وكانت رخصة، فمننا من صام، ومننا من أفطر، ثم نزلنا منزلاً آخر، فقال: «إنكم مصبحو عدوكم، والفطر أقوى لكم، فأفطروا». فكانت عزيمة، فأفطرننا^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٢٦ وج ٥ ص ٢١٣ وفي هامشه عن: مسلم من حديث ابن عباس ٧٨٤/٢ (١١١٣/٨٨) ومن حديث جابر أخرجه مسلم في الصيام ٧٨٥/٢ (١١١٤/٩٠) والبخاري (٤٢٧٥)، والترمذي (٧١٠) والنسائي في الصيام باب (٤٧) والطيالسي كما في المنحة (٩١٢) والطحاوي في معاني الآثار ٦٥/٢ والشافعي في المسند (١٥٨) والبيهقي في الدلائل ٢٥/٥ وفي السنن ٢٤١/٤، وانظر التلخيص ٢٠٣/٢ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٢ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج ١ ص ٢٣٨ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٠٤ وراجع: شرح معاني الآثار ج ٢ ص ٦٤ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٣٠٩ و ٣١٢ والطرائف ص ٥٢٨ ونهج الحق ص ٤٤٢ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٩٠ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٧٥ ونصب الراية ج ٣ ص ٢٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ وفي هامشه عن: مسلم ٧٨٩/٢ (١١٢٠/١٠٢) والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٥ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٠٢ وتلخيص الحبير ج ٦ ص ٤٣١ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٣ ص ١٤٤ والسنن الكبرى ج ٤ ص ٢٤٢ وفتح الباري ج ٤ ص ١٦٠ وتحفة =

أين أفطر رسول الله ؟!'

وقد اختلفوا في الموضع الذي أفطر فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» هل هو قديد؟ أو كديد؟ أو كراع الغميم؟ أو عسفان؟^(١).
قال الصالحى الشامى وغيره: «يجوز أن يكون قد وقع منه «صلى الله عليه وآله» الفعل في المواضع الأربعة، والفطر في موضع منها، لكن لم يره جميع الناس فيه لكثرتهم، وكرره ليتساوى الناس في رؤية الفعل الخ..^(٢)»
وقال الحلبي: «لا منافاة لتقارب الأمكنة»^(٣).
ونقول:

إن تقارب الأمكنة لا يجدي شيئاً، فإنه إذا كان الفعل قد وقع منه «صلى الله عليه وآله» في كراع الغميم، فلماذا عدل الناقل عنها إلى عسفان، أو قديد، أو كديد؟
وإذا كان قد حصل ذلك في عسفان، فلماذا يذكر الراوي كراع الغميم، أو قديداً؟!
وأما ما ذكروه من احتمال تكرار الفعل منه «صلى الله عليه وآله» ليراه

= الأحوذى ج ٣ ص ٣٢٨ وج ٥ ص ٢٧١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٦٢٧
وصحيح ابن خزيمة ج ٣ ص ٢٥٧ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٦٥ ومسند
الشاميين ج ٣ ص ١٣٠ ونيل الأوطار ج ٤ ص ٣٠٤ وفقه السنة لسيد سابق ج ١
ص ٤٤٢ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٣٨ والسنن الكبرى ج ٤ ص ٢٤٢.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٦٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤.
(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤.

الناس، فيحتاج إلى شاهد وقرينة تدل على هذا التعدد.
على أن ظاهر الروايات هو: أنها تتحدث عن فعل واحد صدر منه
«صلى الله عليه وآله» بما له من خصوصيات وتفصيل ..

حديث الصيام باطل من أصله:

ونظن أننا لن نفاجئ القارئ الكريم إذا قلنا: إن هذا الذي ذكره
عن أمر الصيام والإفطار باطل من أساسه، فلاحظ ما يلي:
١ - إن المسافة التي توجب القصر في مدرسة أهل البيت «عليهم
السلام» هي ثمانية فراسخ إمتدادية، أو ملفقة من الذهاب والإياب.
والفرسخ: ثلاثة أميال.

والمسافة بين المدينة والأماكن التي يُدعى أنه «صلى الله عليه وآله» قد
أفطر فيها، هي أضعاف المقدار الذي يجب فيه القصر، وفق ما عليه أهل
البيت «عليهم السلام»، وأهل البيت أدري بما فيه، وهم سفينة النجاة،
والثقل الذي أمر الله تعالى بالتمسك به مع القرآن..

٢ - والمسافة الموجبة للقصر عند أهل السنة: المالكية، والحنابلة،
والشوافع، هي: مسيرة يوم وليلة، وقدرها ستة عشر فرسخاً، التي هي
حوالي اثنين وثمانين كيلو متراً أي ثمانية وأربعون ميلاً.
وعند الحنفية هي: مسيرة ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة بدءاً من
الصباح إلى الزوال فقط.

وقدرها بعضهم: بأربعة وعشرين فرسخاً^(١).

والمسافة بين المدينة والمواقع التي زعموا أن النبي «صلى الله عليه وآله» أفطر فيها: هي أضعاف هذه المسافة..

٣ - تقدم أن الحلبي يقول: إن هذه المواقع المذكورة في الروايات متقاربة بحيث يصح ذكر بعضها مكان بعض.

وقد قلنا: إن ذلك لا يصح، إذ لا نجد مبرراً لترك اسم الموقع الأصلي، وذكر اسم الموقع المجاور له.
ولكننا نقول:

إن عسفان تبعد عن مكة ستة وثلاثين ميلاً فقط^(٢).. فهي على مسافة يومين من مكة^(٣).

وكديد: تبعد عن مكة اثنين وأربعين ميلاً^(٤).

(١) راجع: الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٧٢ و ٤٧٣ وراجع: تذكرة الفقهاء (ط ج) ج ٤ ص ٣٧١ و (ط ق) ج ١ ص ١٨٨ وتفسير مجمع البيان ج ٢ ص ١٦ وزاد المسير ج ١ ص ١٦٨ وتفسير الرازي ج ٥ ص ٨٢.

(٢) مراصد الإطلاع ج ٢ ص ٩٤٠ وشرح مسلم للنووي ج ٧ ص ٢٣٠ وعمدة القاري ج ٩ ص ٢٠٣ والديباج على مسلم ج ٣ ص ٢١٥ وعون المعبود ج ٤ ص ٧٤.

(٣) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٢ ص ٩٣ وكشاف القناع ج ١ ص ٦١٦.

(٤) مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١١٥٢ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٢ وشرح مسلم للنووي ج ٧ ص ٢٣٠ وفتح الباري (المقدمة) ص ١٧٤ وتارج العروس ج ٥ ص ٢١٩.

وكراع الغميم: أمام عسفان بثمانية أميال^(١).
وقد صرح أبو هريرة: بأنه «صلى الله عليه وآله» كان بالعرج لا يزال صائماً، وهي تبعد عن المدينة ثمانية وسبعين ميلاً^(٢).
وقديد: موضع قرب مكة^(٣)، وبينها وبين ضجنان يوم^(٤).
وضجنان: على بعد خمسة وعشرين ميلاً من مكة^(٥).
وقيل: على بعد بريد منها^(٦).
وهذا معناه: أن ثمة مسافات طويلة فيما بين هذه الأماكن، قد تصل إلى عشرة أو خمسة عشر كيلومتراً..
علماً بأن هذه الأماكن التي نتحدث الروايات عنها تبعد عن المدينة مئات الكيلومترات، كما يظهر من ملاحظة ما ذكرناه..

-
- (١) مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١١٥٣ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٣ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٧٩ والديباج على مسلم ج ٣ ص ٢١٦.
(٢) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦٤ وشرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٥ وعمدة القاري ج ١٠ ص ١٧٧ والديباج على مسلم ج ٥ ص ٢٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٧.
(٣) مراصد الإطلاع ج ٣ ص ١٠٧٠ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣١٣.
(٤) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٥٧ وفتح الباري ج ٢ ص ٩٣ وفي عمدة القاري ج ٥ ص ١٤٦ ومعجم ما استعجم: ليلة.
(٥) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٥٧ ومراصد الإطلاع ج ٢ ص ٨٦٥ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٤٥٣.
(٦) مراصد الإطلاع ج ٢ ص ٨٦٥ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٤٥٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٤٨٠.

أي أن عسفان تبعد عن المدينة حوالي ثماني مراحل. أي بما يزيد عن ثلاث مائة كيلومتر، وكذلك الحال بالنسبة لكديد، فضلاً عن كراع الغميم، وقديد.

فإذا لاحظنا النصوص في المصادر المختلفة، فسنجد: أن القادم من المدينة إلى مكة يمر بالعرج، ثم بالجحفة، ثم بكديد، ثم بعسفان. والجحفة أقرب إلى مكة منها إلى المدينة، فإنها تبعد عن مكة أربع مراحل ونصفاً^(١)، وتبعد عن المدينة خمس مراحل وثلثي مرحلة^(٢). والمرحلة هي في الحقيقة: مسيرة يوم^(٣). وبعد عسفان تأتي كراع الغميم، ثم أمج.. وتأتي أخيراً قديداً، وضجبان.

وذلك كله يوضح لنا: أن كديداً وعسفان، وكراع الغميم، وقديد، تبعد عن المدينة أضعاف المسافة التي توجب الإفطار وقصر الصلاة، وذلك ظاهر لا يخفى.

والأخذ بهذه الروايات يقتضي طرح جميع الروايات الأخرى التي اعتمد عليها فقهاء المذاهب الأربعة فيما يرتبط بتقدير المسافة التي توجب

-
- (١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٤ وراجع: مراصد الإطلاع ج ١ ص ٣١٥ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٦٢ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ١١١.
- (٢) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٤ وراجع: مراصد الإطلاع ج ١ ص ٣١٥ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٦٢ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ١١١.
- (٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٧٣ والحدائق الناضرة ج ١٤ ص ٣٢٦ عن المصباح للفيومي.

الفطر والقصر، فضلاً عن مخالفتها لما يقوله أهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

حديث شق عليهم الصوم:

وعن الحديث الذي يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما أفطر حين بلغه أن الصوم شق على الناس، نقول:

إننا نضيف إلى ما قدمناه ما يلي:

أولاً: إن فطره «صلى الله عليه وآله» لأجل التخفيف على الناس غير مقبول؛ لأن الصوم إن كان مفروضاً وواجباً، فلا يصح إفطار من لا يشق عليه الصوم لإغراء من شق عليه بالإفطار.

بل الواجب هو: إرشادهم إلى أن من بلغ مقدار المشقة عليه حداً يقتضي الإفطار، فعليه أن يفطر، ومن لم تبلغ به المشقة هذا الحد، لم يجز له الإفطار..

وإن كان الصوم ليس واجباً عليهم، فلا معنى لإناطة الإفطار بالمشقة.. والمفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن الصوم شاقاً عليه، فكيف جاز له أن يفطر؟!

ثانياً: إن حديث مشقة الصوم لا ينسجم مع الحديث الآخر، الذي تحدث عن الرخصة تارة، والعزيمة أخرى.. لأن هذا الحديث يدل على أن السبب في أمره «صلى الله عليه وآله» لهم بالإفطار هو: أنه يريد أن يجد فيهم المزيد من القوة في مواجهة عدوهم.

إلا أن يقال: إن هذه الرواية لم تصرح بأن ذلك كان في غزوة الفتح.

وليس فيها أيضاً: أن صيامهم كان في شهر رمضان..

فلعلها قصة أخرى، غير هذه..

لا سيما وأنه لم تكن هناك حرب حقيقية في غزوة الفتح.

ثالثاً: إن اعتبار الذين صاموا عصاةً، يتوقف على أن يكون الصوم

واجباً عليهم، فوجوب الإفطار يدور بين احتمالات:

الأول: أن تكون المسافة التي قطعت من موجبات الإفطار.

وقد تقدم بطلان هذا الاحتمال.

الثاني: أن يكون الصوم واجباً، لكن المشقة هي التي حتمت إفطارهم.

الثالث: أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد حتم عليهم الإفطار

من موقع كونه أولى بهم من أنفسهم، لكي تظهر قوتهم للأعداء، التي هي

بنظره أهم من مصلحة الصوم. فهم قد خالفوا أمره الولائي، ولم يخالفوا

أمر الله تعالى لهم في صيام شهر رمضان المبارك.

الرابع: أن يكون وجوب الصوم قد كان بنذر ونحوه، وقد حل النبي

«صلى الله عليه وآله» نذرهم، من حيث إنه أولى بهم من أنفسهم..

وكل هذا بعيد.. والإعتماد على احتمالات كهذه غير سديد ولا رشيد.

..... :

الفصل السابع:

هجرة العباس..
وإسلام ابن الحارث وابن أبي سلمة

إسلام العباس وهجرته:

وقدم العباس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعياله مسلماً مهاجراً.
قال ابن هشام: لقيه بالجحفة^(١).
وقيل: بذى الحليفة، وأرسل أهله وثقله إلى المدينة، ورجع مع رسول
الله «صلى الله عليه وآله» إلى مكة^(٢).
وعند الواقدي: لقيه بالسقيا هو ومخرمة بن نوفل، فدخل العباس، فلم
يخرج حتى رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان ينزل معه في كل
منزل حتى دخل مكة^(٣).

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ والبحار ج ٢١
ص ١١٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢
ص ٤٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ والإستذكار ج ٥ ص ١٥١.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ والبحار ج ٢١
ص ١١٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢
ص ٤٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢.
(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٣٠ وراجع:
إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥.

قال البلاذري: وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هجرتك يا عم آخر هجرة، كما أن نبوتي آخر نبوة»^(١).

ولكننا نجد في مقابل ذلك من يقول عن العباس: «الصحيح: أنه منذ يوم بدر كان بالمدينة»^(٢).

وقالوا: إن العباس خرج يتلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه أبو سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية، وقد تلقاه بثنية العقاب، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في قبته، وعلى حرسه زياد بن أسيد، فاستقبلهم زياد، فقال: أما أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبة، وأما أنتما فارجعا.

فمضى العباس حتى دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسلم عليه، وقال: بأبي أنت وأمي، هذا ابن عمك قد جاء تائباً، وابن عمك.

قال: لا حاجة لي فيهما، إن ابن عمي انتهك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي يقول بمكة: {لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً}^(٣).

فلما خرج العباس كلمته أم سلمة، وقالت: بأبي أنت وأمي، ابن عمك قد جاء تائباً، لا يكون أشقى الناس بك، وأخي ابن عمك وصهرك، فلا يكونن شقياً بك.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ و (ط دار المعرفة)

ص ١٥ ومواقف الشيعة ج ١ ص ١٧١ عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٥.

(٢) الخرايج والجرايح ج ١ ص ١٦٢ والبحار ج ٢١ ص ١١٨ عنه.

(٣) الآية ٩٠ من سورة الإسراء.

ونادى أبو سفيان بن الحارث النبي «صلى الله عليه وآله»: كن لنا كما
قال العبد الصالح: {لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ} فدعاه وقبل منه، ودعا عبد الله بن
أبي أمية، فقبل منه^(١).

وساطة أم سلمة:

كان أبو سفيان بن الحارث أخا النبي «صلى الله عليه وآله» من
الرضاعة، أرضعته حليلة السعدية أياماً، وكان لا يفارق النبي «صلى الله
عليه وآله» قبل النبوة. وكان له ترباً.
وكان عبد الله بن أبي أمية أخاً لأم سلمة، وهو ابن عاتكة بنت عبد
المطلب عمه رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان هذان الرجلان من أكبر القائمين عليه، ومن أشد الناس إذاية له
«صلى الله عليه وآله». فقدما على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنى العقاب،
أو بالأبواء، فالتمسا الدخول عليه «صلى الله عليه وآله» فأعرض عنهما.
فكلمته أم سلمة فيهما، وقالت له: لا يكون ابن عمك، وابن عمك
أشقى الناس بك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «لا حاجة لي بهما.
أما ابن عمي، فهتك عرضي.
وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال».
(أي أنه كان قد قال له: إنه لا يؤمن به إلا إذا عرج بسلم إلى السماء، وهو

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٨ وإعلام الورى ج ١ ص ٢١٩ والبحار ج ٢١
ص ١٢٧ و ١٢٨ عنه، ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٠٨.

ينظر إليه، ثم يأتيه بصك، وأربعة من الملائكة يشهدون له: أن الله أرسله^(١).

فلما خرج الخبر، قال أبو سفيان: ليأذن لي أو لآخذن بيد ابني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت جوعاً وعطشاً.
فلما بلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلنا عليه، وأسلمنا^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٠ و ٨١١ وسيرة ابن إسحاق ج ٤ ص ١٨٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٩٣ و عيون الأثر ج ١ ص ١٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٨١ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٣٤٠ وراجع: الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٤٦٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٧ والبحار ج ٩ ص ٢٢٢ و ج ١٨ ص ١٧٩ والتفسير الصافي ج ٣ ص ٢١٧ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢٢٦ وتفسير الرازي ج ٢١ ص ٥٨ وتفسير القرطبي ج ١٠ ص ٣٣٠ وتفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٧٨ والدر المنثور ج ٤ ص ٢٠٣ وتفسير أبي السعود ج ٥ ص ١٩٥ وتفسير الألوسي ج ١٥ ص ١٧١ والبداءة والنهاية ج ٣ ص ٦٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٦ و ٤٠٨ و ج ١٠ ص ٢٧٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٢٤ .

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ والبحار ج ٢١ ص ١٠٢ و ١٠٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٠ و ٨١١ والمعجم الكبير للطبراني ج ٨ ص ١٠ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٣ والبداءة والنهاية ج ٤ ص ٣٢٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٦ و ٤٠٨ و ج ١٠ ص ٢٧٢ والسيرة النبوية ج ٤ ص ٨٦٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ عن ذخائر العقبى، والمواهب اللدنية، وأبي عمر.

وقيل: إن علياً «عليه السلام» قال لأبي سفيان: ائت رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: {.. تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ }؛ فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يرضى بأن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل، فقال «صلى الله عليه وآله»: { لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ يَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }^(١).

وكان أبو سفيان قد عادى النبي «صلى الله عليه وآله» نحو عشرين سنة، يهجوّه، ولم يتخلف عن قتاله^(٢).

وقال الواقدي: فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى فتح مكة استقبل عبد الله بن أبي أمية، فسلم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يرد عليه السلام، فأعرض عنه ولم يجبه بشيء.

وكانت أخته أم سلمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل إليها فقال: يا أختي! إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قبل إسلام الناس كلهم ورد إسلامي، فليس يقبلني كما قبل غيري.

فلما دخل رسول الله صلى «صلى الله عليه وآله» على أم سلمة قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! سعد بك جميع الناس إلا أخي من بين قريش والعرب، رددت إسلامه، وقبلت إسلام الناس كلهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا أم سلمة، إن أخاك كذّبي تكذيباً لم يكذبني أحد من الناس، هو الذي قال لي: { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

(١) الآيتين ٩١ و ٩٢ من سورة يوسف.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٦.

حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا { إلى قوله: { كِتَابًا نَقْرُؤُهُ }^(١).
قالت أم سلمة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ألم تقل: إن الإسلام يجب
ما كان قبله؟

قال: نعم.

فقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إسلامه^(٢).
ولم يزل أبو سفيان عشرين سنة عدواً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»،
يهجو المسلمين ويهجونه، ولا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال
رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم إن الله ألقى في قلبه الإسلام.
قال أبو سفيان: فقلت من أصحاب؟! ومع من أكون؟! قد ضرب
الإسلام بجرانه، فجئت زوجتي وولدي فقلت: تهيأوا للخروج، فقد أظلم
قدوم محمد.

قالوا: قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً، وأنت
موضع في عداوته، وكنت أولى الناس بنصره.
فقلت لغلامي مذكور: عجل بأبرة وفرس.
قال: ثم سرنا حتى نزلنا الأبواء، وقد نزلت مقدمة رسول الله «صلى
الله عليه وآله» الأبواء، فتنكرت، وخفت أن أقتل.
وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نذر دمي، فخرجت على

(١) الآيات ٩٠ إلى ٩٣ من سورة الإسراء.

(٢) البحار ج ٩ ص ٢٢٢ وج ٢١ ص ١١٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٧ والقواعد الفقهية
ج ١ ص ٤٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٥ ومستدرك الوسائل ج ٧ ص ٤٤٨
وجامع أحاديث الشيعة ج ٩ ص ٣٢٦ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢٢٦.

.....
: ..
قدمي نحواً من ميل وأقبل الناس رسلاً رسلاً، فتنحيت فرقاً من أصحابه،
فلما طلع في موكبه تصديت له تلقاء وجهه، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني
بوجهه إلى الناحية الأخرى.

فتحولت إلى ناحية وجهه الأخرى، فأعرض عني مراراً، فأخذني ما
قرب وما بعد، وقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه.

وأذكر بره ورحمه فيمسك ذلك مني. وقد كنت لا أشك أن رسول الله
«صلى الله عليه وآله» وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً لقرابتي منه.
فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله «صلى الله عليه وآله» عني
أعرضوا عني جميعاً، فلقيني ابن أبي قحافة معرضاً عني.

ونظرت إلى عمر يغري بي رجلاً من الأنصار، فقال لي: يا عدو الله،
أنت الذي كنت تؤذي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتؤذي أصحابه،
قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته.

فرددت بعض الرد عن نفسي، واستطال علي ورفع صوته حتى جعلني
في مثل الحرجة من الناس يسرون بما يفعل بي.

قال: فدخلت على عمي العباس، فقلت: يا عم، قد كنت أرجو أن
يفرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإسلامي لقرابتي وشرفي، وقد كان
منه ما رأيت، فكلمه في ليرضى عني.

قال: لا والله، لا أكلمه كلمة أبداً بعد الذي رأيت منه.

فقلت: يا عمي إلى من تكلني؟

قال: هو ذاك.

قال: فلقيت علياً رحمة الله عليه، فكلمته، فقال لي مثل ذلك.

قال أبو سفيان: فخرجت، فجلست على باب منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى خرج إلى الجحفة وهو لا يكلمني ولا أحد من المسلمين. وجعلت لا ينزل منزلاً إلا أنا على بابه، ومعني ابني جعفر قائم، فلا يراني إلا أعرض عني.

فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة، وأنا في خيله التي تلازمه حتى هبط من أذاخر، حتى نزل الأبطح، فدنوت من باب قبته فنظر إلي نظراً هو ألين من ذلك النظر الأول، قد رجوت أن يتسم، ودخل عليه نساء بني عبد المطلب، ودخلت معهن زوجتي فرقته عليّ.

وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال، حتى خرج إلى هوازن، فخرجت معه وقد جمعت العرب جمعاً لم تجمع مثله قط.

وخرجوا بالنساء والذرية والماشية، فلما لقيتهم قلت: اليوم يرى أثري إن شاء الله. فلما لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله: {ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} (١).

وثبت رسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلته الشهباء، وجرّد سيفه. فاقتحمت عن فرسي ويدي السيف صلتاً، قد كسرت جفنه، والله يعلم أنني أريد الموت دونه، وهو ينظر إلي، فأخذ العباس بن عبد المطلب بلجام البغلة، فأخذت بالجانب الآخر، فقال: من هذا؟

فقال العباس: أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث! فارض عنه، أي رسول الله!

قال: قد فعلت، فغفر الله كلّ عداوة عادانيها!

(١) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

.....
..
:
فَأَقْبَلَ رَجُلَهُ فِي الرِّكَابِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: أَخِي لِعَمْرِي! ثُمَّ أَمَرَ
الْعَبَّاسَ، فَقَالَ: نَادِ يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ! يَا أَصْحَابَ السَّمَرَةِ يَوْمَ
الْحَدِيثَةِ! يَا لِّلْمُهَاجِرِينَ! يَا لِّلْأَنْصَارِ! يَا لِّلْخَزَرَجِ!

فَأَجَابُوا: لِّبَيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ!

وَكُرُوا كُرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، قَدْ حَطَمُوا الْجَفُونَ، وَشَرَّعُوا الرِّمَاحَ، وَخَفَضُوا
عَوَالِي الْأَسْنَةِ، وَأَرْقَلُوا إِرْقَالَ الْفَحُولِ، فَرَأَيْتَنِي وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
«صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» شُرُوعَ رِمَاحِهِمْ حَتَّى أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ».

وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: تَقْدُمُ فَضَارِبُ الْقَوْمِ.
فَحَمَلْتُ حِمْلَةً أَزَلَّتْهُمْ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ، وَتَبَعَنِي رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ» قَدَمًا فِي نَحْوِ الْقَوْمِ، مَا يَأْلُو مَا تَقْدُمُ، فَمَا قَامَتْ لَهُمْ قَائِمَةٌ حَتَّى
طَرَدْتَهُمْ قَدْرَ فَرَسَخٍ، وَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى الطَّلَبِ،
فَبَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى وَجْهِهِ، وَبَعَثَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي وَجْهِهِ، وَبَعَثَ
أَبَا عَامَرَ الْأَشْعَرِيَّ إِلَى عَسْكَرِ بَأُوطَاسٍ، فَقُتِلَ، وَقُتِلَ أَبُو مُوسَى قَاتِلَهُ^(١).

وَنَقُولُ:

إِنَّ لَنَا وَقَفَاتٍ عَدِيدَةً مَعَ هَذِهِ النُّصُوصِ كُلِّهَا، وَنَجْمِلُ ذَلِكَ عَلَى النُّحُو
التَّالِي:

(١) قاموس الرجال ج ٥ ص ٢٣٧ عن أنساب الأشراف للبلاذري، وكتاب التوابين
ص ١١٣ و ١١٤.

هجرة العباس آخر هجرة:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال للعباس: «هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوتي آخر نبوة»^(١).
ونقول:

إننا نسجل هنا الملاحظات التالية:

ألف: لماذا اعتبر «صلى الله عليه وآله» هجرة العباس آخر هجرة، ولم يعتبر هجرة عبد الله بن أبي أمية آخر هجرة؟!
أو لماذا لا يعتبر هجرة أبي سفيان بن الحارث آخر هجرة؟!
بل لقد كان الأولى اعتبار هجرة هؤلاء جميعاً آخر هجرة..
وقد يقال في الجواب عن ذلك: إن العباس كان في مكة مسلماً، ولم يهاجر إلا حين الفتح، أما هؤلاء فقد كانوا على الكفر، وإنما جاؤوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الوقت لكي يسلموا، وكان بعضهم قد أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه. وإنما يصح إطلاق كلمة المهاجر على من أسلم وآمن، ثم هاجر.. لا على من لم يسلم أصلاً، ولكنه يَعدُّ بأن يسلم حين يلقي النبي «صلى الله عليه وآله»..
غير أن صحة هذا الجواب تتوقف على ثبوت إسلام العباس قبل يوم الفتح، ودون ذلك خرط القتاد، لا سيما مع ما سيأتي من وجود رواية صحيحة مصرحة بكونه من الطلقاء.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ و (ط دار المعرفة) ص ١٥ ومواقف الشيعة ج ١ ص ١٧١ عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٥.

ب: إننا لم نعرف ماذا كان مصير مخرمة بن نوفل، فإنه لم يدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن كان قد أسلم فلماذا لم يذكروا لنا ذلك؟! وإن كان لم يسلم، فهل تركوه؟ أم أسروه؟!

ج: إن حديث هجرة العباس في هذا الوقت موضع شك: أولاً: لما تقدم من أن ثمة من يقول عن العباس: «الصحيح: أنه منذ يوم بدر كان في المدينة». وإن كانت النصوص والوقائع لا تساعد على قبول هذا القول..

ثانياً: قد عرفت الخلاف في المكان الذي التقى فيه العباس بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فهل لقيه بالسقيا وهي تبعد عن المدينة أربعة أيام؟! أم لقيه بالجحفة، وهي تبعد عن مكة أربع مراحل ونصف مرحلة، كما تقدم؟! أم لقيه في ثنية العقاب؟! أم في الجحفة؟! أم في ذي الحليفة؟! وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى..

ثالثاً: إن كلام المعتزلي يشير إلى أن آخر من هاجر هو نعيم بن مسعود، وليس العباس.

فقد ذكر: أن العباس شفع في نعيم بن مسعود: أن يستثنيه النبي «صلى الله عليه وآله» من قوله: «لا هجرة بعد الفتح»، فاستثناه، فراجع^(١).

رابعاً: ما معنى مقارنة هجرة العباس بالنبوة الخاتمة؟! فإن للنبوة

(١) البحار ج ٦٦ ص ٢٣٠ عن شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ١٠٣.

الخاتمة فضلها على سائر النبوات، ولم يكن لهجرة العباس أي فضل على غيرها من الهجرات، بل كانت تلك الهجرات أفضل عند الله تعالى، ولا سيما هجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهجرة أمير المؤمنين «عليه السلام». وقد كان «عليه السلام» يذكر سبقه إلى الهجرة في جملة فضائله وكراماته التي من الله تعالى عليه بها^(١).

خامساً: إنهم يقولون: إن العباس خرج يتلقى النبي «صلى الله عليه وآله»، ومعه عبد الله بن أبي أمية، وأبو سفيان، وقد تلقاه بثنية العقاب حسبما تقدم.

وهذا معناه: أنه لم يخرج مهاجراً، وإنما خرج متلقياً.. وإن كان لنا كلام حتى بالنسبة لهذا المقدار أيضاً، ونظن أنه قد خرج يتنسم الأخبار ففوجئ بجيوش الإسلام فاستسلم كما سنرى.

سادساً: روي عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن سدير، قال: «كنا عند أبي جعفر «عليه السلام»، فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبئهم

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ١٠٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٦ ص ٢٢٨ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٧٨ وفرحة الغري لابن طاووس ص ٥ والبحار ج ٣٨ ص ٢٥٥ و ٢٩٢ وج ٣٩ ص ٣٢٥ وج ٧٢ ص ٤٢١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٥٨١ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٨٦ ودراسات في نهج البلاغة للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ١٧٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج ٥ ص ٢٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٥٤ وتفسير ابن عربي ج ٢ ص ٣٤٥ وينايع المودة للقندوزي الحنفي ج ١ ص ٢٠٥.

«صلى الله عليه وآله»، واستذلالهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال رجل من القوم: أصلحك الله، فأين كان عز بني هاشم وما كانوا فيه من العدد؟! فقال أبو جعفر «عليه السلام»: ومن كان بقي من بني هاشم؟ إنما كان جعفر وحمزة فمضيا، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان، حديثا عهد بالإسلام: عباس، وعقيل. وكانا من الطلقاء.

أما والله، لو أن حمزة وجعفرًا كانا بحضرتهم، ما وصلا إلى ما وصلا إليه، ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما»^(١).

وقد وصف السيد الخوئي «رحمه الله» سند هذه الرواية بالصحة^(٢).

ووصفه العلامة المجلسي بالحسن، ولكنه فسر كلمة: «كانا من الطلقاء» - تبعاً للمازندراني - بقوله: أي أطلقهما النبي «صلى الله عليه وآله» في غزاة بدر، بعد أسرهما، وأخذ الفداء منهما^(٣).

وهذا الكلام خلاف الظاهر: فإن كلمة «الطلاق» اصطلاح خاص، منتزع من كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأهل مكة يوم الفتح: «اذهبوا فأنتم

(١) الكافي (مطبعة النجف سنة ١٣٨٥ هـ) ج ٨ ص ١٦٥ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص ١٨٩ الحديث رقم ٢١٦ والبحار ج ٢٨ ص ٢٥١ ومعجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٢٥٢ ومجمع النورين للمرندي ص ٨٩ وبيت الأحرار ص ١٢٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج ٣ ص ٦٥ وعقيل بن أبي طالب للأحمدي الميانجي ص ٧٨.

(٢) معجم رجال الحديث ج ٩ ص ٢٣٥.

(٣) مرآة العقول ج ٢٦ ص ٨٣ و ٨٤ وراجع: شرح الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج ١٢ ص ٢٣٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص ٢٤٧.

الطلاق». وهو مؤيد بشواهد أخرى تدل على أن العباس لم يهاجر.
فإن إسلام العباس وعقيل في بدر فلا مجال لإثباته، فيبقى في دائرة
الظنون والحدسيات، فراجع ما ذكرناه في غزوة بدر وغيرها.

الهجرة لم تنقطع:

قد ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لا هجرة بعد
الفتح.

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» استثنى نعيم بن مسعود من
هذا الإطلاق.

ولكن ذلك غير صحيح: فإن الهجرة باقية إلى يوم القيامة، كما نص
عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد روي أنه قال في خطبة له:
«والهجرة قائمة على حدها الأول. ما كان لله في أهل الأرض حاجة من
مستسرّ الأمة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في
الأرض، فمن عرفها وأقر بها فهو مهاجر
ولا يقع اسم الإستضعاف على من بلغته الحجة، فسمعتها أذنه،
ووعاها قلبه، إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا عبد امتحن الله قلبه
للإيمان، ولا تعي حديثنا إلا صدور أمينة، وأحلام رزينة...»^(١).
فهذا النص يدل على أنه «عليه السلام» يريد أن ينفي ما يزعمونه من

(١) نهج البلاغة (شرح عبده) ج ٢ ص ١٢٨ الخطبة رقم ١٨٩ والبحار ج ٦٦
ص ٢٢٧ والإيجاز والإعجاز للثعالبي ص ٣٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣
ص ١٠١ وينابيع المودة ج ٣ ص ٤٥٢.

انتفاء الهجرة، وهو الزعم الذي أيده بما نسبوه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا هجرة بعد الفتح.

وقد قرر «عليه السلام»: أن الهجرة باقية لم تنقطع..

وأما ما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعاوية: من أن الهجرة قد انقطعت يوم أسر أخوه، فيمكن أن يكون «عليه السلام» قد أورده وفق مزاعم معاوية وأضرابه، من أن الهجرة قد انقطعت بفتح مكة.

هذا، وقد وقع الملتزمون بأنه لا هجرة بعد الفتح في حيص بيص في توجيه كلام علي «عليه السلام» هذا. ويظهر ذلك جلياً مما نقله العلامة المجلسي عن ابن الأثير وابن أبي الحديد المعتزلي وغيرهما، فقد قال في شرحه للكلام السابق ما ملخصه:

أصل الهجرة المأمور بها الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام.

وقال في النهاية فيه: لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية.

وفي حديث آخر: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة.

والهجرة هجرتان:

إحداهما: التي وعد الله عليها الجنة في قوله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ} ^(١)، فكان الرجل يأتي النبي «صلى الله عليه وآله» ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجرة.

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فمن ثم قال: «لكن البائس سعد بن خولة»، يرثي له أن مات بمكة.

(١) الآية ١١ من سورة التوبة.

وقال حين قدم مكة: «اللهم لا تجعل منايانا بها»، فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة، وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر. وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، وهو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». فهذا وجه الجمع بين الحديثين.

وإذا أُطلق في الحديث ذكر الهجرتين، فإنما يراد بهما: هجرة الحبشة، وهجرة المدينة، انتهى كلام ابن الأثير.

وقال ابن أبي الحديد: هذا كلام من أسرار الوصية يختص به علي «عليه السلام»، لأن الناس يروون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «لا هجرة بعد الفتح»، فشفع^(١) عمه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه، فاستثناه.

وهذه الهجرة التي أشار إليها أمير المؤمنين «عليه السلام» ليست تلك، بل هي الهجرة إلى الإمام.

وقال بعض الأصحاب: تجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الإسلام مع المكنة. ويستحب للقادر على إظهارها، تحرراً عن تكثير سواد المشركين.

والمراد بها: الأمور التي تختص بالإسلام، كالأذان والإقامة، وصوم شهر رمضان، وغير ذلك.

(١) أي قَبِلَ «صلى الله عليه وآله» شفاعته عمه.

وأحق بعضهم ببلاد الشرك بلاد الخلاف التي لا يتمكن فيها المؤمن من إقامة شعائر الإيمان مع الإمكان.

ولو تعذرت الهجرة لمرض أو عدم نفقة أو غير ذلك فلا حرج، لقوله تعالى: {إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} (١).

إلى أن قال: «لا يقع اسم الهجرة الخ..». أي يشترط في صدق الهجرة معرفة الإمام والإقرار به.

والمراد بقوله: «فمن عرفها الخ..»، أنه مهاجر بشرط الخروج إلى الإمام، والسفر إليه، أو المراد بالمعرفة: المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان. ويحتمل أن يكون المراد: أن مجرد معرفة الإمام والإقرار بوجوب اتباعه كاف في إطلاق اسم الهجرة، كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام. ويدل عليه: بعض أخبارنا، فمعرفة الإمام والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول «صلى الله عليه وآله».

وقال بعض الأصحاب: الهجرة في زمان الغيبة سكنى الأمصار، لأنها تقابل البادية مسكن الأعراب، والأمصار أقرب إلى تحصيل الكمالات من القرى والبوادي، فإن الغالب على أهلها الجفاء والغلظة، والبعد عن العلوم والكمالات، كما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «أن الجفاء والقسوة

(١) الآيتان ٩٨ و ٩٩ من سورة النساء.

في (الفدادين)^(١)»^(٢).

وقيل: هي الخروج إلى طلب العلوم، فيعم الخروج عن القرى والبادي،
والخروج عن بلد لا يمكن فيه طلب العلم^(٣).

وفي جميع الأحوال نقول:

إن هذه التأويلات والتقسيمات تبرعية، ليس لها مبرر سوى أنهم
يعتقدون بصحة حديث: لا هجرة بعد الفتح.

ولكن ما ورد في خطبة أمير المؤمنين «عليه السلام» يضع علامة
استفهام كبيرة حول صحة هذه الكلمة المنسوبة إلى النبي «صلى الله عليه
 وآله».

مع ملاحظة: أن المطلوب كان هو الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد
الإيمان، حفظاً لإيمان الناس، ولا مبرر للطلب من الناس الهجرة من بلاد
الإيمان إلى بلاد أخرى حتى لو كانت من بلاد الإيمان أيضاً..

(١) الفدادون: الجمالون، والرعيان، والبقارون، والحمارون، والفلاحون، وأصحاب
الوبر، والذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، والمكثرون من الإبل.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٧٠ والبحار ج ٢٢ ص ١٣٦ وج ٥٧ ص ٢٣٢ وج ٦٦ ص ٢٣١ وعمدة
القاري ج ١٥ ص ١٩١ وتخرّيج الأحاديث الآثار للزيلعي ج ٢ ص ٩٤ والذكرى
للشهيد الأول ج ٤ ص ٤١٧ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٩٤ وغريب الحديث ج ١
ص ٢٠٢ وتفسير النسفي ج ٢ ص ١٠٥ وروض الجنان للشهيد الثاني (ط) ص ٣١٢
ومسالك الأفهام ج ١ ص ٣١٦ عن: غريب الحديث للهروي ج ١ ص ١٢٥ والصحاح
ج ٢ ص ٥١٨ والنهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٤١٩.

(٣) البحار ج ٦٦ ص ٢٢٩ - ٢٣١.

الطلاق ليسوا من الصحابة:

وقد يقال: إن حديث: لا هجرة بعد الفتح ثابت بدليل: أنه حلف رجل بخراسان بالطلاق إن كان معاوية من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأفتى الفقهاء بطلاقها.

فسئل الرضا «عليه السلام» عن ذلك، فأفتى: أنها لا تطلق.
فكتب الفقهاء رقعة أنفذوها إليه، يسألونه عن ذلك، فوقع في رقعتهم: قلت: هذا من روايتكم، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لمسلمة الفتح، وقد كثروا عليه: أنتم خير، وأصحابي خير، ولا هجرة بعد الفتح^(١).

فأبطل الهجرة ولم يجعل هؤلاء أصحاباً له، فرجعوا إلى قوله^(٢).
فحكم الإمام الرضا «عليه السلام» بعدم صحة الطلاق استناداً إلى هذا الحديث، يدل على ثبوته، فلا معنى للتشكيك به أو إنكاره.
غير أننا نقول:

إننا لا نريد أن نتكلم في سند هذا الحديث نقضاً وإبراماً، إذ يكفينا القول: بأن حكم الإمام الرضا «عليه السلام» لا يدل على صحة حديث

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩٣ والبحار ج ١٩ ص ٨٩ وج ٣٣ ص ١٦٧ وج ١٠١ ص ١٥٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٥٦٩ وإحقيق الحق (الأصل) ص ٢٥٦ وراجع: مسند أبي داود الطيالسي ص ٨٤ و ١٣٠ و ٢٩٣ وكنز العمال ج ٢ ص ٥٦٠ والدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٦ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ٢٥٧.

(٢) البحار ج ١٩ ص ٩٠ وج ٣٣ ص ١٦٧ و ١٠١ ص ١٥٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٥٦٩ وعيون أخبار الرضا (ط مؤسسة الأعلمي سنة ١٤٠٤ هـ) ج ١ ص ٩٣ و ٩٤.

انقطاع الهجرة بالفتح، لأنه جارٍ على قاعدة: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم. ويشير إلى ذلك قوله «عليه السلام»: «قلت: هذا من روايتكم عن أبي سعيد الخ..»، فإن هذا القول لو كان ثابتاً عنده وعندهم، لكان الأولى أن يقول: «قلت: هذا من الحديث الثابت عن رسول الله».

وأما حكم الإمام «عليه السلام»: بأن معاوية ليس من الصحابة، فيتلخص في أن كلام النبي «صلى الله عليه وآله» قد تضمن جعل مسلمة الفتح في مقابل أصحابه، فدل ذلك على أنهم ليسوا منهم، وقد كان معاوية من مسلمة الفتح، فهو إذن ليس من أصحابه «صلى الله عليه وآله».

العباس يتلقى رسول الله :

وبعد.. فإننا كما نشكك بقوة في ان يكون العباس قد خرج مهاجراً، لوجود الرواية الصحيحة سنداً، والمصرحة بكونه من الطلقاء، بالإضافة إلى قرائن أخرى، فإننا نشك أيضاً: في دقة التعبير الذي ورد في نصوص أخرى، من أنه خرج يتلقى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وسبب شكنا في ذلك هو الأمور التالية:

١ - إن العباس لم يكن يعلم بقدوم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، بل إن الجيش القادم نفسه لم يكن يعلم بحقيقة مقصد رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد أوضحنا ذلك أكثر من مرة.

٢ - إن الاختلاف في المكان الذي التقى فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤكد شكنا في نوايا الرواة لهذا الأمر..

٣ - إن تلك الرواية الصحيحة السند التي اعتبرته من الطلقاء، تؤكد

على أنه إنما أسلم تحت وطأة الخوف من هذا الجيش القادم، ولم يسلم طوعاً، ومن يكون من الطلقاء لا يخرج لتلقي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فالظاهر هو: أنه قد جرى للعباس مثلما جرى لأبي سفيان وبديل بن ورقاء وغيرهما. أي أنه إنما خرج يتنسم الأخبار.. فأبعد عن مكة أكثر من أبي سفيان، فواجه الجيش العظيم القادم، فاضطر إلى الاستسلام، وإظهار الإسلام، ثم عاد مع ذلك الجيش إلى مكة، ولقي أبا سفيان ومن معه في الطريق، وكان ما كان مما سيأتي بيانه إن شاء الله.

أين لقي العباس رسول الله ؟!'

وقد ذكرت النصوص المتقدمة مواضع مختلفة ادّعت أن العباس لقي النبي «صلى الله عليه وآله» فيها.

ففي بعضها: أنه لقيه بالأبواء..

وفي بعضها: أنه لقيه بالجحفة.

وقيل: بذي الحليفة.

وقيل: بالسقيا.

وقيل: بثنية العقاب.

والأبواء بالنسبة للآتي من المدينة إلى مكة تقع قبل الجحفة مما يلي الجحفة بثلاثة وعشرين ميلاً^(١). فتكون على بعد خمسة أيام من المدينة.

والجحفة تقع على أربع مراحل ونصف من جهة مكة، وتبعد خمس

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٧٩ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١١١٨ ومراصد الإطلاع ج ١ ص ١٩ وفتح الباري ج ٤ ص ٢٨ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٦٠.

مراحل وثلثي مرحلة من المدينة (أو ست مراحل)^(١).
وذو الحليفة يبعد عن المدينة ستة أميال أو سبعة^(٢).
وأما السقيا، فهي على نحو أربعة أيام من المدينة، وهي بالنسبة للآتي
من المدينة إلى مكة، قبل الأبواء بأحد عشر ميلاً^(٣).
أما ذكر ثنية العقاب فهو غلط، لأن ثنية العقاب قرب غوطة دمشق^(٤)
وليست بين مكة والمدينة.

وبعدما تقدم نقول:

لا بد من تحديد الموضع الذي التقى فيه النبي «صلى الله عليه وآله»
بالعباس، وبأبي سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية إذ لا يمكن أن
يلتقي به في جميع هذه المواضع المتباعدة عن بعضها البعض بما قد يصل إلى
عشرات الأميال.

-
- (١) راجع: معجم البلدان ج ٣ ص ٦٢ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ١١١
ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٤ وراجع: مراصد الإطلاع ج ١ ص ٣١٥. راجع:
مراصد الإطلاع ج ١ ص ٣١٥.
- (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٥ و ٣٢٥ وج ٥ ص ١٥٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٦
ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٩٣ ومراصد الإطلاع ج ١ ص ٤٢٠ وموسوعة التاريخ
الإسلامي ج ٢ ص ١٥٤ والقاموس المحيط ج ٣ ص ١٢٩ وتاج العروس ج ١٢ ص ١٤٨.
- (٣) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ١٣٥ وفي معجم ما
استعجم ج ٣ ص ٩٥٤ من السقيا إلى الأبواء تسعة عشر ميلاً.
- (٤) مراصد الإطلاع ج ١ ص ٣٠١ وراجع: معجم البلدان ج ٢ ص ٨٥ وج ٣ ص ٢١
وج ٤ ص ١٣٣.

تناقض واختلاف الروايات:

إننا نلمح اختلافاً وتناقضاً في قصة عبد الله بن أبي أمية، وأبي سفيان بن الحارث.

وهذا يشير إلى: أن ثمة تصرفاً، بل تعمداً للكذب في النصوص، باستثناء واحدة من الروايات، قد يمكن للباحث تحديدها، وقد لا يمكن.. وعلى سبيل المثال لا الحصر نقول: هناك رواية تقول: إن العباس قد كلم النبي «صلى الله عليه وآله» بشأن عبد الله بن أمية، وأبي سفيان بن الحارث..

لكن رواية أخرى تصرح: بأن العباس رفض أن يكلم النبي «صلى الله عليه وآله» بشأن ابن أبي أمية، رغم أن ابن أبي أمية قد طلب من العباس ذلك..

وهناك رواية تقول: إنه لما كلمت أم سلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل منها ورضي عنه، ودعاه وقبل توبته.. لكن رواية أخرى تقول: إنه لم يرض عنه، ولم يقبل منه، رغم ملازمته له، إلى أن جرى ما جرى في حرب حنين.

النبي ' لا يرد السلام ولا يقبل التوبة:

ومن الأمور التي تثير أكثر من سؤال: ما زعمته بعض الروايات المتقدمة، من أن عبد الله بن أبي أمية سلم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يرد عليه السلام، وأعرض عنه، ولم يجبه بشيء.. كما أنها صرحت: بأنهم أخبروه بأنه قد جاء تائباً. ولكنه «صلى الله عليه

وآله» أعرض عنه، وخشي عبد الله أن يقتل، فشكى ذلك إلى أخته أم سلمة..

ونقول:

١ - إننا نشك في صحة ذلك، إذ لم نعهد من أخلاق الرسول الكريم «صلى الله عليه وآله» أن يسلم عليه أحد، ثم لا يجيبه.

كيف، وقد أنزل الله تعالى في كتابه الكريم: {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا..}؟!^(١).

٢ - إن نفس مجيء هؤلاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مستسلمين، تائبين - كما صرحت به الرواية - ملتجئين منه أن يقبلهم يجعلهم مصداقاً لقوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغْنَمٌ كَثِيرَةٌ..}!^(٢).

٣ - إن المفروض: كما صرح به العباس وأم سلمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن هذا المذنب قد جاء تائباً.. ولا نجد مبرراً لعدم قبول توبته.. وقد قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ..}!^(٣). وأصرح من ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ

(١) الآية ٨٦ من سورة النساء.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٩٤ من سورة النساء.

الله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا..^(١).

وهؤلاء قد ظلموا أنفسهم، وقد جاءوا النبي «صلى الله عليه وآله» تائبين مستغفرين.. فلماذا يعرض عنهم، ويرفض إجابة طلبهم، وقبول توبتهم؟!؟

فكيف إذا أخذنا بالرواية التي أكدت على إصرار عبد الله بن أبي أمية على الفوز برضى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستمر ملازماً للنبي «صلى الله عليه وآله» ملتمساً رضاه إلى أن صار إلى حنين، وخاض تلك الحرب، وواجه الأهوال فيها^(٢).

وماذا نصنع بالكثير الكثير من الآيات والروايات الشريفة التي تأمر بالعفو، وتبشر الناس بقبول توبة التائبين..

إلا أن يدعى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد أن يظهر صدق ذلك الرجل فيما يدعيه من التوبة، ليقطع دابر الإشاعات المغرضة التي ربما تثار حول سبب العفو، وأنه هو القرابة التي كانت لابن الحارث أو لابن أبي أمية، وأنها إنما قبلت منهما لأنها كانت توبة نصوحاً، لا لأجل القرابة. ولكن لو صحت هذه الدعوى لكان يجب أن يعامل العباس بنفس هذه المعاملة، ليثبت أن قبوله لا لأجل قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(١) الآية ٦٤ من سورة النساء.

(٢) راجع: الإستيعاب ج ٣ ص ٨٦٨ والإصابة ج ٤ ص ١٠ - ١٢ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٤ ص ٤٤٦ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٧ وج ٢٠ ص ٢١٦ وج ٢٢ ص ٤٣ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ١٣٤ .

وأما بالنسبة للسؤال عن كيفية وصول الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم إليه، فيجيب: بأن طرق الوقاية من الأذى متيسرة لهم، ويكفي أن يحتمي بأحد المسلمين، ويأتي معه، كما فعل عثمان بالنسبة لعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

تالله لقد أترك الله علينا:

وحينما كلم العباس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بشأن أبي سفيان بن الحارث وابن أبي أمية قد ركز على أن هذا ابن عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وذلك ابن عمته.. ظناً منه أن القربى النسبية وحدها تكفي للتجاوز عن ذنب ذينك الرجلين..

ولكن الحقيقة هي: أن الإساءة تختلف في طبيعتها وفي أحكامها. فإن كانت إساءة للشخص، كان للصفح عنها، ولمراعاة القربى الرحمة فيها مجال، بل لا مجال لسوى ذلك من نبي كريم لم يزل يحث الناس على صلة القربى، والصفح عن المسيئين..

وإن كانت الإساءة منهما للدين، وللأمة، وتمثل جرأة عظيمة على الله تبارك وتعالى، فلا يحق لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يصفح عن مرتكب ذلك، إذا لم يكن الندم والتوبة من نفس هذا الذنب العظيم.. ولم يظهر من أولئك التائبين ولا من الطالبين للصفح عنهم، أن هذا هو ما جاؤوا من أجله.

بل الذي ظهر هو: أنهم يريدون استجلاب رضى شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بهدف إصلاح العلاقة معه كشخص، من أجل حفظ

نفوسهم ومصالحهم، وبغض النظر عن أي شيء آخر.
فجاء الرفض النبوي لقبولهما، منسجماً مع طبيعة ذنبهما، وموجهاً
لحقيقة ما يطلب منهما، حيث لم يظهر منهما ما يدل على الرغبة في إصلاح
علاقتهما بالله سبحانه، والإعتراف بخطأهما في ممارساتهما التي كانت تهدف
إلى إضعاف دين الله، وزعزعة يقين الناس بهذا الدين.

وقد أشار النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذه الحقيقة حين أعلن عن
سبب موقفه منهما، وهو: أن أحدهما قد هتك عرضه، لأنه كان يهجو،
ويظهر الإستهانة به، ويصغر من شأنه كشخص، توصلًا لإسقاط هيئته،
وإضعاف دعوته وتكذيب نبوته.

كما أن الآخر قد اقترح عليه اقتراحات تهدف هي الأخرى إلى تكذيبه
في نبوته، من حيث إنها تدخل الشبهة على الضعفاء، وتجعلهم يصدقون
المقولة الباطلة في لزوم كون النبي «صلى الله عليه وآله» من غير البشر.
أي أنه يريد أن يفهم الناس: أن من يرقى إلى السماء، ويفعل تلك
الخوارق لا يمكن أن يكون بشراً..

وعلى هذا الأساس: إن استجاب النبي «صلى الله عليه وآله» لتلك
المطالب، فإما أن يكون ليس من جنس البشر، أو يكون ساحراً كذاباً،
والعياذ بالله.. وإن لم يستجب لها ظهر أنه ليس صادقاً في ادّعائه النبوة.
مع أنه لو جاء بكتاب يقرؤونه ونحو ذلك لفتح لهم باب الجدل
بالباطل والتكذيب والالتمام على مصراعيه..

وبذلك تكون الشبهة قد دخلت على الناس في جميع الأحوال.. وهذه
جريمة كبرى، وجرأة عظيمة على الله سبحانه وتعالى وعلى رسوله، وعلى دينه..

ولذلك جاءه الرد الإلهي، ليؤكد بشرية الرسول «صلى الله عليه وآله»: {..قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} ^(١).

مع العلم: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد فعل من المعجزات ما يكفي لإسقاط جميع هذه المطالب، فقد عُرج به إلى السماء، وأثبت لهم صدق ذلك بما أخبرهم به من أمور حصلت لقافلتهم.. وقد نبع لهم الماء من بين أصابعه، كما أنه قد جاءهم بكتاب قد عجزوا عن مجاراته، وعن الإتيان بسورة من مثله، ولو بمقدار سورة الكوثر..

وقد ظهر بذلك كله: أن ذنب عبد الله بن أبي أمية كان عظيماً في حق الدين والرسالة، وكان جرأة على الله تبارك وتعالى، وليس أمراً شخصياً ليصح الصفح عنه لمجرد القرابة والرحم..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استجاب وأنعم بالرضا حين عملوا بمشورة علي «عليه السلام»، بأن يقولوا للنبي «صلى الله عليه وآله» ما قاله إخوة يوسف «عليه السلام»: {تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ} ^(٢).

وذلك لأن هذه المبادرة تعني أمرين:

أحدهما: الاعتراف بالخطأ في اختيار الخط والنهج الذي كانوا عليه، لا الخطأ في الممارسة الجزئية تجاه شخص بعينه، وقد ظهر هذا من خلال ربط هذا الخطأ - على سبيل المقابلة - بالفقرة الأولى المتضمنة لبعثة الله تعالى له

(١) الآية ٩٣ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٩١ من سورة يوسف.

بالنبوة، والإعتراف بصدقه «صلى الله عليه وآله». ..
الثاني: الإقرار بنبوته «صلى الله عليه وآله»، وأنه سبحانه هو الذي أرسله، وآثره بهذا الأمر دون سائر البشر..
وهذا هو الذي يصلح ما أفسدوه، ويبطل كيدهم، ويكسر شوكتهم، وتكون كلمة الباطل هي السفلى، وكلمة الله هي العليا..

ومن أحسن قولاً من الله:

وبعد.. فقد قال الله تعالى: {وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ^(١).
وقال عز وجل: {وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} ^(٢).
فالتوجيه الإلهي للناس كلهم يقضي بإلزامهم باختيار الأحسن من القول والفعل، وهذا يحتّم عليهم معرفة الأمور، والتمييز بين حسنها وقبيحها، ثم الوقوف على الحسن والأحسن منها.
والنبي «صلى الله عليه وآله» هو أولى الناس بالالتزام بالتوجيه الإلهي، بحيث لا يرضى إلا أن يختار أحسن القول، وأحسن الفعل؛ ليكون ذلك هو طبيعته وسجيته، وهو الذي يفيد في رسم أجمل صورة للحياة، ويعطيها معناها اللائق بها، الذي أراده الله تعالى لها.
وقد كان علي «عليه السلام» يريد أن يعرف الناس على هذه الحقيقة، ولا سيما من كان يجحد ويعاند..

(١) الآية ٥٣ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٧٧ من سورة القصص.

هناك وهنات في رواية الواقدي:

وقد نلّمح في رواية الواقدي العديد من القرائن التي تضعف من درجة الإعتماد عليها، فإضافة إلى ما تقدم من شكنا في صحة ما ورد فيها، من عدم جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لابن أبي أمية حينما سلم عليه نشير إلى الأمور التالية:

ألف: اعتراض أم سلمة:

إن من دلائل وضع الرواية المشار إليها: أنها تضمنت اعتراض أم سلمة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بشمول قاعدة: الإسلام يجب ما قبله لهذه الموارد. ثم تسليمه «صلى الله عليه وآله» بصحة اعتراضها. إذ لا يمكن أن يغفل النبي «صلى الله عليه وآله» عن قرار أو حكم إلهي ثابت، فكيف إذا كان هو الذي جاء بتشريعه، وصدر عنه مباشرة، ثم تذكّره به امرأة، أو تكون هي المرشدة له في تطبيقه الصحيح!!

ويزيد في بشاعة هذا الأمر أن هذا الحكم أو القرار له ارتباط بنحو أو بآخر بحقوق الناس، وبمصائرهم، أو بكراماتهم ومواقعهم في الدنيا والآخرة.

إذ من البديهي: أن خطأه «صلى الله عليه وآله» أو غفلته، ينافيان عصمته، ويضعان نبوته وأهليته لها أمام ألف سؤال وسؤال.

ب: أبو سفيان بن الحارث، والإسلام:

ولا نجد حرجاً في تقرير أن لدينا بعض الريب فيما ذكرته الرواية: من

أن الله ألقى الإسلام في قلب أبي سفيان بن الحارث..

فإنه هو نفسه يتابع الحديث ليدل على أن خروجه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن رغبة منه بالإسلام، بل كان خوفاً من القتل بعد أن أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، وقد ضاقت عليه الدنيا، ولم يعد يجد أحداً يصحبه، أو يكون معه بعد أن ضرب الإسلام بجرانه.

ج: علم ابن الحارث بقدوم رسول الله :

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أن أبا سفيان بن الحارث قال لزوجته وولده: تهيأوا للخروج، فقد أظلم قدوم محمد عليكم.. ونحن نشك كثيراً في صحة ذلك، فإن أحداً من أهل مكة لم يكن يعلم بقدوم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل من أهل المدينة أنفسهم، حتى ذلك الجيش العرمم الذي كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف مقصد النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى بلغ مشارف مكة، حسبما أوضحناه فيما سبق، فمن أين علم أبو سفيان بن الحارث بقدومه «صلى الله عليه وآله» ليخبر زوجته وولده بذلك؟!

ولعل الصحيح هو: أن هذا الرجل كان يعيش حالة من الرعب، بسبب هدر دمه من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكان يتوقع القتل عند رؤية أي إنسان يحتمل أن يكون من المسلمين.

وقد صرحت الرواية: بأنه قد أظهر خوفه من القتل مرات عديدة، فخرج يطلب الأمان لنفسه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، متوسلاً إليه بقرابته منه، ظناً منه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتأثر بذلك،

حتى على حساب دينه، وإسلامه، فالتقى برسول الله «صلى الله عليه وآله»،
وجرى له معه ما تذكره الروايات التي تقدمت.

د: هل سيفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟!

وقد زعمت الرواية: أن أبا سفيان بن الحارث يقول: إنه كان على يقين
بأن المسلمين سيفرحون بإسلامه فرحاً شديداً، لقربته من النبي «صلى الله
عليه وآله».. وأنه كان يرجو أن يفرح رسول الله «صلى الله عليه وآله»
بإسلامه لقربته وشرفه..

ونقول:

إنه سواء أكان هذا الكلام صحيحاً، أو كان راويه قد افتراه كله أو
بعضه، فإنه يعبر عن طبيعة تفكير قائله، وعن المفاهيم والانطباعات التي
يعيشها في نفسه.. حتى إنه ليظن أن ما يفرح النبي «صلى الله عليه وآله»
والمسلمين بإسلام أبي سفيان بن الحارث هو مجرد قرابته منه «صلى الله عليه
وآله»، وشرفه في قومه، وليس هو نجاة هذا الرجل من غضب الله تعالى،
وخروجه من ذل معصيته إلى عز طاعته جل وعلا..

إنه يفكر كما يفكر الجاهلون، وينطلق من معاييرهم ومفاهيمهم، مع
أن الإسلام لم يقم وزناً لقربة أبي لهب، ولا لشرفه في قومه، وأنزل فيه سورة
قرآنية خالدة تذكر الناس بخزيه إلى يوم القيامة..

ولسنا بحاجة إلى التذكير بما ورد في القرآن عن ابن نوح، وعن زوجتي
نوح ولوط..

هـ: بطولات أبي سفيان بن الحارث في حنين:

وأما فيما يرتبط ببطولات أبي سفيان بن الحارث التي يدّعيها لنفسه في معركة حنين، فسيأتي في حينه أنها لا يمكن أن تصح، وسنرى أن الناس كلهم قد فروا في تلك الغزوة باستثناء علي «عليه السلام»..
فلا حاجة لاستباق الأمور.. لكننا نقول:

إنه يكفي للحكم على هذه الرواية بالكذب والوضع: أنها تدّعي أن أبا سفيان بن الحارث قد طرد جيش الأعداء في حنين قدر فرسخ، وتفرقوا في كل وجه..

و: يا للأنصار! يا للخزرج!!:

ومن أمارات سوء النوايا في هذه الرواية أيضاً: أنها تزعم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر العباس بأن ينادي: يا للمهاجرين! يا للأنصار! يا للخزرج! فأجابوا..

فإن الاختصار على ذكر الخزرج من فئة الأنصار، وعدم نداء الأوس مما لا يمكن قبوله من النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، لأن هذا الأمر من شأنه أن يُجِدِّث أسوأ الأثر في نفوس وفي مواقف قبيلة الأوس، التي كانت قبل مجيء النبي «صلى الله عليه وآله» تتصاول مع الخزرج تصاول الفحلين، على حد تعبير النصوص التاريخية..

ز: سؤال النبي ' عن أبي سفيان بن الحارث:

وذكرت الرواية المتقدمة أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» لما رأى أبا سفيان مجرداً سيفه في حنين وقد أخذ بلجام بغلة النبي «صلى الله عليه وآله»

قال لعمه العباس: من هذا؟!

قال أبو سفيان: فذهبت أكشف المغفر.

فقال العباس: أخوك، وابن عمك، أبو سفيان بن الحارث، فارض عنه، أي رسول الله!!
قال: قد فعلت.

فإن من غير المعقول أن لا يعرفه النبي «صلى الله عليه وآله» ويعرفه العباس، مع أنه كان من رفقاء الصبا، كما أنه لم يزل منذ لقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأبواء يتعرض له، يلزمه، ويسعى لاسترضائه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرض عنه كما صرح أبو سفيان نفسه في الرواية المشار إليها..

عمر يغري بأبي سفيان بن الحارث:

وقد ذكرت تلك الرواية: أن عمر بن الخطاب قد أغرى أنصارياً بقتل أبي سفيان بن الحارث..

والسؤال هو: إن هذا الإغراء قد يحصل وفق سياق رواية الواقدي، التي هي موضع البحث، وقد يحصل أيضاً وفق سياق باقي الروايات، وفي جميع الأحوال نقول:

لماذا يغري عمر بخصوص أبي سفيان بن الحارث ابن عم النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا يغري بعبد الله بن أبي أمية الذي أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه، أو بحكيم بن حزام، أو ببديل بن ورقاء؟ ألم يكن أبو سفيان من أقارب النبي «صلى الله عليه وآله» كما كان العباس من أقاربه؟

..... :

وقد صرح عمر: بأن إسلام العباس كان أحب إليه من إسلام الخطاب التماساً لرضا الرسول «صلى الله عليه وآله». بل لماذا يغري الآخرين بقتل ابن الحارث؟ ألم يكن الأجدر به أن يبادر هو إلى فعل ما يغري به غيره؟! فيقوم بقتل أبي سفيان بنفسه، إذا كان يرى صحة قتله بدون مراجعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك!!

ثم لماذا يغري بقتله رجلاً من الأنصار، ويترك جميع المهاجرين؟! هل يمكن أن يُفهم من ذلك: أن عمر يريد إلقاء فتنة بين قريش وبني هاشم، وأهل مكة وبين أهل المدينة؟! وبين العدنانيين والقحطانيين، وبين بني هاشم بالخصوص وبين سائر الناس؟! ثم ألا يذكرنا إغراؤه الأنصار بقتل رجل من بني هاشم بالسعي الذي كان هو نفسه قد بذله يوم بدر لقتل عقيـل والعباس الهاشميين بيد بني هاشم أنفسهم؟! وألا يؤكد ذلك صحة اتهامهم له في نواياه وأنه لو كان الأسير من بني عدي لم يطلب هذا الطلب؟!!

.....

:

الفصل الثامن:

أبو سفيان في أيدي المسلمين

زعماء يربأ بهم النبي ' عن الشرك:

عن عطاء قال: لا أحسبه إلا رفعه إلى ابن عباس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة قربته من مكة في غزوة الفتح: «إن بمكة لأربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام».

قيل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: «عتاب بن أسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن

عمرو»^(١).

ونقول:

١ - قد ذكر بعضهم: أن جبير بن مطعم أسلم بعد الحديبية، وقبل الفتح. مع أن هذه الرواية تشير إلى أن حاله حال الثلاثة المذكورين معه. وقالوا: أسلم بين الحديبية والفتح^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٩ عن ابن عساكر، وتاريخ مدينة دمشق ج ١٥

ص ١٠٦ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٤ ص ٤١٩ وتهذيب الكمال ج ٧ ص ١٨٢

وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٤٨ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٩٥ والسيرة الحلبية ج ٣

ص ٧٩ وكنز العمال ج ١١ ص ٧٥٩ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٧١.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٩ و (ط دار المعرفة) ص ١٨ وج ٢ ص ٦٢.

وقيل: في الفتح^(١).

وقيل: عام خير^(٢). ولا يهمننا تحقيق ذلك.

٢ - إن علينا الإشارة هنا إلى أن إطلاق هذا القول من رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه إغراء لهؤلاء بالتخلي عن العناد والجحود. أو هو على الأقل يضعف عزائمهم في ذلك، ويلوح لهم بأن الجسور مفتوحة، ويمكنهم العبور إلى شاطئ الأمان، في ظل الرعاية الإلهية، ليكون أقل شراسة وحماسة في مقاومة هذا الدين، ويهيئ السبيل بذلك للتخفيف من حدة الضغوط منهم على من يرتبط بهم من أقارب، وحلفاء، وما إلى ذلك..

٣ - لكن علينا أن لا ننسى: أن هذا القول يشير إلى رذالة أخلاقية كان هؤلاء الأربعة يمارسونها، فإنهم رغم رجاحة عقولهم، التي تجعل من اعتناقهم للشرك، ومحاربتهم للحق ولأهله طيلة هذه السنين أمراً غير منطقي، ولا مستساغ، خصوصاً مع ما يرونه من التأييدات والألطفات الإلهية والمعجزات، بل إن ذلك يجعل عملهم هذا في غاية القبح، ويشير إلى

(١) راجع: الإصابة ج ١ ص ٢٢٦ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٢٣٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٢ وج ٣ ص ١٨ والمحل ج ١ ص ٦٢ وعمدة القاري ج ١٠ ص ٣ وج ١٤ ص ٢٩٥ والتمهيد لابن عبد البر ج ٩ ص ١٤٧ وخلاصة تهذيب الكمال ص ٦٠ وإسعاف المبطل ص ٢٣ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٨٥ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص ٥٢ والوافي بالوفيات ج ١١ ص ٤٤ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٦٧.

(٢) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ١ ص ٢٣٠ والتمهيد لابن عبد البر ج ٩ ص ١٤٧ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٦٧.

.....
:
سقوطهم المخزي والمشين في حمأة الشهوات، ويؤكد لجوءهم إلى الجحود
عن علم ومعرفة بالحق وبأهله.

منام أبي بكر:

عن ابن شهاب: إن أبا بكر قال: يا رسول الله!! أراني في المنام وأراك
دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهراً، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها،
فإذا هي تشخب لبناً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ذهب كلبهم، وأقبل دُرهم،
وهم سائلوكم (بأرحامكم) بأرحامهم، وإنكم لاقون بعضهم، فإن لقيتم
أبا سفيان فلا تقتلوه»^(١).

ولا ندري إن كان هذا القول من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد
أريد به تعبير منام أبي بكر.

أم أنه جاء على سبيل التفاؤل بذهاب الكلب، وإقبال الدر؟!
أم أنه «صلى الله عليه وآله» قد أجرى كلامه على هذا النحو ليسجل
إخباراً غيبياً صادراً عن مقام النبوة الأقدس، ليكون ذلك من دلائل
نبوته؟!

وربما يؤيد هذا المعنى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد عقب ذلك بالإخبار

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٤ عن البيهقي، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٢
وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٤٢ ومنتخب الكلام في تفسير الأحلام لابن
سيرين ج ١ ص ٣٨٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٨ وإمتاع الأسماع ج ١
ص ٣٥٧.

عن وقائع غيبية سوف تحصل، وهو قوله: «وهم سائلوكم بأرحامهم. وإنكم لا قون بعضهم»، مصرحاً باسم أبي سفيان من بين سائرهم، ثم أصدر أوامره المتضمنة لكيفية التعاطي معه.

جيش الإسلام في مر الظهران:

قال عروة: وعميت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف واحد عن مسير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يدرون ما هو فاعل. وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب^(١). ورووا عن ابن عباس أنه قال: مضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الفتح حتى نزل مر الظهران عشاء، في عشرة آلاف من المسلمين، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يدرون ما هو صانع^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٤ عن ابن إسحاق، والواقدي، وبه جزم ابن عائد، وغيرهم. والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و ٥٥٦ والبحار ج ٢١ ص ١٠٣ وراجع ص ١٢٧ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٧٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٥ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٨٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ والمعجم الكبير ج ٨ ص ١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٤ عن إسحاق بن راهويه، والحاكم، والبيهقي، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و ٧٨ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ والبحار ج ٢١ ص ١٠٣ و ١٢٧ والمغازي للواقدي ج ٢ =

:
وأمر «صلى الله عليه وآله» أصحابه أن يوقدوا عشرة آلاف نار، وجعل
على الحرس عمر بن الخطاب^(١).
وعن عروة قال: لما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الفتح،
بلغ ذلك قريشاً، فخرج أبو سفيان بن حرب يتحسس الأخبار.
وقالت قريش لأبي سفيان: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً. (زاد
الواقدي قوله: «إلا أن ترى رقة من أصحابه، فأذنه بالحرب»)^(٢).
فخرج هو وحكيم بن حزام، فلحقا بدليل بن ورقاء، فاستتبعاه، فخرج
معهما يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً، أو يسمعون به.
فلما بلغوا الأراك من مر الظهران، وذلك عشياً، رأوا العسكر،
والقباب، والنيران كأنها نيران عرفة، وسمعوا صهيل الخيل، ورغاء الإبل،
فأفرعهم ذلك فزعاً شديداً.

= ص ٨١٤ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٨ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣٢٠
والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والمستدرك
للحاكم ج ٣ ص ٤٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير
ج ٣ ص ٥٤٦.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ و (ط دار المعرفة)
ص ١٥ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ والبحار ج ٢١ ص ١٠٣ والمغازي للواقدي
ج ٢ ص ٨١٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٦ وفتح
الباري ج ٨ ص ٥ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٧٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧
ص ٢٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣٥ وإمتاع الأسماع ج ١
ص ٣٥٨ وج ٨ ص ٣٨٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٥.
(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٤.

قال عروة - كما في الصحيح -: فقال بديل بن ورقاء: هؤلاء بنو كعب -
وفي رواية بنو عمرو: يعني بها خزاعة - حمشتها (حاشتها) الحرب.
فقال أبو سفيان: بنو عمرو أقل من ذلك^(١).
ولكن لعل هذه تميم أو ربيعة^(٢).
قالوا: فتنجعت هوازن على أرضنا؟! والله ما نعرف هذا، إن هذا
العسكر مثل حاج الناس^(٣).
وعن ابن عباس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما نزل مر
الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة، فقال: وا صباح قريش، والله لئن
دخلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه قبل أن
يدخلها عليهم عنوة، إنه هلاك قريش إلى آخر الدهر.
قال العباس: فأخذت بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» الشهباء

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٤ و ٢١٥ وفي هامشه عن البخاري ج ٧
ص ٥٩٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ وراجع: مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦
والبحار ج ٢١ ص ١٠٣ و ١٢٨ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ والمغازي
للواقدي ج ٢ ص ٨١٤ وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٥٠٧ وتاريخ مدينة دمشق
ج ٢٣ ص ٤٤٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣
ص ٥٥٣.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٠٨ وإعلام الوری ج ١
ص ٢٢٠.

(٣) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٨ وغريب الحديث
ج ٢ ص ٥٢٩.

:

(البيضاء) - وعند الواقدي: أنها الدلدل^(١) - فركبتها، وقلت: ألتمس خطاباً،
أو صاحب لبن، أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله «صلى
الله عليه وآله»، ليخرجوا إليه، فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة،
فوالله، إني لفي الأراك ألتمس ما خرجت إليه، إذ سمعت كلام أبي سفيان
وبديل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً
قط ولا عسكرياً!

فقال بديل بن ورقاء: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب.
فقال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.
قال العباس: فعرفت صوت أبي سفيان، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف
صوتي.

فقال: لبيك يا أبا الفضل، ما لك فداك أبي وأمي!!
فقلت: ويلك!! هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عشرة آلاف.
فقال: وا صباح قريش، والله بأبي أنت وأمي، فما تأمرني؟ هل من
حيلة؟

قلت: نعم، إركب عجز هذه البغلة، فأذهب بك إلى رسول الله «صلى
الله عليه وآله» فاستأمنه لك، فإنه والله إن ظُفِرَ بك دون رسول الله «صلى
الله عليه وآله» لتقتلن.

قال أبو سفيان: وأنا والله أرى ذلك.
فركب خلفي، ورجع أصحابه - كذا في حديث ابن عباس وعند ابن

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٥.

إسحاق ومحمد بن عمر: أنهما رجعا - وذكر ابن عقبة ومحمد بن عمر في موضع آخر: أنهما لم يرجعا، وأن العباس قدم بهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» انتهى^(١).

وعن حكيم بن حزام: أنه خرج هو وأبو سفيان يتنسمان الأخبار، فلقي العباس أبا سفيان، فذهب به إلى النبي «صلى الله عليه وآله». قال حكيم بن حزام: «فرجعت، ودخلت بيتي، فأغلقت عليّ، ودخل النبي «صلى الله عليه وآله» مكة، فأمن الناس، فجئته، فأسلمت وخرجت معه إلى حنين»^(٢).

وفي موضع آخر عند الواقدي: قال العباس: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عشرة آلاف من المسلمين، فأسلم، ثكلتك أمك وعشيرتك، ثم أقبل على حكيم وبديل، فقال: أسلما، فإني لكما جار حتى تنتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني أخشى أن تقطعوا دون النبي «صلى الله عليه وآله».

قالوا: فنحن معك.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٥ و ٢١٦ عن إسحاق بن راهويه، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ والبحار ج ٢١ ص ١٠٣ و ١٢٧ و ١٢٨ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٦ و ٨١٨ و ٨١٩ وراجع ص ٨١٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٨ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٠٦ و ٥٠٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٥.

فجاء بهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وفي سياق آخر، قال العباس: فجئت بأبي سفيان، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فلما رأي، قام، فقال: من هذا؟ قلت: العباس، فذهب ينظر، فرأى أبا سفيان خلفي، فقال: أي عدو الله!! الحمد لله الذي أمكن (أمكنني) منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله» وركضت البغلة فسبقتة كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاجتمعنا على باب قبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ودخل عمر على أثري، فقال عمر: يا رسول الله!! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلا أضرب عنقه.

قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته.

ثم التزمت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخذت برأسه، فقلت: والله، لا يناجيه الليلة دوني رجل.

فلما أكثر عمر في شأنه، قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٠ و ٨١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٨.

فقال: مهلاً يا عباس - وفي لفظ: يا أبا الفضل - فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إسلام الخطاب لو أسلم^(١).

وقيل: إن العباس قال: فقلت: يا رسول الله!! أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء قد أجرتهم، وهم يدخلون عليك.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أدخلهم».
فدخلوا عليه، فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعاهم إلى الاسلام.
فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٦ وفي هامشه: عن ابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٤٧٥، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ و ٧٩ و (ط دار المعرفة) ص ١٧ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٧١ والبحار ج ٢١ ص ١٠٣ و ١٠٤ و ١٢٨ وراجع: شرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣٢٠ و ٣٢١ والدرر لابن عبد البر ص ٢١٦ وشرح نهج البلاغة ج ١٧ ص ٢٦٩ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٤ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٨١ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٢٢ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٤٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٣١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٤٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٣١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٦٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤٨ وشرح إحقاق الحق ج ٣٣ ص ١٤٧.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اشهدوا أن لا اله الا الله وأني رسول الله».

فشهد بديل، وحكيم بن حزام.
وقال أبو سفيان: ما أعلم ذلك، والله إن في النفس من هذا لشيئاً بعد،
فارجئها^(١).

وعند أبي شيبة، عن أبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أنه
قيل لحكيم بن حزام: بايع.
فقال: أبايعك ولا آخر إلا قائماً.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أما من قبلنا فلن تخر إلا قائماً.
انتهى^(٢).

وقيل لأبي سفيان ذلك، فقال: كيف أصنع باللات والعزى؟
فقال عمر بن الخطاب - وهو خارج القبة -: إخرأ عليها، أما والله لو
كنت خارج القبة ما قلتها.
فقال أبو سفيان: من هذا؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٦ عن ابن عقبة والواقدي، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٩ و (ط دار المعرفة) ص ١٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٦ عن ابن أبي شيبة، والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٣١٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٣٣ وغريب الحديث لابن سلام ج ٢ ص ١٣٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٢٨.

قالوا: عمر بن الخطاب^(١).

زاد في الحلبيّة قوله: فقال أبو سفيان: ويحك يا عمر، إنك رجل فاحش، دعني مع ابن عمي، فإياه أكلم^(٢).

وعند المجلسي: قال أبو سفيان: «أف لك ما أفحشك، ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمي»^(٣).

قال العباس: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به».

قال: فذهبت به إلى رحلي^(٤).

وقالوا: فلما أذن الصبح أذن العسكر كلهم: أي أجابوا المؤذن.

ففرع أبو سفيان من أذانهم، فقال: ما يصنع هؤلاء؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٦ والسيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٩ والبحار ج ٢١

ص ١٢٩ عن إعلام الوري ج ١ ص ٢٢١ وراجع: فتح الباري ج ٨ ص ٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٣٢ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٤٣.

(٢) السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٩ و (ط دار المعرفة) ص ١٨.

(٣) البحار ج ٢١ ص ١٢٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٢١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٧ والسيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٩ و (ط دار المعرفة)

ص ١٧ والبحار ج ٢١ ص ١٢٩ عن إعلام الوري ج ١ ص ٢٢١، والمغازي

للواقدي ج ٢ ص ٨١٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١ وعون المعبود ج ٨ ص ١٨٠

والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٣١ والسيرة النبوية

لابن هشام ج ٤ ص ٨٦٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٧ والسيرة النبوية لابن كثير

ج ٣ ص ٥٤٩.

قال العباس: فقلت: الصلاة.

قال: كم يصلون؟

قلت: خمس صلوات في اليوم والليلة. (وعند الواقدي: قال: كثير والله).

ثم رأهم يتلقون وضوء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: ما رأيت ملكاً قط كالיום، لا ملك كسرى ولا قيصر.

قال العباس: فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصبح غدوت به. وعند ابن عقبة، ومحمد بن عمر: أن أبا سفيان سأل العباس في دخوله على رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وعن أبي سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: فلما أصبحوا قام المسلمون إلى طهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل!! ما للناس أمروا في شيء؟

قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة.

فأمره العباس فتوضأ، وذهب به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصلاة كبر وكبر الناس، ثم ركع، فركعوا، ثم رفع، فرفعوا، ثم سجد فسجدوا، فقال أبو سفيان: ما رأيت كالיום طاعة، قوم جمعهم من ههنا وههنا، ولا فارس الأكارم، ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له. يا أبا الفضل!! أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٧ عن ابن عقبة، والواقدي، والبحار ج ٢١ ص ١٢٩ عن إعلام الوري، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٥ و ٨١٦.

فقال العباس: إنه ليس بملك، ولكنها النبوة.

قال: أوذاك؟!

قال العباس: فلما فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «يا أبا سفيان!! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله»؟! قال: بأبي أنت وأمي!! ما أحلمك وأكرمك، وأعظم عفوك! إنه لو كان مع الله إله لقد أغنى عني شيئاً (يوم بدر ويوم أحد) بعد، لقد استنصرت إلهي، واستنصرت إلهك، فوالله ما لقيتك من مرة إلا نصرت عليّ، فلو كان إلهي محققاً وإلهك مبطلاً لقد غلبتك. فقال «صلى الله عليه وآله»: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله»؟

قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك، وأعظم عفوك! أما هذه فوالله إن في النفس منها شيئاً حتى الآن. فقال العباس: ويحك! أسلم قبل أن تضرب عنقك. فشهد شهادة الحق، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. (زاد في نص آخر قوله: تلجلج بها فوه)^(١). وظاهر كلام ابن عقبة، ومحمد بن عمر في مكان آخر: أن أبا سفيان قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله من غير أن يعرض ذلك عليه أحد.

(١) البحار ج ٢١ ص ١٢٩ عن إعلام الوري ج ١ ص ٢٢١ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٠٩.

قال: قال أبو سفيان، وحكيم بن حزام: يا رسول الله جئت بأوباش الناس، من يعرف ومن لا يعرف إلى أهلك وعشيرتك؟! فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم أظلم وأفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، وظاهرتم على بني كعب بالإثم والعدوان في حرم الله تعالى وأمنه».

فقال حكيم، وأبو سفيان: صدقت يا رسول الله. ثم قالوا: يا رسول الله!! لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن، فهم أبعد رحماً، وأشدّ عداوة لك؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله. فتح مكة، وإعزاز الإسلام بها، وهزيمة هوازن، وغنيمة أموالهم وذرائعهم، فإني أرغب إلى الله تعالى في ذلك»^(١).

وقال في نص آخر: فصار إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: فقال العباس: هذا أبو سفيان صار معي إليك فتؤمنه بسببي. فقال «صلى الله عليه وآله»: أسلم تسلم يا أبا سفيان. فقال: يا أبا القاسم! ما أكرمك وأحلمك؟ قال: أسلم تسلم.

قال: ما أكرمك وأحلمك؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٧ و ٢١٨ عن ابن أبي شيبة، وفي هامشه عن: كنز العمال برقم (٣٠١٧٣) والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٩ و ٨٠ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٦ والبحار ج ٢١ ص ١٠٤ و ١٢٨ و ١٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨١.

قال: أسلم تسلم.

فوكزه العباس وقال: ويلك إن قالها الرابعة ولم تسلم قتلك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: خذه يا عم إلى خيمتك.

وكانت قريبة، فلما جلس في الخيمة ندم على مجيئه مع العباس، وقال في

نفسه: من فعل بنفسه مثل ما فعلت أنا؟ جئت فأعطيت بيدي، ولو كنت

انصرفت إلى مكة فجمعت الأحابيش وغيرهم فلعلي كنت أهزمه.

فناداه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خيمته، فقال: «إذاً كان الله

يخزيك».

فجاءه العباس، فقال: يريد أبو سفيان أن يجيئك يا رسول الله.

قال: هاته.

فلما دخل قال: ألم يأن أن تسلم؟

فقال له العباس: قل، وإلا فيقتلك.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله.

فضحك «صلى الله عليه وآله»، فقال: رده إلى عندك.

فقال العباس: إن أبا سفيان يحب الشرف فشرفه.

فقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذه النصوص وقفات، هي التالية:

(١) البحار ج ٢١ ص ١١٨ و ١١٩ عن الخرايج والجرايح ج ١ ص ١٦٣.

إنه ليس بملك:

إنهم قد رووا: أن العباس إنما رفض مقولة أبي سفيان: «أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك»، من حيث إن ذلك يستبطن عدم اعترافه بنبوته «صلى الله عليه وآله».. وإلا فقد قال تعالى عن داود: {وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} (١).

وقال حكاية عن سليمان: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي} (٢).

من الذي كان مع أبي سفيان؟!

وقد اختلفت الروايات في الأشخاص الذين كانوا مع أبي سفيان، وفي إسلامهم معه وعدمه، وفي أمور كثيرة أخرى..

فرواية تقول: لم يشعر أهل مكة برسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى نزل العقبة. وكان أبو سفيان وعكرمة بن أبي جهل قد خرجا يتجسسان خبراً، ونظرا إلى النيران، فلم يعلما لمن هي.. ثم لقيهما العباس، فاصطحب أبا سفيان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورجع عكرمة إلى مكة (٣).

ولكن روايات أخرى ذكرت: بديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام. ولم تذكر عكرمة.

(١) الآية ٢٠ من سورة ص.

(٢) الآية ٣٥ من سورة ص.

(٣) البحار ج ٢١ ص ١١٨ عن الخرايج والجرائح ج ١ ص ١٦٢.

وبعضها ذكر: أن بديلاً وحكيماً رجعا إلى مكة، ولم يذهب إلى النبي
«صلى الله عليه وآله» مع العباس وأبي سفيان.
وبعضها الآخر يقول: بل ذهب معها إليه «صلى الله عليه وآله».

لم يبلغهم حرف واحد:

وفي حين يقول عروة: عُمِّيت الأخبار عن قريش، فلم يبلغهم حرف
واحد عن مسير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يدرون ما هو فاعل،
وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم.. يعود عروة هذا ليناقض نفسه،
فيقول: لما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الفتح، بلغ ذلك قريشاً.
وقوله الأول هو الصحيح، لأن الرواية عن ابن عباس وغيره تؤيده.
بالإضافة إلى نصوص كثيرة أخرى.

ورغم أن الرواية الثانية قد صرحت: بأن قريشاً قالت لأبي سفيان: إن
لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً، فإنها أيضاً قد صرحت: بأن أبا سفيان ومن
معه لم يخطر في بالهم أن يكون هذا الجيش العظيم الذي يرونه هو للنبي
«صلى الله عليه وآله»، بل ذهبت أوهامهم إلى خزاعة تارة، وإلى تميم أخرى،
وإلى ربيعة ثالثة، ثم إلى هوازن رابعة..

تزوير الحقائق:

ولكن ما نريد أن نبينه للقارئ الكريم هو أن كتابنا هذا قد حفل
بالكثير الكثير مما يشير إلى تزوير عروة وأضرابه للحقائق، واختلافهم
للترهات، رغم شدة تحاشينا في هذا الكتاب عن الإستغراق في مناقشة
أقوال هؤلاء الناس، الذين أرادوا أن يستأثروا لأنفسهم بمقام ليسوا من

أهله، ألا وهو مقام حفظ العلم، والشرعة، والتاريخ، وكل الحقائق التي تحتاجها الأمة عبر الأجيال، مع أنهم إنما قدموا لها بحراً زائفاً بالأباطيل والأضاليل، والخزعبلات، والخرافات، حتى إذا ضاقت بهم السبل، واضطروا للاعتراف بشيء من الحقيقة، فإنك تراهم يثيرون حولها أجواء من الريبة والشك والافتراء، ويشبعونها حذقة، وتمويهاً وتشويهاً.

عشرة آلاف نار لماذا؟!:

ولسنا بحاجة إلى بيان أهدافه «صلى الله عليه وآله» حين أمر أصحابه بإيقاد عشرة آلاف نار.. الأمر الذي بهر عتاة وجبابرة أهل الشرك، وفراعنة قريش.

وقد تقدم: أن أبا سفيان، وحكيم بن حزام، وابن ورقاء فرعوا فزعاً شديداً حين رأوا تلك النيران، كأنها نيران عرفة.

ولولا أنهم رأوا القباب والعسكر الجرار، وسمعوا صهيل الخيل، ورغاء الإبل، لأمكن أن يتسرب إلى أوهامهم احتمال أن تكون فئة صغيرة هي التي أوقدت هذه النيران الكثيرة.

لقد تأكد لديهم:

١ - أن من يوقد هذه النيران، يريد أن يُعلم أعداءه بحضوره، غير آبه بهم، ولا خائف منهم.. وأنه لم يأت متسللاً، ولا مغيراً يريد أن يربح المعركة عن طريق المباغته، لتعوض المباغته ضعفه، أو لتوهن شيئاً من قدرات عدوه..

٢ - إنه يريد بإيقاد هذه النيران الكثيرة أن يظهر حجم قوته،

وحضورها، وسعتها وامتدادها، لتساعد تلك النيران أولئك الناظرين الذين قد يكونون في مرتفع، على رؤية أول وآخر رجل جاء لقتال عتاة الشرك، من دون أن تغرقهم عيونهم في ضباب الإبهام، بسبب الظلمة التي قد تمنع العيون من الإحاطة بها.

وتبين حجم الامتداد والسعة إذا كان ذلك الجيش عشرة آلاف مقاتل، ومعهم الخيول المقاتلة، والإبل الحاملة للأثقال، والمساعدون، وربما الكثير من النساء، والأتباع.. فإن ذلك يحتاج إلى مساحات شاسعة في حركة ذلك الجمع وفي نزوله على حد سواء.

إذن، فقد كان طبيعياً أن يتحير أبو سفيان ومن معه في هوية هذا الجيش الذي أمامهم هل هو خزاعة، أو تميم، أو ربيعة؟!.

إن لقيت محمداً فخذ لنا أماناً:

وأما بالنسبة إلى ما رواه عروة: من أن قريشاً قالت لأبي سفيان: إن لقيت محمداً فخذ لنا منه أماناً، فلا يمكننا تأييده. خصوصاً إذا صدقنا عروة في زعمه: أن قريشاً كانت قد علمت بمسير النبي «صلى الله عليه وآله».. لأنها إن كانت تعلم بمسير النبي «صلى الله عليه وآله» إليها، أو لو علمت بالمسير دون أن تعلم بالمقصد، فإن المفروض بها: أن تحتاط للأمر، وتتجهز للقاءه في ساحات القتال..

إلا إذا كان قد بلغ بها الضعف حداً يدعوها للاستسلام على كل حال.. ففي هذه الحالة لم يكن ثمة داع لاستمرار النبي «صلى الله عليه وآله» بمسيره، وبمقصده؟!.

..... :

اللهم إلا إذا فرض: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعلم بضعف قريش هذا.. وهو أمر لا مجال لقبوله، فإنه «صلى الله عليه وآله» كان مطلعاً على أحوال مكة، واقفاً على قدراتها، عارفاً بنواياها، وتوجهاتها.

بل إن الأمر قد كان ميسوراً لأي قائد آخر، إذ إن عهد الحديبية قد سهّل انتقال أخبار مكة وأهلها إليه، خصوصاً من مسلمي مكة الذين كانوا منتشرين في مختلف البيوت، ومن جميع الطبقات والفئات.

العباس الناصح لقريش على بغلة رسول الله :

وواضح: أن ركوب العباس على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبحثه عن رسول يرسله إلى قريش، لا يمكن أن يكون بدون علم النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، بل ذلك - فيما يظهر - داخل في صلب خطة النبي «صلى الله عليه وآله» لأخذ مكة من أولئك الجبارين والظالمين من دون قتال، وذلك باعتماد طريقة ترسيخ القناعة لدى أقطابها بعجزهم عن مناجزته الحرب، إلا إذا كانوا يريدون أن يلقوا بأيديهم إلى الدمار والبنار.

وقد كان العباس أفضل رسول إلى قريش وزعمائها، فإنهم على قناعة تامة بأنه لا يمكن أن يفرط بهم، كما أثبتته لهم تجربتهم الطويلة معه..

فإذا جاءتهم النصيحة من قبل العباس، فإنهم لا يرفضونها، ولا يستغشونه.

وقد ظهر من تفدية أبي سفيان للعباس بأبيه وأمه، مدى عمق علاقة المودة والصفاء فيما بينهما، حتى إنه يجعل نفسه رهن إشارة العباس..

ثم يظهر العباس هنا بمظهر القوي الحازم، الذي يفرض رأيه وقراره

بدون أي تحفظ، بل هو يقول لأبي سفيان: ثكلتك أمك وعشيرتك.
على أن نفس ركوب العباس بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من شأنه أن يطمئن أولئك المعاندين والمستكبرين إلى أن مكانة أبي الفضل محفوظة عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن كلمته مؤثرة لديه.
كما أن أحداً من المسلمين لا يجرؤ على إخفار جواره، إذا دخلوا هذا المعسكر العرمم معه وفي حمايته، فكيف إذا أردف رأس الشرك خلفه، وحمله معه؟

فالعباس بعد كل هذا هو الوسيلة الأكثر أمناً في الطريق، والأكثر فاعلية وتأثيراً لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
وربما يكون هناك اتفاق على طريقة عمل فيما بين العباس وبين هؤلاء، وقد تغاضى النبي «صلى الله عليه وآله» عن التصريح للعباس بمعرفته بها..
واستفاد العباس في الوصول إلى الهدف الكبير والخطير، ألا وهو دخول مكة من دون إراقة دماء.. كما سيتضح في المطالب التالية..

علم العباس بمكان أبي سفيان:

وبعد.. فإننا لا نستطيع أن نصدق ما يذكرونه من أن العباس قد ذهب إلى الأراك يبحث عن خطاب، أو عن صاحب لبن ليرسله إلى قريش ليحذرها من هذا الجيش القادم، ويدعوها إلى المبادرة إلى أخذ الأمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
بل الذي يظهر من مسار الأحداث هو: أن العباس كان عالماً بمكان أبي سفيان، وبديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام، وقد قصدهم ليأتي بهم..

الأمر الذي يشير إلى أنه قد يكون هناك اتفاق فيما بينه وبينهم على كل ما يجري، إذا أردنا أن نظن أنه كان معهم من أول الأمر، ثم لما رأوا الجيش أرسلوه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، وتوسط لهم لديه، ثم عاد ليأتي بهم. ولعله كان يظن أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يلتفت إلى طبيعة حركة العباس في التمهيد لاستسلام أبي سفيان.

والذي يدعونا إلى اعتماد هذا الاتجاه: أننا لاحظنا فيما سبق أن العباس كان من الطلقاء، وأن الدلائل والشواهد لا تؤيد هجرته ولا حتى ملاقاته للنبي «صلى الله عليه وآله»، لا في ذي الحليفة، ولا الجحفة، ولا السقيا، ولا الأبواء، ولا.. ولا..

وقد لاحظنا هنا أيضاً ما يلي:

١ - إنه لا معنى لقولهم: إن العباس قد ذهب يبحث عن خطاب، أو صاحب لبن، ليرسله إلى أهل مكة.. إذ إن الوقت كان ليلاً، ولا يوجد خطاب ولا صاحب لبن في هذا الوقت..

٢ - إن الخطاب أو صاحب اللبن إن كان من أهل مكة، فإنه لا يأتي من مكة كل هذه المسافة، بل هو يحتطب ويرعى في محيط مكة نفسها.

وإن كان ممن يسكن الأراك، ومر الظهران، فلماذا يبحث عن خطاب أو صاحب لبن (راع) ويترك سكان البيوت في تلك المنطقة، فليقصدهم، وليكلف واحداً منهم بهذه المهمة..

٣ - إن أمراً بهذه الخطورة، وقراراً بهذا الحجم، وهو: أن يستسلموا، ويسلموا مكة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يصدق فيه خطاب، أو صاحب لبن، بل هو يحتاج إلى آراء الرجال التي يُسكن إليها، ويُعتمد

عليها، فكيف إذا كان هذا الرسول ممن يُظن فيه أن يكون العدو قد أرسله إليهم، ليسقط مقاومتهم، ويضعف إرادتهم، ويؤثر على قرارهم عن هذا الطريق، وبهذا الأسلوب..

٤ - لماذا خرج العباس بهذه المهمة ليلاً، ولم يخرج لها نهاراً؟!
٥ - ما هذه الصدفة التي جعلت العباس يسمع كلمات أبي سفيان ويفهمها، في حين كان أبو سفيان يحتاج إلى أن يتكلم بصوت خفيض لكي لا يشعر ذلك الجيش أو حراسه بوجوده.

كما أن المفروض: أن العباس يركب بغلة لا تراعي في مسيرها عنصر السرية، ولا تسعى لإخفاء أصوات وقع حوافرها، ولعلها أصوات قوية، لما تصادفه في طريقها من الحجارة وغيرها، خصوصاً مع عدم قدرتها على الرؤية التي تمكنها من تجنب بعض الأحجار الكثيرة وسواها بسبب الظلام.
فلماذا لم يسمع أبو سفيان ورفيقاه وقع حوافر بغلة العباس، ليختاروا السكوت حتى يتبين لهم من يقصدهم؟! فلعله من أعدائهم الذين يجب أن يجتزوا منهم؟!

عمر وأبو سفيان:

وقد أكدت النصوص أيضاً هذه النتيجة التي انتهينا إليها، فقد روي عن أبي ليلى، قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمر الظهران، فقال: «إن أبا سفيان بالأراك فخذوه» فدخلنا، فأخذناه^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٤ و ٢١٥ عن الطبراني، ومجمع الزوائد ج ٥ ص ١٧٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٦ ص ١٦٩ والمعجم الكبير ج ٧ ص ٧٦.

فبينما هم - يعني أبا سفيان، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء - كذلك، لم يشعروا حتى أخذهم نفر كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعثهم عيوناً له، فأخذوا بخطم أبعرتهم.

فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: هذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه.

فقال أبو سفيان: هل سمعتم بمثل هذا الجيش، نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم؟^(١).

وروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للناس: إنكم لا قون بعضهم، فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه^(٢).

وعن عكرمة: أن أبا سفيان لما أخذه الحرس قال: دلوني على العباس، فأتى العباس فأخبره الخبر، وذهب به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

فنستفيد من هذه النصوص، ومن جميع النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أرشدهم إلى وجود أبي سفيان بالقرب منهم، وحدد لهم المكان الذي كان فيه، وأمرهم بأخذه، فأخذوه ومن معه من دون أن يشعروا، ويبدو أن العباس كان مع تلك المجموعة، فطلب أبو سفيان

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٥ عن ابن عقبة، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٩ و (ط دار المعرفة) ص ١٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ و (ط دار المعرفة) ص ١٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٥ عن ابن أبي شيبه، وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣١٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٢٦ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٤٣ والمصنف لابن أبي شيبه ج ٨ ص ٥٣٢.

منه أن يتولى حمايته، وإيصاله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليأمن على نفسه، فحمله على البغلة التي أذن له النبي «صلى الله عليه وآله» بركوبها، لعلمه بالحاجة إليها خصوصاً في هذا المورد.

ثم لقيهم عمر بن الخطاب في الطريق وعرف أبا سفيان، فحاول أن يستفيد من الفرصة لإظهار حرصه وغيرته على الإسلام، وشدته في مناوأة أعدائه، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأذن له في قتله. ولعله كان يعلم: أنه «صلى الله عليه وآله» لن يأذن له، وذلك قياساً على الموارد الكثيرة جداً التي لم يستجب النبي «صلى الله عليه وآله» لطلبه فيها ولو مرة واحدة بأن يأذن له بقتل أسرى.

ترهات وأكاذيب:

وبعدما تقدم نقول:

إن أبا سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالوا: أخذ أبو سفيان وأصحابه وكان حرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر من الأنصار، وكان عمر بن الخطاب تلك الليلة على الحرس، فجاءوا بهم إليه.

فقالوا: جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة.

فقال عمر، وهو يضحك إليهم: والله لو جئتموني بأبي سفيان ما زدتم.

قالوا: قد والله أتيناك بأبي سفيان.

فقال: احبسوه، فحبسوه حتى أصبح، فغدا به على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقال ابن عقبة: لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه، لقيهم العباس

بن عبد المطلب، فأجارهم^(١).

ونقول:

أولاً: من الواضح: أن النصوص المتقدمة وهي الأكثر عدداً، والأوضح سنداً والمعتمدة لدى المحدثين والمؤرخين، تدحض هذه المزاعم وتسقطها.
ثانياً: بالنسبة لما قيل من أنه لما دخل الحرس بأبي سفيان وصاحبيه لقيهم العباس فأجاره نقول: إنه لا يصح إجارة المحارب بعد أسره.. وذلك واضح.

ثالثاً: لا ندري لماذا جعل النبي «صلى الله عليه وآله» الحرس من خصوص الأنصار، ولم يجعل بينهم أحداً من المهاجرين، ولا من غيرهم من مسلمي سائر البلاد، إلا إذا كان يتهم المهاجرين بمحاباة قومهم، أو بالتواطؤ معهم ضده..

كما إننا لم نفهم لماذا خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن المؤلف منه في الموارد المشابهة، وجعل هنا فقط خصوص عمر - وهو من المهاجرين - على جماعة الأنصار؟! -

بديل بن ورقاء خزاعي:

وزعمت بعض النصوص: أن بديل بن ورقاء هو الذي توهم أن ذلك

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٥ عن ابن أبي شيبة، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٩ و (ط دار المعرفة) ص ١٧ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٣٥٩ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٦٩ وفتح الباري ج ٨ ص ٥ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٣١.

الجيش النبوي العظيم الذي رأوا نيرانه هو قبائل خزاعة.
ويرد عليه: أن بديل بن ورقاء كان خزاعياً، وكان يعرف خزاعة
وحججها، وهذا يرجح الرواية التي تقول: إن رجلاً آخر قال: هذه خزاعة،
فقال له بديل: هؤلاء أكثر من خزاعة^(١).

ما هذا التصافي والإنسجام؟!

ثم إن ما يثير العجب هنا هو هذا التوافق والإنسجام التام بين بديل بن
ورقاء، الزعيم الخزاعي، وبين زعماء قريش، التي شاركت في البطش
بقومه، وارتكبت مجزرة رهينة في حقهم، ونقضت العهد مع رسول الله
«صلى الله عليه وآله» بالتعدي عليهم.. مع كون رسول الله «صلى الله عليه
وآله» إنما يقدم مكة بهذا الجيش غضباً لخزاعة، وسعيًا لتأديب قريش،
والقضاء على بغيها وجبروتها الظالم.

ويؤكد هذا الذي نقوله: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين
أجاب حكيم بن حزام بقوله: «أنتم أظلم وأفجر، قد غدرتم بعقد الحديبية،
وتظاهرت على بني كعب - يعني خزاعة - بالإثم والعدوان، وفي حرم الله
وأمنه». قال بديل بن ورقاء الخزاعي: «صدقت - والله - يا رسول الله، فقد
غدروا بنا. والله لو أن قريشاً خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا منا الذي
نالوا»^(٢).

فإذا كان بديل يرى قريشاً غادرة فاجرة، فما هذا التعاون والانسجام

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ و (ط دار المعرفة) ص ١٦.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٠ و (ط دار المعرفة) ص ١٩.

مع زعمائها ضد حليفه الذي جاء لنصره، ورفع الظلم عنه؟! والأكثر غرابة هنا: أن يكون هذا الود والصفاء بين بديل وبين أبي سفيان بالذات، فإن أبا سفيان هو الذي أرسلته قريش إلى المدينة ليحتال على النبي «صلى الله عليه وآله» وعلى المسلمين، ليضيع دماء أبنائهم، وليساعد الغدرة والظلمة في غدرهم وظلمهم، وفي التغطية عليهم، وإنكار حق خزاعة حتى بدايات قتلاهم.

وقد قلنا فيما سبق:

إن فعل أبي سفيان هذا لعله أفحش وأقبح من فعل ناقضي العهد، ومرتكبي الجرائم في حق خزاعة..

حماس عمر لقتل أبي سفيان:

وقد قرأنا في تلك النصوص أيضاً: شدة حماس عمر لقتل أبي سفيان بمجرد أن رآه مع العباس على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولكن ذلك يثير لدينا ألف سؤال وسؤال عن مدى وعي عمر للأمر، وتقديره لها، وغير ذلك.. وأول سؤال يقفز إلى الذهن هو: هل كان دائماً يتحمس لقتل أبي سفيان بيده حتى في ساحات القتال في المعارك السابقة؟! وإذا كان كذلك، فهل هو في مستوى حماسه لقتله حين رآه أسيراً في يد أهل الإسلام، لا حول له ولا قوة؟!!

أم أنه كان في ساحات القتال في زمرة الضعفاء من المقاتلين، وفي طليعة المنهزمين حين تستعر نار الحرب، ويروج سوق الطعن والضرب؟! وهل كان في الصفوف الأولى يبارز الفرسان، ويناجز الشجعان؟ أم

كنت تراه في الصفوف الخلفية، يحتمي بغيره، ومشغولاً بحفظ نفسه؟!

تناقضات مواقف عمر وأبي بكر:

وقد كان عمر لم يزل يطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعه يضرب عنق هذا الأسير وذاك.. وقد تكرر منه ذلك مرات كثيرة جداً، وكان هو المطالب بقتل أسرى بدر، حتى رووا في ذلك روايات شنيعة المضمون، من حيث إنها تهدف إلى الطعن بالرسول الأكرم نفسه «صلى الله عليه وآله» - حسبما تقدم بيانه في غزوة بدر، في فصل الغنائم والأسرى.

وقد كان أبو بكر قرين عمر، وصفيه وحببيه ونجيّه، وكاناً معاً يداً واحدة في كل ما يجري، فلماذا نجد لأبي بكر مساراً آخر في هذه الأمور بالذات؟ فكيف اتفقا في سائر القضايا واختلفا في خصوص هذا الأمر؟! بل لم نسمع أن أبا بكر قد أيد عمر في مواقفه هذه إلا مرة واحدة، وانعكست الأمور بينهما في مرة واحدة أيضاً.. أي أن عمر كان هو الميال للقتل والعنف، وكان أبو بكر باستمرار هو الذي يهدئه، ويفثّوه، ويردعه عن مضايقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويمنعه من مواصلة الإلحاح عليه.. باستثناء مورد واحد، انعكست فيه الأمور، وتبدلت المواقف، فصار عمر هو حمالة السلام، والداعي للصلح والمداواة والوئام.. وأصبح أبو بكر في موقع المصمم على الحرب والقتال مهما كانت النتائج..

ولكن هذا التفاوت قد ظهر حين أصبحت الحرب مع المسلمين الرافضين للإعتراف بشرعية خلافة أبي بكر، وأصروا على عدم إعطائه

الزكاة، ولم يكفروا بعد إسلامهم^(١)، فأصر أبو بكر على حربهم.
وأطلق كلمته المشهورة: «لو منعوني عقال بغير لجاهدتهم (أو لقاتلتهم) عليه»^(٢).

والمورد الواحد الذي اتفق فيه هذان الرجلان هو: مخالفة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قتل أصل الخوارج، فنشأ عن مخالفة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه مفسدة عظيمة حاقت بالامة، ولا تزال آثارها تتفاعل فيها إلى يومنا هذا.

فقد رووا: أن أبا بكر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «إني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشع، حسن الهيئة، يصلي.. فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «إذهب إليه فاقتله. فذهب إليه، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»..

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: «إذهب فاقتله. فذهب إليه فرآه على تلك الحال فكره أن يقتله. فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «إذهب فاقتله.. فذهب إليه فلم يجده.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا

(١) راجع: المحلى لابن حزم ج ١١ ص ١٩٣ و فرق الشيعة ص ٧ والمقالات والفرق ص ٤ و راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٥٥ و تاريخ الردة ص ١٠ و راجع: مجمع الأمثال ج ٢ ص ٦٥ والفتوح لابن أعثم ج ١ ص ٥٨.
(٢) راجع مصادر ذلك تحت عنوان: الجرأة على الدماء.

يجاوز تراقيهم. وذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وفي آخره:
فاقتلوهم هم شرُّ البرية^(١).

وفي نص آخر: فقال علي «عليه السلام»: أفلا أقتله أنا يا رسول الله؟!
قال: بلى أنت تقتله إن وجدته.. فانطلق علي «عليه السلام» فلم يجده..
أو نحو ذلك^(٢).

ولكن ما يمكن أن نعتبره قاسماً مشتركاً فيما بين جميع هذه الموارد هو:
أن هذا المورد الأخير قد جاء موقفهما فيه مخالفاً لأمر رسول الله «صلى الله
عليه وآله»..

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ١٥ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٥ و ١٥٦ ومجمع
الزوائد ج ٦ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٩ وشرح
النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ والكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٢٠ و ٢٢١
ونيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٣٥١ والمراجعات للسيد شرف الدين ص ٣٧٦
و ٣٧٨ والنص والاجتهاد للسيد شرف الدين ص ٩٦ والغدير ج ٧ ص ٢١٦
وأهمية الحديث عند الشيعة للشيخ آقا مجتبي العراقي ص ٢١٧ وفتح الباري
ج ١٢ ص ٢٦٦ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ١٢١.

(٢) كشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٦٠ و ٣٦١ والعقد الفريد ج ٢
ص ٤٠٤ وراجع المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٥ و ١٥٦ ومجمع الزوائد ج ٦
ص ٢٢٦ و ٢٢٧ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٨٧ و ١٨٨ عن مسند أبي
يعلى، والإعانة لابن بطه، والعكبري. وزينة أبي حاتم الرازي، وكتاب أبي بكر
الشيرازي وغيرهم والطرائف ج ٢ ص ٤٢٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٨
والغدير ج ٧ ص ٢١٦ وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٧ و ج ٣ ص ٢٢٧ والإصابة
ج ١ ص ٤٨٤ والنص والاجتهاد ص ٩٣ و ٩٤ عن بعض ما تقدم.

.....
: وموقف أبي بكر في قتل مانعي الزكاة هو الآخر مخالف لله ولرسوله..
وقد عاد عمر إلى رأي أبي بكر ووافقه عليه أيضاً..
كما أن طلبات عمر المتكررة بأن يجيز له الرسول قتل هذا وذاك قد
جاءت كلها على خلاف ما يريد الله ورسوله أيضاً..
فما هذا التوافق العجيب بين أبي بكر وعمر في هذين الموردين على
خلاف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن تكون جميع مواقف عمر
مخالفة لما يريد الله ورسوله في جميع المواقف المختلفة؟!..

لا مبرر لقتل أبي سفيان:

١ - إن عمر كان مهتماً بقتل أبي سفيان، مع أنه يعلم: أن هناك مسلمين
كثيرين يعيشون في مكة، وإن قتله قد يؤدي إلى ارتكاب المشركين مجزرة
هائلة في حقهم فيما لو حصل هيجان عارم لا يخضع للمنطق، ولا يستجيب
لنداء العقل..

٢ - المفروض أن أبا سفيان قد أصبح في قبضة أهل الإسلام، ولعل
ذلك يفسح المجال لاتفاقات تؤدي إلى حقن الدماء، وانطلاقة الإسلام
بقوة في تلك المنطقة، فلماذا لا يترك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليعالج
الأمر بحكمته ورويته؟!..

٣ - لماذا لا يسعى عمر لإدخال أبي سفيان في الإسلام؟ ألم يكن إسلام
أبي سفيان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من قتله؟!..

مع ملاحظة: أن عمر كان يحب إسلام العباس أكثر من حبه لإسلام
أبيه الخطاب لو كان حياً، لعلمه بسرور رسول الله «صلى الله عليه وآله»

بإسلام عمه..

إلا إذا كان عمر يرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما يرغب بإسلام عمه.. لأنه عمه، ولا يرغب بإسلام أبي سفيان تعصباً منه ضد بني عبد شمس، ولأنه عدوه المحارب له. فالعصبية العشائرية هي الحاكمة على مواقفه وتصرفاته «صلى الله عليه وآله»، وهذا المنطق سيء وخطير، لأنه ينتهي إلى الطعن بنبوة النبي «صلى الله عليه وآله» في عصمته وحكمته، ومزاياه. وهو مرفوض جملة وتفصيلاً..

اتهام العباس لعمر بن الخطاب:

إن العباس قد سجل اتهاماً صريحاً لعمر في نواياه، وفي نوازه العشائرية، وتعصباته القبائلية حين قال له:

«مهلاً يا عمر! فوالله، لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا. ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف».

ولم يستطع عمر أن يدفع عن نفسه هذه التهمة إلا بادعاءً آخر، من شأنه أن يزيد من وطأة اتهامه في نواياه، وهو أنه كان يجب لإسلام العباس، لأن ذلك يسر النبي «صلى الله عليه وآله»..

مع العلم: بأن إسلام أبي سفيان أيضاً كان يسر النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن هداية نسمة خير مما طلعت عليه الشمس، ولأن ذلك قد يوجب تنفيس الإحتقان في المنطقة بأسرها. ولعل إسلام غيره ليس بهذه المثابة..

فلماذا يريد عمر قتل هذا، ولا يهتم بإسلامه، دون ذلك؟!.

ونريد أن لا تفوتنا الإشارة إلى أن هذا الإتهام نفسه قد يوجه إلى عمر

حين طالب بقتل أسرى بدر، حيث لم يكن فيهم أحد من بني عدي أيضاً^(١)..

إسلام العباس.. وإسلام الخطاب:

وبعد.. فإننا لم نستطع أن نتيين وجهاً مقبولاً أو معقولاً لقول عمر: إن إسلام العباس كان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إسلام الخطاب..

وإنه «صلى الله عليه وآله» يريد إسلام كل الناس، ولا يفرحه إسلام هذا أكثر من إسلام ذاك، ولعل إسلام سلمان الفارسي كان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من إسلام العباس، إذ كان إسلام سلمان من موجبات القوة للدين، أو كان أكثر صفاءً، وأعظم رسوخاً، وقوة وعمقاً.. ومن الذي أخبر عمر بواقع إيمان الناس، وبدرجات رسوخ الإيمان في قلوبهم؟!!

ومع غض النظر عن ذلك كله، يبقى سؤال نطالب عمر بالإجابة عنه، وهو: إذا كان قد عرف محبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لإسلام العباس، فهل هو أيضاً قد عرف كراهته لإسلام أبي سفيان؟!.. ولماذا كان في أيام خلافته يعظم أبا سفيان والعباس ويقدمهما بصورة لافته، فقد كان يُفرش لعمر فراش في بيته في أيام خلافته، فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب.

(١) راجع موقفه هذا في هذا الكتاب في غزوة بدر، فصل: الغنائم والأسرى.

زاد المبرد قوله: هذا عم رسول الله، وهذا شيخ قريش^(١).

جوار العباس:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن العباس قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله» إنه أجار أبا سفيان.

وذكرت أيضاً: أنه أجار بديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام..

ونقول:

إنه جوار لا يصح، بل هو غير جائز، إذا كان يريد بهذا الجوار منع النبي «صلى الله عليه وآله» من التصرف المناسب في حق أبي سفيان، وفي حق بديل، وحكيم..

ويشهد لذلك: أنه لما قدم أبو سفيان المدينة يطلب تجديد عهد الحديبية، والزيادة في المدة، وطلب من رجالات الصحابة أن يجيروا بين الناس، قد واجه رفض ذلك منهم جميعاً، وكانت حجتهم أنه ليس لأحد أن يجير على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولأجل ذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كما لم يلتفت إلى مطالبات عمر بن الخطاب بقتل أبي سفيان، لم يقم وزناً لجوار العباس لهؤلاء أيضاً، بل بقي مصرّاً على إجراء حكم الله تعالى فيهم، إن لم ينطقوا بالشهادتين. وهذا ما يدعونا إلى القول:

إنه إن كان قد أجار أحداً من هؤلاء، حتى على رسول الله «صلى الله

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩ والكامل للمبرد ج ١ ص ٣١٩.

عليه وآله»، فهو مخطئ بلا ريب. وهو لا يلزم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بشيء من ذلك. وقد ظهر من تعامل رسول الله «صلى الله عليه وآله» معهم: أنه لم يلتفت إلى ما ادّعاه العباس من جوار..

وإن كان العباس قد أجار هؤلاء الثلاثة: أبا سفيان، وحكيماً وبديلاً من سائر الناس لكي يصلوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» سالمين، ليرى فيهم رأيه، فهو تصرف مقبول، ويكون قول العباس لعمر عن أبي سفيان: إني قد أجرته مجرد محاولة لحمايته من عمر، لكي لا يتسرع في الإقدام على أمر خطير كهذا..

هل مكث أبو سفيان عند النبي ' عامة الليل؟

وهناك رواية ذكرت: أن العباس حين أدخل أبا سفيان وحكيماً وبديلاً على النبي «صلى الله عليه وآله» مكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم.. وانتهى الأمر بإسلام بديل وحكيم، ولكن أبا سفيان طلب التأجيل.

ونقول:

أولاً: إننا نشك في أن تكون هناك تفاصيل كثيرة ترتبط بشؤون الحرب ويحتاج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الوقوف عليها منهم، ويستغرق الاستخبار عنها هذا الوقت الطويل (عامة الليل). لا سيما وأن هذا الجيش الكبير قد ظهر ببلادهم فجأة، ولم يكن لديهم أية فرصة للإعداد والاستعداد، وجمع الناس من البلاد.

ولو فرض: أنه كان يريد أن يستخرج منهم بعض الأمور، فلماذا لا يوكل أمر سؤالهم عنها إلى غيره؟!

ثانياً: إذا كان العباس قد أسلم، وكان مقيماً بمكة مثلهم، فإنه هو الآخر يستطيع أن يخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما يريد معرفته. ولو فرضنا: أنه كان قد خرج من مكة قبلهم، وقد استجدت أمور بعده ولم يعلم بها، فإن تلك الأمور لا تحتاج في الاستخبار عنها إلى هذا الوقت الطويل.

ثالثاً: لماذا يشعرهم بأنه محتاج إلى ما عندهم ما دام أنه مسدد بالوحي الصادق؟ في حين أن المصلحة تقضي بأن يظهر لهم التسديد والرعاية الإلهية له ولمسيرته «صلى الله عليه وآله»..

إلا أن يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما كان يتعامل مع الأمور وفق مسارها الطبيعي، لا من خلال الوحي، والغيب، إلا في مواقع معينة، ووفق شروط وضوابط لا تكون متوفرة في هذا الموقف..

رابعاً: هل كانوا مأمونين على ما يخبرونه في الأمور التي يسألهم، حتى لو افترضنا حاجته إلى العلم بها؟!

ملك أم نبوة؟!

لقد مضى على بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكثر من عشرين سنة، عاش منها ثلاث عشرة سنة في مكة، وأظهر لهم فيها تعاليم الإسلام، وبيّن للناس تعاليمه وأحكامه، وقرأ عليهم القرآن. وقد رأوا عن كثب معاملته لأصحابه، ونظرة أصحابه إليه، وتعاملهم معه. كما أنهم حتى بعد هجرته إلى المدينة في السنوات الثماني الأخيرة، لم ينقطعوا عن تتبع أخباره ورصد حركته.

ولكنهم بالرغم من ذلك كله، ما زالوا يظهرُونَ في أفعالهم وأقوالهم ما يشير إلى خطأ فاحش في أساس نظرتهم إليه، وإلى تعاليمه. ويتجلى ذلك في حوادث فتح مكة المختلفة، فقد حفلت تصرّجات كثيرة لزعمائهم، بأن ما يروونه لدى محمد «صلى الله عليه وآله» هو الملك. رغم أنهم قد شاهدوا الكثير من المعجزات والكرامات الدالة على أنها النبوة، والرعاية والإرادة الإلهية..

ومن المفردات التي تدخل في سياق هذه السياسة من هؤلاء العتاة قول أبي سفيان للعباس أكثر من مرة: «لقد أصبح ابن أخيك - والله - عظيم الملك». أو «ما رأيت ملكاً قط كالיום، لا ملك كسرى ولا قيصر» أو نحو ذلك..

ويحييه العباس بأنها النبوة، وليست الملك..
ومن ذلك أيضاً: أن حكيم بن حزام حين قيل له: بايع.
قال: «أبايعك، ولا آخر إلا قائماً».

فهو يراه ملكاً مثل سائر الملوك، في فارس والروم وغيرها، لا بد من أن يخضع الناس له إلى حد أنهم يخرون سجداً أو ركعاً بمجرد رؤيته تحية له.. وكأن حكيم بن حزام أراد أن يشترط لنفسه أمراً يمتاز به عن غيره من العرب، وهو: أن لا يختر ساجداً أو راكعاً في تحيته له، بل يحييه وهو قائم.
ولكن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لحكيم قد بيّن: أنه لا توجد مطالب من هذا النوع في قاموس تعامل الناس مع النبي «صلى الله عليه وآله».. فهو يقول: أما من قبلنا فلن تخر إلا قائماً.. أي أنه ليس في شرعنا، ولا في قراراتنا المرتبطة بالتعامل مع الآخرين أي خضوع يصل إلى حد

الركوع والسجود لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

عمر لا يراعي مجالس رسول الله :

وإذا صح ما ذكره عن عمر بن الخطاب، من أنه قال لأبي سفيان الذي كان في محضر النبي «صلى الله عليه وآله»: إخرأ عليها (أي على العزى) فهو غير مقبول منه من جهات:

إحداها: أنه يمثل جرأة على مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخروجاً عن الحدود، ومخالفة لأبسط اللياقات التي يفترض مراعاتها في مجالس الناس العاديين، فكيف إذا كان ذلك بمحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله». سيد رسل الله، وأفضل مخلوقاته تبارك وتعالى؟!

وقد أظهر أبو سفيان تقززه من هذا الفحش، فقال: أف لك ما أفحشك! أو قال: ويحك يا عمر، إنك رجل فاحش. ويمكن أن يكون قد قال الكلمتين معاً أيضاً.

الثانية: إن ما صنعه عمر قد جاء على سبيل استراق السمع المذموم، وبطريقة الفضول والتدخل فيما لا يعنيه، فهو إنما كان في خارج القبة، وقد ألقى كلامه من وراء الحجاب، من دون ان يدعوه أحد إلى ذلك..

ولذلك قال أبو سفيان: «ما يدخلك يا عمر في كلامي، وكلام ابن عمي».

أو قال: «دعني مع ابن عمي، فإياه أكلم». ولعله قال الكلمتين معاً.

الثالثة: إن هذا من الموارد التي ورد النهي عنها في القرآن الكريم بخصوصها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

.....
: **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**^(١). فلماذا يتدخل عمر ويقدم بين يدي الله ورسوله؟!

وعلينا أن لا نغفل الإشارة إلى تعبير أبي سفيان عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: ابن عمي، معتبراً عمر بن الخطاب رجلاً غريباً عنهما، لكونه من بني عدي. فهو ينطلق من موقعه العشائري ليقطع بذلك الطريق على عمر..

ولعل السر في أننا لم نسمع أي تعليق أو اعتراض من النبي «صلى الله عليه وآله» على هذا المنحى، ولم يقل لأبي سفيان أن المعيار هو الأخوة الإيمانية والقربة الدينية لا العشائرية.. هو: أن بإمكان أبي سفيان أن يتنصل من هذا الأمر، ويفكر في أن يكون ذلك محط تفكيره ومرمى كلامه.

أبو سفيان يخاف من الأذان والصلاة!!

وقد زعمت النصوص: أن أبا سفيان قد فوجئ بأذان المسلمين، وقيامهم إلى طهورهم، فسأل العباس، فأجابه بأنها الصلاة. ونقول:

١ - قد يقال: إن أبا سفيان كان قد رأى النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين يصلون في مكة قبل الهجرة طيلة ثلاث عشرة سنة، وراهم في المدينة قبل مدة يسيرة، حينما ذهب ليطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» تجديد العهد، والزيادة في المدة، وسمع فيها الأذان، وبقي أياماً يتصل برجالات المهاجرين والأنصار، يطلب منهم مساعدته فيما جاء له..

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

فما معنى: أن يفرع من الأذان في هذه المرة؟!
والحقيقة هي: أن أبا سفيان قد سمع العسكر يجيبون المؤذن بصورة
جماعية، فظن أنهم قد اتفقوا على أمر بعينه.
ويدل على ذلك: أن المسلمين حين قاموا إلى طهورهم، قال أبو سفيان
للعباس: «ما للناس؟! أمروا فيَّ بشيء؟!»
وهذا على قاعدة: كاد المريب أن يقول: خذوني.
أو كما قال تبارك وتعالى: {يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوَّ..} (١).
ونحن وإن كنا لا نستبعد احتمال أن يكون أبو سفيان قد رأى النبي
«صلى الله عليه وآله» يصلي في المسلمين جماعة في المدينة..
غير أننا نقول:

إن صلاة عشرة آلاف رجل في جماعة واحدة مع رسول الله «صلى الله
عليه وآله» لا بد من أن يخيف أبا سفيان، ويحركه إلى الإستفهام..
ونعتقد: أننا لسنا بحاجة إلى بيان: أن الوضوء الذي نسبته بعض
الروايات المتقدمة إلى أبي سفيان، وأن العباس أمره فتوضأ، إنما يقصد به
مجرد غسل الوجه واليدين.. ولا يراد به الوضوء بمعناه الشرعي عند أهل
الإسلام، لأن أبا سفيان لم يكن قد أسلم آنئذٍ.

أسلم تسلم:

لقد حاول أبو سفيان التسويف في الإقرار بالشهادتين، ربما لأنه كان

(١) الآية ٤ من سورة المنافقون.

يأمل بتجاوز هذه المرحلة، وهو يريد أن يحتفظ لنفسه بوضع خاص، يحفظ له محوريته بين أهل الشرك، ومرجعيته لهم.

أو على الأقل يريد أن يكون له ملك في مقابل نبوة محمد، التي حاول أن يصر على أنها مظهر من مظاهر الملك أيضاً.. فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرجئ طلب الإقرار بالشهادة له بالنبوة.

فأعطاه «صلى الله عليه وآله» فرصة ليتدبر أمره في تلك الليلة. وفي اليوم التالي: عاد ليكرر ذلك الطلب عليه، ويعود أبو سفيان إلى المراوغة مرة بعد أخرى، معتمداً على معسول من الكلام ظناً أنه يبلغه إلى ما يريد..

ولكن القضية لم تكن قابلة للاستمرار، لأن أبا سفيان ظل منذ أن بعث الله محمداً «صلى الله عليه وآله» يرتكب أعظم الجرائم والموبقات ويحارب الله ورسوله، ويتسبب بإزهاق الأرواح، وظلم النفوس، والعدوان على الناس في كراماتهم، وفي حرياتهم، وفي جميع الشؤون.. ولا بد من إزالة تبعات ذلك كله، إما بالجزاء العادل، وهو مواجهة القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة، فيما لو أصر على اللجاج والعناد، وعلى إعلان الحرب على الحق وأهله بالسيف، وبالكلمة، وبالموقف. وهذا في حد نفسه جرم عظيم، وظلم جسيم للدين وللمؤمنين.. ولا مجال للتجاوز عنه أو التساهل فيه..

لأنه يقود إلى إضلال الناس، أو إلى استمرار كثير من الضالين على ضلالهم. وإما أن يتراجع عن شركه، ويعلن إسلامه، وبطلان ما كان عليه، ويقر بخطئه في مواقفه، وفي ممارساته السابقة. وبذلك يستفيد من سماحة الإسلام الذي منحه عفواً في الدنيا عن جرائمه وعفواً في الآخرة إن تاب توبة نصوحاً..

فيكون باختياره للإسلام قد سهل مهمة انتشار دعوة الحق، وأزال من أذهان بعض المستضعفين الذين يرتبطون به، بنحو أو بآخر، أية شبهة، ورفع أنواع الضغط النفسي، الذي كان يشعر به هؤلاء أو غيرهم، ويمنعهم من الدخول في هذا الدين..

ولأجل ذلك: كرر عليه النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قوله: أسلم تسلم. أي أنه يسلم من العقوبة على جرائمه في الدنيا على أقل تقدير، حسبما بيناه..

وبذلك يظهر: أن هذه الكلمة لا تعني أن الإسلام يقهر على الإيمان، أو أنه انتشر بالسيف..

بل هي تعني: أن الذي يرتكب جريمة محاربة الحق، ومحارب الله ورسوله، ويسعى في قتل أهل الحق لا يسلم من الجزاء العادل على عدوانه هذا إلا إذا أعلن تراجعاً عن موقفه هذا.. واعترف بخطئه فيما ارتكبه من جرائم..

وقد تفضل الله تعالى عليه بهذا العفو، لأنه يريد أن يوفر على الأمة خسائر أكبر قد تنشأ من مواصلة مسيرته الإجرامية، حين يرى أنه هالك لا محالة..

المعادلة التي اعتمد عليها أبو سفيان:

وقد استند أبو سفيان في تقرير بطلان الشرك إلى معادلة تقول: إنه لو كان هناك إله آخر لكان أغنى عنه شيئاً في بدر، وفي أحد، وفي سواهما. ولكن ليت شعري لماذا لم يأخذ بهذه المعادلة منذ بدر، أو أحد، أو

..... :

الخندق، ليكون قد وفر على الأمة تلك الويلات والمآسي التي أصابتها بسبب بغيه وإصراره على الجحود والعدوان؟

علماً بأن طريقته هذه لا تؤدي إلى التوحيد التام، وإن كان هو قد نوه بذلك، لأن كلامه يدل على أن إله محمد «صلى الله عليه وآله» محق وإله أبي سفيان مبطل، ولكنه لا يدل على عدم صحة دعوى تعدد الآلهة.

لولا المعجزة لم يسلم أبو سفيان:

وتذكر رواية الراوندي: أن ذلك كله لم يقنع أبا سفيان بإعلان إسلامه، رغم تحذير العباس له بأنه إن لم يسلم جوزي بالقتل..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» عامله أيضاً بالرفق، حيث أمر العباس بأن يأخذه إلى خيمته، وصار أبو سفيان يحدث نفسه: بأنه لو جمع الأحابيش، فلعلة كان يهزم هذا الجيش، وإذ برسول الله «صلى الله عليه وآله» يناديه من خيمته، ويقول له: «إذن كان الله يخزيك».

وكان لا بد لأبي سفيان من أن يخضع للأمر الواقع فقد طفق الكيل، وبلغ في لجأه حداً لم يعد له عذر فيه، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ نواياه، وأقر أبو سفيان بالشهادتين مرغماً ليحقن بذلك دمه.

فوفر على الناس المزيد من الخسائر، وانسحب من ساحة الصراع المسلح، ليدير صراعاً آخر، وبطريقة أخرى، ليكون صراعاً من الداخل يهدف إلى السعي للحصول هو وحزبه على أكبر قدر من المكاسب، بل على أهم المواقع والمناصب..

وأصبح كما يقول صاحب الإستيعاب وغيره: كهفًا للمنافقين^(١).
ولهذا البحث مجال آخر.

العتاب والجواب:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن أبا سفيان وحكيم بن حزام قد عاتبا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأسلوب يفتقر إلى أبسط قواعد اللياقة والأدب. حيث وصفا الجيش الذي كان معه بأنهم أوباش الناس، جاء ليحارب بهم أهله وعشيرته..

وقد نسيا:

أولاً: أن أبا سفيان نفسه لم يزل يجمع الأحابيش والأوباش وغيرهم، لمحاربة من هو من أهلها وعشيرتها طيلة ما يقرب من عقد من الزمن. بل إن أبا سفيان لم يتلفظ بالشهادتين إلا بعد أن أعلمه النبي «صلى الله عليه وآله»: بأنه يحدث نفسه لو أنه جمع الأحابيش لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو من أهله وعشيرته..
ثانياً: إن حرب أبي سفيان للنبي «صلى الله عليه وآله»، الذي هو من أهله وعشيرته، ما هي إلا حرب بغي وظلم، وهتك لحرمة الله تعالى..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٣٥١ والإستيعاب (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٨ و (ط دار الجليل) ص ١٦٧٨ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ١٠٤ والنزاع والتخاصم للمقريزي ص ٥٨ وراجع: الغدير ج ٣ ص ٢٥٣ وج ٨ ص ٢٧٨ وشيخ المضيرة لأبي رية ص ١٦١ والنصائح الكافية لابن عقيل ص ١١٠.

..... :

ثالثاً: هل الاستعانة بمن يعرف ومن لا يعرف لدفع الظلم وإقامة العدل، قبيحة ومرفوضة!! ولا يكون غدر قریش بخزاعة في حرم الله وأمنه ونقضها لعهد الحديبية، وسعيها في تكريس نتائج الغدر - لا يكون - قبيحاً ومرفوضاً؟!

إن ذلك كله يبين لنا مدى صدقية قوله «صلى الله عليه وآله» لحكيم بن حزام ولأبي سفيان:

«أنتم أظلم وأفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، وظهرتم على بني كعب بالإثم والعدوان، في حرم الله تعالى وأمنه».

وأما تحريضهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» على هوازن، فلم يكن يهدف إلى إقامة الحق، وإجراء سنة العدل في هوازن على يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله».. بل كان من منطلق ظالم، وغير منطقي، لأنهم استندوا في إغرائه بهم إلى أنهم أبعد رحماً، وأشد عداوة له. وليس هذا هو منطق الإسلام ونبي الله تعالى.

وقد جاءت إجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لهما شديدة الوقع، بالغة الأثر، حيث قال:

«إني لأرجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله: فتح مكة، وإعزاز الإسلام بها، وهزيمة هوازن، وغنيمة أموالهم، وذرايرهم».

وقد تضمنت هذه الكلمات كل ما يغضب الكفار ويذلهم، ويخزيهم.. لأن جمع ذلك كله له سيكون بالنسبة إلى أبي سفيان وابن حزام من أعظم الكوارث عليهما وعلى أهل الشرك.. بل إن الفوز بأية مفردة من تلك المفردات سيكون فيه أعظم الخزي والذل للشرك وأهله.. والمفردات التي

أشار إليها هي:

١ - فتح مكة: التي كانوا يستطيعون بها على العرب، ويمتلكون من خلالها قلوبهم، ويفرضون إرادتهم.. وفي التسلط على مكة، وإبطال نفوذهم أعظم الخزي والذل لهم.

٢ - إعزاز الإسلام في نفسه وهذا أيضاً سيكون من أعظم المصائب والملمات على أهل الشرك.. فكيف إذا كان هذا الإعزاز في مكة نفسها؟!

٣ - هزيمة هوازن: وهذه أيضاً: فاجعة كبرى لمشركي قريش، لأنهم يرون فيها سنداً قوياً لهم. وسقوطها معناه: أن يفقدوا بها أملاً كان يهبهم بعض السكون والطمأنينة.

٤ - غنيمة أموال هوازن: وهذا معناه: أن لا تقوم لها قائمة بعدها، وأن تخرج من معادلة الحرب والصراع بصورة تامة، ونهائية..

٥ - إن الأشد إيلاًماً لهم: أن النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لا يعتمد في تحقيق ذلك كله على نفسه وعلى هذا الجيش الهائل، بل هو يعتمد على ربه تبارك وتعالى.. الذي لم يكونوا في أي وقت في موقع رضاه، بل كانوا دائماً في موقع سخطه.

تصحيح اشتباه:

كان بديل بن ورقاء الخزاعي يقول: لما كان يوم الفتح أوقفني العباس بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: يا رسول الله، هذا يوم قد شرفت فيه قوماً، فما بال خالك بديل بن ورقاء، وهو قعيد حيه؟ قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «إحسر عن حاجبيك يا بديل».

.....
:
فحسرت عنهما، وحدثت لثامي، فرأى سواداً بعارضي، فقال: كم
سنوك يا بديل؟

فقلت: سبع وتسعون يا رسول الله.
فتبسم النبي «صلى الله عليه وآله» وقال: «زادك الله جمالاً وسواداً،
وأمتعك وولدك، لكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد نيف على الستين،
وقد أسرع الشيب فيه، اركب جملك هذا الأورق وناد في الناس: «إنها أيام
أكل وشرب».

وكنت جهيراً، فرأيتني بين خيامهم وأنا أقول: أنا رسول رسول الله
«صلى الله عليه وآله» يقول لكم: إنها أيام أكل وشرب، وهي لغة خزاعة،
يعني الاجتماع^(١).
ونقول:

إننا لا نريد أن نزيد هنا شيئاً على ما قاله المجلسي «رحمه الله»: «والمشهور:
أن هذا النداء كان في حجة الوداع، لا عام الفتح»^(٢).

(١) الأمالي لابن الشيخ ص ٢٣٩ و (ط دار الطباعة والنشر - قم) ص ٣٧٦ والبحار
ج ٢١ ص ١١٥ وج ٩٦ ص ٣٠٨ وراجع: الإصابة ج ١ ص ١٤١.
(٢) البحار ج ٢١ ص ١١٦.

١ - الفهرس الإجمالي
٢ - الفهرس التفصيلي

١ - الفهرس الإجمالي

القسم التاسع: فتح مكة

الباب الأول: إلى مكة

٤٤ - ٩	الفصل الأول: المجزرة
٧٢ - ٤٥	الفصل الثاني: إلى المدينة: خبر وشكوى
١٢٤ - ٧٣	الفصل الثالث: أبو سفيان في المدينة تدليس وخداع
١٦٠ - ١٢٥	الفصل الرابع: جيوش تجتمع .. والهدف مجهول
٢١٢ - ١٦١	الفصل الخامس: ابن أبي بلتعة .. يتجسس ويفتضح
٢٥٠ - ٢١٣	الفصل السادس: على طريق مكة
٢٨٨ - ٢٥١	الفصل السابع: هجرة العباس وإسلام ابن الحارث وابن أبي سلمة
٣٤٠ - ٢٨٩	الفصل الثامن: أبو سفيان في أيدي المسلمين
٣٥٤ - ٣٤١	الفهارس

٢ - الفهرس التفصيلي

القسم التاسع: فتح مكة..

الباب الأول: إلى مكة

الفصل الأول: الجزرة

- ١١..... بداية:
- ١٢..... تاريخ فتح مكة:
- ١٤..... يوم خروج النبي ' من المدينة:
- ١٥..... يوم دخول مكة:
- ١٧..... مدة الإقامة في مكة:
- ١٩..... خطأ في البخاري:
- ٢١..... شهر رمضان لماذا؟!:
- ٢٢..... الأحلاف في الجاهلية والإسلام:
- ٢٢..... حلف خزاعة:
- ٢٤..... سبب حلف خزاعة:
- ٢٥..... حلف أهل الباطل:
- ٢٥..... لا حلف في الإسلام:
- ٢٨..... مرتكزات حلف عبد المطلب وخزاعة:
- ٢٩..... قريش تنقض العهد:

٣٣	سبب نقض العهد واحد:
٣٣	إستغلال الضغائن:
٣٤	الغدر بالضعفاء، وبالصبيان والنساء:
٣٥	القسوة.. لماذا؟!:
٣٦	حرمة الحرم لدى قريش:
٣٧	هل ندموا حقاً؟!:
٣٨	بنو نفاثة يسرقون الحاج:
٤٠	بديل بن ورقاء وما جرى:
٤١	بين الثأر.. والقصاص:

الفصل الثاني: إلى المدينة: خبر وشكوى

٤٧	النبي ' يخبر بالغيب عن نقض العهد:
٤٨	لماذا عائشة دون سواها؟!:
٤٩	حرت في أمر خزاعة:
٥٠	سلب الألفاف الإلهية:
٥٢	النبي '.. ونصر بني كعب:
٥٦	نوفل يضيع الحق:
٥٨	غضب النبي ' لبني كعب:
٥٩	نصرت يا عمرو بن سالم:
٥٩	لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب:
٦٢	السحابة تستهل بنصر بني كعب:
٦٣	دخل بيت عائشة أم ميمونة؟!:

- ٦٤..... ابن ورقاء أول المخبرين: ..
٦٦..... عينا رسول الله ' تدمعان:
٦٧..... قام وهو يجرد رداءه:
٦٨..... النبي ' يأمر مخبريه بالتفرق في الأودية:

الفصل الثالث: أبو سفيان في المدينة: تدليس وخداع

- ٧٥..... عروض النبي ' ورفض قريش:
٧٧..... مساعٍ فاشلة لأبي سفيان:
٨٨..... ترتيب الأحداث:
٨٩..... سؤال وجوابه:
٩٠..... على ماذا ندمت قريش؟!:
٩١..... أبو سفيان ينقض العهد:
٩٢..... الخيارات العادلة:
٩٣..... سياسات يعرفها الجميع:
٩٤..... آراء لا يحسدون عليها:
٩٥..... تحديد المتهم بدقة:
٩٥..... عرام بني نفاثة:
٩٦..... بنو نفاثة يعظمون الحرم:
٩٦..... الخبر اليقين:
٩٧..... رؤيا هند بنت عتبة:
٩٧..... أبو سفيان هو المسؤول:
١٠٠..... تجديد العهد، وزيادة المدة:

- أساليب استخباراتية فاشلة: ١٠١
- أبو سفيان في المدينة: ١٠٢
- خيار الهروب إلى الأمام: ١٠٤
- التدبير الصارم: ١٠٦
- مواقف مزعومة، بل موهومة: ١٠٧
- جوارى جوار رسول الله ' : ١١٢
- هل تجير الزهراء ÷ ؟! : ١١٤
- قد أجارت أختك: ١١٤
- أخت الزهراء ÷ : ١١٥
- مري ابنك: ١١٦
- هما صبيان: ١١٧
- قريش في مأزق: ١١٩
- كلمي علياً: ١٢٠
- سيد كنانة!! يطلب النصيحة!! : ١٢١
- قريش تتهم زعيمها: ١٢٢

الفصل الرابع: جيوش تجتمع.. والهدف مجهول

- استشارة أبي بكر وعمر في أمر مكة: ١٢٧
- أبو بكر يفشي سر رسول الله ' : ١٢٩
- ذل العرب.. وذل أهل مكة: ١٣٣
- حديث فاطمة ÷ كان في عام الفتح أيضاً: ١٣٤
- جهزيْنَا، وأخفي أمرك: ١٣٩

عائشة تفشي سر النبي	١٤٠
للمباغلة وجهان:	١٤٢
مكث ما شاء الله:	١٤٣
التجهيز لسفر مبهم:	١٤٤
نجاح الخطة:	١٤٥
الأخذ على الأسماع والأبصار:	١٤٦
حتى نبغتها في بلادها:	١٤٧
لماذا الحديث عن قريش دون بني بكر؟!:	١٤٧
أبو بكر وعائشة في مأزق:	١٤٨
أبو بكر يصير على النبي ' إلى حد الإحراج:	١٥٠
أليس بينك وبينهم مدة؟!:	١٥٢
السيطرة على المسالك:	١٥٢
إلى بطن إضم:	١٥٤
إشارة لما سبق:	١٥٦
النفير العام:	١٥٧
الحضور إلى المدينة في شهر رمضان:	١٥٨
إبان المسير إلى قريش:	١٥٨

الفصل الخامس: ابن أبي بلتعة.. يتجسس ويفتضح

اكتشاف تجسس ابن أبي بلتعة لقريش:	١٦١
نص الكتاب:	١٦٦
التدخل الإلهي:	١٦٨

١٨٠	لعلها عدة رسائل :
١٨١	مقدار الجعل على حمل الرسالة :
١٨١	هل نافق حاطب؟! :
١٨٢	المخبأ العتيد :
١٨٢	الفضل لعللي × :
١٨٣	الحرس على الطريق وشى بالخائن :
١٨٤	رسالة تهديد أم تحذير؟! :
١٨٥	دقة معلومات حاطب :
١٨٦	خبر السماء :
١٨٧	ألا يكفي علي × وحده؟! :
١٨٨	خذوه منها، فإن أبت فاضربوا عنقها :
١٨٩	الصلاة جامعة لماذا؟! :
١٩٢	حاطب ينفي الشك والنفاق :
١٩٣	تهديد المتهم :
١٩٤	ردها إلى رسول الله ' :
١٩٥	حاطب يلتفت إلى النبي ' ليرقَّ له :
١٩٦	قيمة العفو.. والاستغفار :
١٩٧	عذر حاطب :
١٩٨	للنبي ' أن يعفو عن حاطب :
١٩٩	عمر: مرني بقتله :
٢٠٠	منقبة عظيمة لحاطب :

-
- لعل الله اطلع على أهل بدر!!: ٢٠٢.....
- إصرار عمر لماذا؟!: ٢٠٥.....
- الجرأة على الدماء: ٢٠٦.....

الفصل السادس: على طريق مكة

- ٢١٥..... إستخلف على المدينة وخرج!!:
- ٢١٨..... عشرة آلاف مقاتل:
- ٢٢٠..... تأويلات وتفصيل:
- ٢٢٢..... لا يزال المقصد مجهولاً:
- ٢٢٥..... توضيح عن المقدمة:
- ٢٢٦..... إلى أين يا رسول الله؟!:
- ٢٢٨..... لا بد من جواب:
- ٢٢٩..... حيث يشاء الله:
- ٢٣٠..... إستنفار العرب:
- ٢٣١..... سليم تريد الخطوة عند النبي ':
- ٢٣٢..... نخوة الجاهلية:
- ٢٣٣..... بيض النساء وأدم الإبل في بني مدلج:
- ٢٣٦..... الرفق بالحيوان.. مسؤولية شرعية:
- ٢٣٩..... صيام النبي ' في السفر:
- ٢٤٣..... أين أفطر رسول الله '؟!:
- ٢٤٤..... حديث الصيام باطل من أصله:
- ٢٤٨..... حديث شق عليهم الصوم:

الفصل السابع: هجرة العباس.. وإسلام ابن الحارث وابن أبي سلمة

- إسلام العباس وهجرته: ٢٥٣
- وساطة أم سلمة: ٢٥٥
- هجرة العباس آخر هجرة: ٢٦٢
- الهجرة لم تنقطع: ٢٦٦
- الطلاق ليسوا من الصحابة: ٢٧١
- العباس يتلقى رسول الله ' : ٢٧٢
- أين لقي العباس رسول الله '؟! : ٢٧٣
- تناقض واختلاف الروايات: ٢٧٥
- النبي ' لا يرد السلام ولا يقبل التوبة: ٢٧٥
- تالله لقد أثرك الله علينا: ٢٧٨
- ومن أحسن قولاً من الله: ٢٨١
- هنات وهنات في رواية الواقدي: ٢٨٢
- ألف: اعتراض أم سلمة: ٢٨٢
- ب: أبو سفيان بن الحارث، والإسلام: ٢٨٢
- ج: علم ابن الحارث بقدم رسول الله ' : ٢٨٣
- د: هل سيفرح المسلمون بإسلام ابن الحارث؟! : ٢٨٤
- هـ: بطولات أبي سفيان بن الحارث في حنين: ٢٨٥
- و: يا للأنصار! يا للخزرج!! : ٢٨٥
- ز: سؤال النبي ' عن أبي سفيان بن الحارث: ٢٨٥
- عمر يغري بأبي سفيان بن الحارث: ٢٨٦

الفصل الثامن: أبو سفيان في أيدي المسلمين..

- زعماء يربأ بهم النبي ' عن الشرك: ٢٩١.....
- منام أبي بكر: ٢٩٣.....
- جيش الإسلام في مر الظهران: ٢٩٤.....
- إنه ليس بملك: ٣٠٧.....
- من الذي كان مع أبي سفيان؟! : ٣٠٧.....
- لم يبلغهم حرف واحد: ٣٠٨.....
- تزوير الحقائق: ٣٠٨.....
- عشرة آلاف نار لماذا؟! : ٣٠٩.....
- إن لقيت محمداً فخذ لنا أماناً: ٣١٠.....
- العباس الناصح لقريش على بغلة رسول الله ' : ٣١١.....
- علم العباس بمكان أبي سفيان: ٣١٢.....
- عمر وأبو سفيان: ٣١٤.....
- ترهات وأكاذيب: ٣١٦.....
- بديل بن ورقاء خزاعي: ٣١٧.....
- ما هذا التصافي والإنسجام؟! : ٣١٨.....
- حماس عمر لقتل أبي سفيان: ٣١٩.....
- تناقضات مواقف عمر وأبي بكر: ٣٢٠.....
- لا مبرر لقتل أبي سفيان: ٣٢٣.....
- اتهام العباس لعمر بن الخطاب: ٣٢٤.....
- إسلام العباس.. وإسلام الخطاب: ٣٢٥.....

٣٢٦.....	جوار العباس:
٣٢٧.....	هل مكث أبو سفيان عند النبي ' عامة الليل؟:
٣٢٨.....	مُلك أم نبوة؟!:
٣٣٠.....	عمر لا يراعي مجالس رسول الله ':
٣٣١.....	أبو سفيان يخاف من الأذان والصلاة!!:
٣٣٢.....	أسلم تسلم:
٣٣٤.....	المعادلة التي اعتمد عليها أبو سفيان:
٣٣٥.....	لولا المعجزة لم يسلم أبو سفيان:
٣٣٦.....	العتاب والجواب:
٣٣٨.....	تصحيح اشتباه:

الفهارس:

٣٤٣.....	١ - الفهرس الإجمالي
٣٤٥.....	٢ - الفهرس التفصيلي